المركز القومى للترجمة

المشروع القومى للترجمة

الموسوعة الدولية للعلوم الاجتماعية
الجزء الثانى
علماء الاجتماع

تحرير: ديفيد إل . سيلز

ترجمة: مجموعة من الباحثين

مراجعة وتقديم: أحمد أبوزيد

1513

الموسوعة الدولية للعلوم الاجتماعية

(الجزء الثانى)

علماء الاجتماع

المركز القومى للترجمة
إشراف : جابر عصفور

- العدد : 1513
- الموسوعة الدولية للعلوم الاجتماعية (جـ٢) علماء الاجتماع
- ديفيد إل. سيلز
- نخبة
- أحمد أبو زيد
- الطبعة الأولى 2010

هذه ترجمة كتاب :

International Encyclopedia
of the Social Sciences
Edited by David L. Sills

حقوق الترجمة والنشر بالعربية محفوظة للمركز القومى للترجمة .
شارع الجبلاية بالأوبرا - الجزيرة - القاهرة . ت: ٢٧٣٥٤٥٢٤ - ٢٧٣٥٤٥٢٦ فاكس: ٢٧٣٥٤٥٥٤
El-Gabalaya St., Opera House, El-Gezira, Cairo
e.mail:egyptcouncil@yahoo.com Tel.: 27354524 - 27354526 Fax: 27354554

الموسوعة الدولية للعلوم الاجتماعية

(الجزء الثاني)

علماء الاجتماع

تحرير : ديفيد إل. سيلز

ترجمة

أحمد أبوزيد

سعيد فرح

سلوى العامرى

فاروق أحمد مصطفى

محمد حافظ دياب

ناهد صالح

نجوى خليل

هدى مجاهد

محمد أحمد بيومى

مراجعة وتقديم : أحمد أبو زيد

2010

بطاقة الفهرسة

إعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية

إدارة الشئون الفنية

الموسوعة الدولية للعلوم الاجتماعية (ج٢) علماء الاجتماع /
تحرير: ديفيد إل. سيلز ؛ ترجمة / أحمد أبوزيد وآخرون) ؛
مراجعة وتقديم : أحمد أبوزيد
ط ١ - القاهرة ، المركز القومي للترجمة ، ٢٠١٠
٣٦٠ ص ؛ ٢٤ سم .
١ - الاجتماع - علم - موسوعات .
(أ) إل. سيلز ، ديفيد (محرر)
(ب) أبو زيد ، أحمد (مترجم مشارك ومراجع ومقدم)
ب) العنوان ٣٠٠.٣

رقم الإيداع : ١١٢٨٩ / ٢٠١٠

الترقيم الدولى 978-977-704-121-8

طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

تهدف إصدارات المركز القومى للترجمة إلى تقديم الاتجاهات والمذاهب الفكرية المختلفة للقارئ العربى وتعريفه بها ، والأفكار التى تتضمنها هى اجتهادات أصحابها فى ثقافاتهم ، ولا تعبر بالضرورة عن رأى المركز .

المحتويات

مقدمة : أحمد أبوزيد 7

علماء الاجتماع : السير الذاتية 15

قائمة المصطلحات : أحمد أبوزيد 343

مقدمة

بقلم: أحمد أبو زيد

يضم هذا المجلد عشرين سيرة حياة لعشرين عالما من علماء الاجتماع الذين حرصت الموسوعة الدولية للعلوم الاجتماعية على إدراج أسمائهم فى المجلد الثامن عشر ، وهو الملحق الذى خصصته للعلماء الذين لم تتطرق المجلدات السبعة عشر الأساسية لهم، لأنهم لم يكونوا فى عام ١٩٦٨ حين ظهرت تلك الموسوعة قد فرضوا أنفسهم وأعمالهم وأفكارهم ونظرياتهم بالقدر الكافى، الذى يبرر رصد وتسجيل تلك الإسهامات - رغم أهميتها - إلى جانب الأعمال الكبرى التى تركها العلماء الرواد الكبار من أمثال: أوجيست كونت منشئ علم الاجتماع فى الفكر الغربى أو إميل دوركايم وماكس ڤيبر وڤيلفريدو پاريتو وغيرهم من المفكرين العظام الذين أرسوا قواعد ذلك العلم كتخصص متميز وعملوا على تطويره وتنميته وتنبيه الأذهان إليه حتى احتل مكانته المرموقة التى يحظى بها الآن فى الهيئات الأكاديمية وأوساط المثقفين على السواء .

ويمثل العلماء العشرون الذين يظهرون فى هذا المجلد أهم التيارات السائدة فى علم الاجتماع فى الوقت الحالى، كما تعكس كتاباتهم مناهج وأساليب وطرائق البحث المعاصرة، وتكشف عن التغييرات والتعديلات التى أدخلوها على المناهج والطرائق والنظريات الكلاسيكية التى جاء بها الرواد الأوائل، والتى عكف على تطويرها خلال النصف الأول من القرن العشرين الجيل التالى من العلماء فى فرنسا وألمانيا ثم بعد ذلك فى بريطانيا والولايات المتحدة . وقد حرص هؤلاء العلماء على الابتعاد عن

الاتجاهات المثالية أو الطوباوية التى ميزت عصر التنوير وعلى الالتزام بالمناهج والأساليب الموضوعية والتفسيرات العقلانية فى دراسة العلاقات والنظم والأنساق الاجتماعية وأشكال المجتمعات ووظائف تلك النظم والأنساق فى تماسك الأبنية الاجتماعية المختلفة . وقد أدت هذه الجهود إلى تنوع هائل فى طرق وأساليب البحث وأهدافه ونظرياته وتعدد المدارس، وأورثوا هذا كله إلى جيل جديد من العلماء الذين أفلحوا خلال النصف الثانى من القرن الماضى على الخصوص فى تطوير تلك النظريات والقضايا والمناهج وطرق البحث ووجدت أسماء بعضهم طريقها إلى ذلك المجلد الثامن عشر من الموسوعة . وهذا معناه أن اختيار هؤلاء العلماء تمّ ليس فقط لعلو شأنهم فى مجال علم الاجتماع وإسهاماتهم المؤثرة فى توجيه الأبحاث والنظريات والمناهج فى الوقت الحالى، ولكن أيضا لأنهم يمثلون ذلك التنوع الهائل الذى يكشف عن مدى ثراء علم الاجتماع وتعدد اتجاهاته.

وإذا كان علم الاجتماع يعرّف فى كثير من الكتابات المتداولة بأنه الدراسة العلمية المنهجية للمجتمع الإنسانى فإن هذا التعريف البسيط الواضح تعريف واسع لاينقصه الغموض والسطحية ولايكشف عن دقائق هذا العلم وتعقيداته وتعدد اتجاهاته ومداخله ونظرياته ومناهجه والمشكلات التى يعرض لها العلماء المتخصصون والباحثون فى بحوثهم وكتاباتهم . وهذه كلها هى الجوانب العديدة التى تظهر بوضوح فى المعالجات الحالية لحياة هؤلاء العلماء . ولا يقتصر التعدد والتنوع على المجالات والمشكلات التى يتطرق إليها علم الاجتماع والعلماء الذين يأتى ذكرهم فى هذا المجلد، إنما يمتد التنوع والتعدد إلى المناهج وطرق البحث وأساليب التحليل ما بين المناهج والطرق والأساليب الكمية التى تقتدى بما هو متّبع فى العلوم الطبيعية، والتى تهدف فى آخر الأمر إلى وضع استراتيجيات تتعلق بالإصلاح والخدمات الاجتماعية ، والمناهج والطرق والأساليب الكيفية التى تهدف إلى الفهم والتأويل ، ولهم فى ذلك أسوة بما فعله العلماء الرواد ،أو بعضهم على الأقل . فلقد اعتمد إميل دوركايم على المنهجين فى كتاباته

الرائدة على الرغم من ميله الواضح للمنهج الكيفى، فالمنهج الكمى هو أساس البحث وأداة جمع المعلومات وأسلوب التحليل فى دراسته الميدانية الوحيدة التى أجراها بالتعاون مع تلاميذه عن الانتحار، والتى نشر نتائجها فى كتاب **Le suicide**، بينما اعتمد بالضرورة على المناهج وأساليب البحث والتحليل الكيفية فى دراسته العميقة التى تضمنها كتابه الشديد الأهمية عن الصور الأولية للحياة الدينية ***Les formes élémentaires de la vie religiéuse***. كذلك ظهرت بوضوح تأثيرات علماء أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين فى كثير من كتابات العلماء المعاصرين فى الولايات المتحدة الذين أتيحت لهم فرصة الدراسة فى أوروبا مثل: تالكوت پارسونز الذى درس فى إنجلترا لبعض الوقت وحضر حلقات البحث التى كان يعقدها عالم الأنثروپولوچيا الكبير برونيسلاف مالينوڤسكى، وذلك قبل أن يتوجه إلى ألمانيا، حيث حصل على الدكتوراه واهتم بتفكير وأعمال ڤيبر. بالإضافة إلى ذلك تأثر بعض علماء الاجتماع فى أمريكا بمناهج وأساليب البحث الأنثروپولوچى واستعانوا بها فى بحوثهم الميدانية على ما فعل لويد وورنر **Lloyd Warner** الذى يعتبره الأنثروپولوچيون واحدا منهم ، كما استرشد البعض الآخر بالمدخل البنائى الوظيفى الذى وضع أسسه عالما الأنثروپولوچيا البريطانيان رادكليف - براون ومالينوڤسكى، وذلك على ما فعل تالكوت پارسونز الذى أدخل على أية حال بعض التعديلات على البنائية الوظيفية التقليدية . وقد ظلت البنائية الوظيفية هى المدخل المهيمن على البحوث الاجتماعية فى الولايات المتحدة حتى أواخر الستينيات حين تراجعت - دون أن تختفى تماما - أمام الانتقادات التى وجهت إليها لقصورها عن دراسة التغير واعتبارها مدخلا استاتيكياً قد يصلح لدراسة المجتمعات البدائية والتقليدية البطيئة التغير ولكنه عديم الجدوى بالنسبة لدراسة المجتمعات الصناعية الحديثة أو دراسة التوترات الناشئة عن صراع العرقيات أو دراسة الحركات الاجتماعية الحديثة مثل: الحركة النسوية فضلا عن مشكلات العولمة ، وهى اتهامات يرفضها البنائيون الوظيفيون بطبيعة الحال .

ومهما يكن الأمر فإن جانبا كبيرا من أعمال العلماء الذين يتناولهم المجلد الحالي يميل بشكل واضح إلى اتباع المناهج والأساليب الكمية على اعتبار أنها تضفى المصداقية العلمية الموضوعية على بحوثهم بدرجة لا تتوفر باتباع المناهج والطرق الكيفية ، كما أن الدراسات البنائية الوظيفية تعنى بإبراز التوازن الاجتماعى والتماسك البنائى متأثرة فى ذلك بفكر دوركايم؛ ولذا تتجنب دراسة الصراع الذى تعتبره ظاهرة عابرة وترفض الاتجاهات الماركسية التى تفتقر - فى رأى البعض - إلى الموضوعية العلمية . ولكنَّ عددا كبيرا من العلماء الذين ورد ذكرهم فى هذا المجلد تأثروا بشكل أو بآخر بالنظرية الماركسية. وقد تفاوت اهتمام هؤلاء العلماء فى مجالات البحث بين الدراسة والتحليل على المستوى واسع المدى أى مستوى الدراسات الماكرو، والدراسة على المستوى الصغير المحدود أى المستوى المايكرو. وقد ظهر فى الاتجاه الأول الميل إلى الاستعانة بمجالات العلوم الاجتماعية الأخرى سواء فى جمع المعلومات أو الاسترشاد بنظرياتها فى التحليل مما أدى إلى تداخل علم الاجتماع مع غيره من العلوم الاجتماعية، مثل: الديموجرافيا أو علم النفس الاجتماعى أو حتى البيولوچيا الاجتماعية، وبخاصة فى دراسات الهوية والصراع العرقى وأنماط التفاعل الاجتماعى التى تتولى تشكيل المجتمعات ككل والاتجاهات الجديدة المتأثرة بتيارات العولمة والتحولات الناشئة عنها ، وذلك بعكس بحوث مستوى المايكرو المتأثرة بديناميات الجماعات الصغيرة والبحوث الأنثروبولوچية التى تعتمد على العمل الميدانى والمدخل البنائى الوظيفى.

ولقد ترتب على اتساع مجالات علم الاجتماع وتعدد وتنوع ميادين البحث واختلاف النظريات والمناهج واستعارة مناهج العلوم الأخرى، أن ظهر من يتشكك فى هوية هذا العلم واتهامه بأنه علم بدون هوية واضحة . وهذا أيضا اتجاه قديم بعض الشيء، وكان دافعا إلى البحث عن محددات واضحة لتلك الهوية ومقومات العلم وموقف المشتغلين به إزاء غيرهم من علماء العلوم الاجتماعية الأخرى مثل: الاقتصاد أو حتى الأنثروبولوچيا التى تواجه نفس المشكلة وإن لم يكن بنفس الحدة .. ففى الاجتماع السنوى الذى عقدته الجمعية الأمريكية لعلم الاجتماع American Sociological Society فى

مدينة شيكاغو عام ١٩٥٨ على سبيل المثال ألقى تالكوت پارسونز (الذى يحظى بأكبر مساحة فى المجلد الحالى باعتباره العالم الذى هيمن بكتاباته وأفكاره على علم الاجتماع الأمريكى لفترة طويلة جدا) محاضرة بعنوان "علم الاجتماع كمهنة Sociology as a Profession"، أثارت كثيرا من الجدل حول ماهية علم الاجتماع وميدانه ومناهجه وهل علماء الاجتماع يعتبرون أنفسهم مهذبين يلتزمون بأصول المهنة وقواعدها وطبيعة هذه القواعد فى حالة وجودها ونوع المشكلات التى يجب التركيز عليها حتى ينفرد بطابع خاص وهوية محددة تميزه عن سائر العلوم الاجتماعية الأخرى وهكذا. وكما هو الشأن فى مثل هذه الحالات اختلف الحاضرون وتشعبت بهم الآراء دون الوصول إلى قرار يتفقون عليه، ولا تزال هذه التساؤلات مثارة فى كثير من الأوساط الأكاديمية المهتمة بتحديد الفواصل بين العلوم والتخصصات المتقاربة. وقد تدل هذه المناقشات فى رأى البعض على ثراء ذلك التخصص وأهميته وجدواه رغم كل ما يقال حول عدم وجود هوية متميزة وواضحة المعالم. وكانت النقطة التى لقيت أكبر قدر من الجدل والاختلاف هى: هل يتوفر العلماء على دراسة مشكلات ذات طبيعة معينة بالذات واستخدام مناهج وطرق بحث معينة حتى ولو كان ذلك على حساب النظرة العامة الشاملة إلى الحياة الاجتماعية ككل، والتى تظهر فى كتابات العلماء الرواد الأوائل؟، وهل التخصص الدقيق والدراسة التفصيلية لمشاكل معينة تؤدى فى آخر الأمر إلى تضييق مجال العلم وانعزاله عن التيارات والأحداث العالمية؟ وكيف يمكن التوفيق بين المطلبين مع الأخذ فى الاعتبار ضرورة اتساع الأفق الثقافى لدى العلماء منعا لخطر التمركز حول الذات؟.

ومهما تشعبت الطرق أمام علم الاجتماع والعلماء فى النظرة إلى مفهوم العلم ومجالاته ومشكلاته ومناهج وطرق البحث ونظريات التفسير والتأويل، ومهما اختلفت الآراء حول هويته، فقد كان له فى الماضى ولايزال له حتى الآن ثلاثة أهداف رئيسية متكاملة وإن لم يكن من الضرورى الالتزام بها كلها أو الجمع بينها فى كل البحوث أو المداخل والمقاربات. فهناك من العلماء من يرى أن علم الاجتماع علم إخبارى

أو معلوماتى informative فى المحل الأول ينبغى أن يقنع بجمع أكبر قدر من المعلومات، وبخاصة المعلومات الرقمية والإحصاءات التى تساعد على اتخاذ القرار المناسب إزاء مشكلة معينة بالذات مثل: مشكلات العمل والعمال وما إليها . وهناك على الجانب الآخر من يحدد له هدفا نقديا critical يتمثل فى الموقف النقدى الذى يتبناه الباحث إزاء موضوع البحث والأوضاع غير السويّة التى تحيط به ونوع المعلومات التى يراد الحصول عليها، والتى تكفل الكشف عن ألوان الخلل التى يعانى منها المجتمع ، ولكنّ هناك اتجاهاً آخر يحدد الهدف بأنه مجرد التوصل إلى فهم وتفسير الأفعال والمواقف والعلاقات على مستوى علمى يمكن الاطمئنان إليه . وقد تترابط هذه الأهداف الثلاثة معا مما يزيد من تعقد أساليب ومناهج ومداخل التفسير والتحليل وهو ما يبدو واضحا فى أعمال تالكوت پارسونز على وجه الخصوص . وكل هذه النماذج من علم الاجتماع التى يمكن الوصول إليها عن طريق الربط بطرق مختلفة بين تلك الأهداف الثلاثة (الإخبارى أو المعلوماتى والنقدى والتفسيرى)، وما ينتج عنها أو يترتب عليها من نظريات سواء أكانت كلية شاملة أم فردية ، وسواء أكانت وضعية أم تأويلية تظهر بشكل أو بآخر فى أعمال العلماء الذين تتناولهم المقالات المنشورة فى المجلد الحالى ، وهى تبين على أية حال أن جميع المداخل والمناهج وأساليب جمع المعلومات وتصنيفها وعرضها وتحليلها وتفسيرها مفيدة ومثمرة وتعطى لعلم الاجتماع أبعاداً تجعله قادراً على ملء الثغرات التى تفشل العلوم الاجتماعية الأخرى فى سدّها .

تبقى هناك كلمة أخيرة توضيحية حول اقتصار الترجمة الحالية على تقديم السيرة الذاتية لعشرين عالما فقط من العلماء السبعة والعشرين الذين وردت أسماؤهم فى القسم الخاص بعلم الاجتماع حسب التصنيف الذى جاء فى بداية المجلد الثامن عشر، والذى يميز فى مجال العلوم الاجتماعية بين أربعة عشر مجالاً. والواقع أنه من بين هذه الأسماء يوجد سبعة من العلماء والمفكرين جاءت أسماؤهم ضمن أكثر من علم أو تخصص، كما هو الشأن بالنسبة لكارل ياسپرز الذى ذكر أيضا ضمن الفلاسفة

أو جنار ميردال الذى ظهر اسمه مع علماء الاقتصاد وهكذا . وقد رأينا أن يقتصر العمل الحالى على ترجمة السير الحياتية للعلماء الذين وردت أسماؤهم فى الموسوعة ضمن فئة علم الاجتماع وحده، على أن تتم ترجمة السير الخاصة بالعلماء الآخرين كل حسب مجال تخصصه الأساس ، وهذا هو ما فعلناه فى ترجمة السير الخاصة بعلماء الأنثروبولوچيا، والتى تظهر فى مجلد مستقل.

* * *

والمقالات التى يضمها المجلد الحالى الخاص بتلك المجموعة المنتقاة من علماء الاجتماع المعاصرين تولى كتابتها فريق متميز من العلماء فى أمريكا وأوروبا تحت إشراف الأستاذ ديڤيد سيلز الذى تولى الكتابة عن بول لازرسفلد . كذلك تمّ انتقاء الأساتذة المترجمين بنفس الدقة والعناية وهم جميعا من المتخصصين الثقاة من بين أساتذة الجامعات المصرية والمركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية كما أنهم ، باستثناء واحد فقط ، أعضاء فى لجنة الدراسات الاجتماعية بالمجلس الأعلى للثقافة، وقد وافق أعضاء تلك اللجنة على تبنى المشروع - مشروع ترجمة المجلد الثامن عشر بكافة الفروع التى يضمها - حين اقترحت عليهم بصفتى مقررا لتلك اللجنة القيام بهذه المهمة . فلهم جميعا خالص الشكر على ما بذلوا من جهد .

والله ولىّ التوفيق،

أكتوبر ٢٠٠٩

أحمد أبوزيد

علماء الاجتماع

السير الذاتية

تاريخ حياة	المؤلف	المترجم	صفحة
أبل ، تيودور	روبرت بيرستد	ناهد صالح	17
آنجيل ، روبرت كولى	هارولد بفوتز	هدى مجاهد	29
پارسونز ، تولكوت	مارتن يو. مارتل	أحمد أبوزيد	37
باستيد ، روچيه	آندرو لايونز	نجوى خليل	105
برنارد ، چيسى	چين ليمان– بلومن	أحمد أبوزيد	115
بوجاردس ، إيمورى	توماس لاسويل	فاروق أحمد مصطفى ...	137
بوز ، إن. ك.	آندريه بيتاى	محمد حافظ دياب	145
بيرك ، كنيث	هيلين ميللر	محمد أحمد بيومى	151
توماس ، دوروثى	إفريت إس. لى	ناهد صالح	161
جوريى ، چى . إس.	ديراندرا نارين	هدى مجاهد	171
دود ستيوارت سى.	وياليام كاتون	محمد حافظ دياب	181
ديڤيز ، كنجزلى	ويليام پيترسون	محمد أحمد بيومى	193
شتال ، هنرى إتش.	دانييل شيروت	أحمد أبوزيد	203
ڤانس ، روبرت بى	روبرت سيمبسون	هدى مجاهد	211

فريدمان ، چورچ	چاك دوفنى	سعيد فرح	219
لازارسفلد ، بول ف.	ديڤيد إل . سيلز	سلوى العامرى	231
ليند ، روبرت وهيلين	إيرڤنج لويس هوروڤيتز	أحمد أبوزيد	287
مارشال تى . إتش	كوتلى وستاين روكان	هدى مجاهد	305
وورنر ، لويد	سولون تى. كيمبول	أحمد أبوزيد	315
وتش ، روبرت إف .	لويس وولف جودمان	ناهد صـالح	333

أبل . تيودور

ABEL, THEODORE

ولد تيودور أبل فى لودز ببولندا فى عام ١٨٩٦ لأسرة لها شهرتها فى مجال الصناعة . وبعد إتمام دراسته الثانوية فى عام ١٩١٤ أمضى أربع سنوات فى العمل الصحفى ، وفى أثناء ذلك كان ينشر - أيضا - قصائد شعرية ومقالات فلسفية ، وقد خدم فى الجيش البولندى خلال الحرب البولندية الروسية (١٩١٨-١٩٢٠) ، وكضابط اتصال للرابطة المسيحية للشباب الأمريكى فى عام ١٩٢٠ ، وبعد ذلك مديرا لأنشطتها فى بولندا . ومن عام ١٩٢٠ إلى ١٩٢٣ درس القانون والفلسفة على يد ليون بترازيكى Leon Petrazycki بجامعة وارسو ، والفلسفة وعلم الاجتماع على يد فلورين زنانيكى Florian Znaniecki بجامعة بوزنان . وفى عام ١٩٢٣ هاجر إلى الولايات المتحدة الأمريكية ، وبحصوله على منحة جلدر Gilder درس علم الاجتماع على يد فرانكلين هـ . جيدنجز Franklin H. Giddings ووليام فيلدنج أوجبرن William Fielding Ogburn بجامعة كولومبيا ، والتى حصل منها فى عام ١٩٢٩على درجة الدكتوراه .

وقد بدأ أبل مسيرته الأكاديمية بجامعة إلينوى ، حيث قام بالتدريس من عام ١٩٢٥ إلى عام ١٩٢٩ ، ثم عاد إلى جامعة كولومبيا، وظل بها من عام ١٩٢٩ إلى عام ١٩٥١ . وفى العام الأخير ، أصبح أستاذا ورئيسا لقسم علم الاجتماع بكلية هانتر بجامعة مدينة نيويورك ، وظل محتفظا بمنصبه هذا حتى تقاعده فى عام ١٩٦٧ . وقد أمضى أبل سنوات ما بعد التقاعد فى التدريس بجامعة نوتردام ، وبجامعة ووترلو (كندا) ، وبجامعة نيومكسيكو . وظل لعدة سنوات عضوا بمجلس إدارة معهد رعاية المهاجر Institute of Immigrant Welfare . كما عمل - أيضا - خلال الحرب العالمية الثانية بمفوضية هوفر لتحرير بولندا Hoover Commission for Polish Relief . وقد تولى فى عام ١٩٥٧/١٩٥٨ رئاسة الجمعية

السوسيولوجية الشرقية Eastern Sociological Society، وحصل في عام ١٩٦٩على جائزة الجدارة الخاصة بها .

ومع أن أبل كان يعد في المقام الأول منظرا سوسيولوجيا ، فإنه قام بالعديد من الإسهامات في البحث السوسيولوجي ، كان أولها دراسة للمهاجرين البولنديين في مجتمع محلي زراعي بنيو إنجلند ، اكتشف من خلالها أن المهاجرين إلى هذه المنطقة الريفية كانوا أسرع تكيفا من الذين استقروا في مجتمعات حضرية مثل: شيكاغو وديترويت ، كما أن الجيل الثاني منهم أظهر - أيضا- ميلا أقل للانحراف والجريمة من الجيل الثاني للذين استقروا في مجتمعات حضرية (a 1929).

والدراسة الثانية أجريت تحت رعاية معهد البحوث الاجتماعية والدينية ، وكان عنوانها الإرساليات الوطنية البروتستانتية للمهاجرين الكاثوليك Protestant Home Missions to Catholic Immigrants (1933)، فقد خشى قادة الكنيسة البروتستانتية (وخاصة من الكنيسة المشيخية ، والمعمدانية ، والميثودية) من أن يؤدى تدفق المهاجرين من الدول الكاثوليكية - تشيكوسلوفاكيا ، والمجر ، وإيطاليا، وبولندا ، وروسيا ، والمكسيك - إلى تغيير الطابع البروتستانتي للثقافة الأمريكية . وبناء على ذلك ، فقد شيَّدوا أكثر من ألف "إرسالية" ، خاصة في المدن التي تقيم بها أعداد كبيرة من هؤلاء المهاجرين ، وخصصت هذه الإرساليات - ظاهريا - لأغراض خيرية واجتماعية ومدنية ، ولكنها كانت في حقيقة الأمر معنية بالعمل على تحول المهاجرين الكاثوليك إلى البروتستانتية . وقد درس أبل حوالي ١٥٠ من هذه الإرساليات بواسطة الاستبار، والاستمارة الإحصائية ، والاستبيان، وتاريخ الحياة ، حيث تبين له عدم دلالة نجاحات هذه الإرساليات ، فمن بين ثلاثمائة مهاجر تحول واحد فقط إلى البروتستانتية . وقد استطاع أبل أن يستكشف أسباب فشل هذه الحركة ، فالروابط بالكنيسة السلفية كانت قوية للغاية ، خاصة وأن الانتماء الديني يعني - أيضا - الولاء لجماعة إثنية .

فى هذه الدراسة اتبع أبل المنهج الذى طوره كل من و. أ . توماس W. I. Thomas وفلوريـــن زنانيكـــى فـــى دراستـهـمـا عـــن الفـلاح البـولنـدى The Polish Peasant (1918-1920)، واستفاد- أيضـا- مـن تاريخ حياة كل من العاملين بالإرسالية ، والمهاجرين الذين تحولوا إلى البروتستانتينية ، كمصدر للبيانات السوسيولوجيـة ، ونشـــر فـى الكتاب السيـرة الذاتية لقس بروتستانتى مهاجر immigrant minister. وقـــد وسع أبل ، ونقح هذا المنهج فى دراستـه عـن لماذا جاء هتلر إلى السلطـة Why Hitler came to Power (1938). وقد استطاع أبل عن طريق تقديمه جوائز نقدية لأفضل تواريخ حياة شخصية للذين انضموا إلى الحزب الاشتراكى القومى قبل عام ١٩٣٣، أن يجمع أكثر من ستمائة شخص من هؤلاء ، واستفاد منهم فى الإجابة عن السؤال الذى طرحه عنوان دراسته. وفى رفضه لكل من التفسيرات الخاصة بالتحليل النفسى وبالماركسية لقيام حركة هتلر، انتهى أبل فى تفسيره لذلك بمجموعة من العوامل المشتركة تتضمن : عدم الرضا عن وضع ألمانيا فى العالم بعد الحرب العالمية الأولى ، والإيديولوجيـا (بما فى ذلك معـاداة الساميـة) التى تؤكد وحدة الشعب الألمانى German Volk، والمهارة التنظيمية لقادة الحزب ، وأخيرا كاريزمة هتلر نفسه. وقد تناول ب. هـ ميركل P. H. Merkl بالتحليل الإحصائى - فيما بعد - تواريخ الحياة الستمائة التى جمعها أبل ، والتى ضمـن كتابه ستة منها، حيث اكتشف أن معاداة - الماركسية anti-Marxism كانت دافعا أكثـر أهميـة من معاداة - السامية anti-Semitism وفقا لإجابات الأعضاء القدامى فى الحزب. (Merkl 1975).

وقـد أخـذ أبل على عاتقه ، فى رسالته للدكتوراه التى حصل عليها من جامعة كولومبيا بعنوان علم الاجتماع النسقى فى ألمانيا Systematic Sociology in Germany، أن يقـــدم للقارئ بالإنجليزية أعمال جورج زيمل George Simmel، وألفريد فيركانت Alfred Vierkandt، وليوبولد فون فييزا Leopold Von Wiese، وماكس فيبر Max Weber . ولم تكن رسالة الدكتوراه

هذه بمثابة تعريف بأعمال هؤلاء الكتاب فحسب ، بل كانت تمثل جهدا للحكم على نجاح كل منهم فى إقامة علم الاجتماع كعلم مستقل له موضوعه الخاص . وقد حكم أبل على أعمالهم هذه فى حدود أربعة معايير لمصداقية النسق العلمى هى : (١) تحديد موضوع العلم بشكل دقيق . (٢) مهام للبحث لها ما يبررها . (٣) قاعدة أساسية لتنظيم موضوع العلم . (٤) مناهج ملائمة للبحث . ومن ثم ، فقد نبذ أبل الجدل حول ما إذا كان علم الاجتماع علما اجتماعيا عاما أم خاصا ؛ على أساس أنه جدل غير واقعى ، وأن علم الاجتماع هو الاثنان معا .

وفيما يتعلق بزيمل ، انتهى أبل إلى أن التمييز الأساسى بين الشكل والمضمون يتعذر الدفاع عنه ، وأن الإجراء الذى اتبعه زيمل فى ذلك كان إجراء فلسفيا أكثر منه إجراء علميا ، وأن زيمل نفسه لم يكن قادرا على معالجة الشكل بصورة مجردة عن المضمون ، بل والأكثر من ذلك ، أن التحليل الملائم لموقف اجتماعى يتطلب مراعاة إطاره التاريخى . وذهب أبل إلى أنه يوجد فى الواقع تعارض بين نظرية زيمل وبين ممارسته ؛ وهو تعارض يقلل من أهمية إسهامه فى علم الاجتماع .

وبالمثل ، كان أبل ناقدا لفيركانت ، فالمنهج الفينومنولوجى الذى اقترحه لم يعجل بتأسيس علم الاجتماع كعلم مستقل . فمنهجٌ يهتم كليةً بالحالات العقلية "وبالخبرات الداخلية" يمكن أن يفضى – فقط – إلى علم نفس وصفى ، لا يقدم سوى القليل للتحليل السوسيولوجى . وعلى أية حال ، فإن أبل كان متشككا بالنسبة للمصداقية العلمية للمنهج الفينومنولوجى ، وذهب إلى أن فيركانت – ومثله فى ذلك مثل زيمل – كان يوجه علم الاجتماع وجهة فلسفية وتأملية لا وجهة علمية ، ولم يقدم أى إسهام لمنهجية علم الاجتماع ، بل إن أعماله تحدد الطريق الذى لا ينبغى لعلم الاجتماع أن يسلكه – ولا يحتاج أن يسلكه – إذا كان عليه أن يصبح علما .

وعلى العكس من ذلك ، فإن فون فييزا وضع علامة جديدة فى علم

الاجتماع الألمانى عندما تخلى عن مناهج الاستبطان والفينومنولوجيا ، وتبنى المناهج السلوكية والكمية . ويوافق أبل على تأكيد فييزا أن الترابط والتفكك خصوصية سوسيولوجية Specificum Sociologicum . وعلى الرغم من عدم نجاح جهود فييزا بالنسبة التكميم ، وعلى الرغم من أنه كانت له وجهات نظر خاطئة عن طبيعة القياس ، فإن أبل أعطاه - مع ذلك - درجات عالية لإسهاماته فى علم اجتماع يمكن أن يكون موضوعيا وعلميا.

أما فيبر ، فإنه يتخطى القيود التى وضعها أبل ، ويحصل بالفعل على أعلى تقديراته . فمن بين الكتّاب الأربعة ، يعطى أبل مرتبة أعلى لفيبر وفون فييزا من تلك التى يعطيها لزيمل وفيركانت ، وهو تقييم كان يتعين عليه تعديله . لقد كانت تفضيلات أبل من أجل علم اجتماع موضوعى وعلمى واضحة . وكان لتمكنه من الأدبيات الألمانية فى كل من الفلسفة وعلم الاجتماع - ولا نقول لتضلعه فيها ، ولعرضه الواضح لأفكار كتابه الأربعة ، أن جعل من رسالته للدكتوراه واحدة من أكثر النصوص فائدة فى زمنها - زمن حيث كان القليل من الأعمال الألمانية قد ترجم إلى الإنجليزية .

وفى عام ١٩٧٠، نشر أبل كتابا آخر فى النظرية بعنوان "تأسيس النظرية السوسيولوجية The Foundation of Sociological Theory. ويعنى أبل بالنظرية المفاهيم المستخدمة فى تحليل وتأويل البيانات ، وهذه المفاهيم من نوعين : المفاهيم التى تستخدم فى التصنيف ، وتلك التى تستخدم كمتغيرات فى الافتراضات العامة . وبناء على ذلك ، فإن النظريات هى الأطر النظرية التى صممت لتفسير القوانين السوسيولوجية . وهى تتفاوت - إلى حد كبير- بالنسبة للعمومية ، والدقة ، والقابلية للاختبار ، والبلورة ، والقدرة التنبؤية ، وهى تنتظم على متصل وفقا لهذه الخصائص . وبعد أن افترض أن مؤسسى العلم فى القرن التاسع عشر كانوا إما تركيبيين أو إكلينيكيين بالنسبة لاهتماماتهم ، فإنه يكتشف مدخلا جديدا، هو مدخل تحليلى ، فى كتابات دوركايم Durkheim وزيمل

وفيبر ، والتى تكمل بعضها بعضا . وبناء على ذلك ، خصص نصف كتابه لمعالجة الإسهامات التحليلية لهؤلاء الكتّاب الثلاثة . إلا أنه ، مع ذلك ، لم يتناول المجموعة الكاملة لأعمالهم ، وإنما اقتصر- فقط - على تلك الجوانب التى تسهم فى نمو النظرية السوسيولوجية . ويؤكد أبل أن المؤرخين الذين ينسبون هؤلاء الكتاب إلى مدارس مختلفة مخطئون ، فهم على العكس من ذلك متعاونون فى تنمية نظرية سوسيولوجية ، وفى إيجاد أساس واحد لها، ولكى يصل أبل إلى هذه النتيجة ، كان عليه أن يقلل من شأن الاختلافات ، وأن يؤكد على الاتفاقات التى بينهم .

فعلى سبيل المثال ، فإن رؤية فيبر الاسمية للواقع الجمعى لا تختلف كثيرا عن رؤية دوركايم الواقعية ، خاصة عندما تفحص بدقة المقولات الأكثر اعتدالا لكل من المؤلفين . فعلم اجتماع الفهم Verstehende Sociology لفيبر ليس متعارضا بالضرورة مع علم الاجتماع الذى ينحو إلى الوضعية لدوركايم . كما أن التحرر من القيمة Wertfreineit عند فيبر هى بمثابة إعادة صياغة لدعوة دوركايم لمعالجة الظواهر الاجتماعية كأشياء . وأشكال التماسك لدوركايم ، هى الأنماط المثالية الفيبرية ، وكذلك أيضا أنماط الانتحار لدوركايم . وبنفس الطريقة ، فإنه يمكن إيجاد التشابهات بين دوركايم وزيمل ، وبين فيبر وزيمل ، ومن ثم فإن الثلاثة جميعا يشتركون فى مجموعة من الأفكار ، التى أصبحت بدورها أساسا لنظرية سوسيولوجية حديثة .

وقد عاد أبل فى النصف الأخير من كتابه لتمييزه بين مداخل علم الاجتماع التركيبية والإكلينيكية والتحليلية ، وأوضح أن الكتّاب الذين يرتبطون عادة بالمدخل الأول - أوجست كونت Auguste Comte، وهربرت سبنسر Her bert Spencer فرديناند تونيس Ferdinand Tonnies، وفرانكين هـ . جيدنجز. Franklin H Giddings، وتشارلز هـ . كولى - Charles H. Cooley، عجلوا بقيام المدخل الثالث ، أو قدموا إسهامات فيه . ويستمر أبل فى عرضه ليقدم مناقشات مختصرة للإسهامات

التحليلية لكتّاب آخرين ، مثل : فيلفريدو باريتو Vilfredo Pareto، وفلورين زنانيكي ، وتالكوت بارسونز Talcott Parsons، وبيترم أ. سوروكين Pitirim A. Sorokin، وجورج س . هومانز George C. Homans، وروبرت ك . ميرتون Robert K. Merton، وليوليولد فون فيزا Leopold von Wiese . وقدم في سياق آخر بول ف .لازرسفلد Paul F. Lazarsfeld، وستيورات دود Stuart Dodd، وروبرت م . ماكيفر Robert M. MacIver . وقد اهتم في قسم تال بخصائص وأنماط القوانين السوسيولوجية ، ودافع في خاتمة الكتاب عن مكانة علم الاجتماع كعلم .

ولا تقتصر إسهامات أبل على كتبه ، إذ نشر عددا من الأوراق المتفرقة عن النظرية السوسيولوجية ، كان أكثرها تأثيرا ورقته عن الفهم (١٩٤٨) . Verstehen ومع أن أبل كان منغمسا في تراث الفكر الألماني الفلسفي والسوسيولوجي ، وواعيا بالأهمية المنهجية للأخير ، فإنه مع ذلك جذبه الطابع الأكثر موضوعية بل وسلوكية لعلم الاجتماع الأمريكي . هل هناك طريقة ما للتوفيق بين الاثنين ؟ كيف يمكن ربط الاستبصار والفهم un-derstanding "بتفسيرات" العلوم الوضعية ؟ لقد اهتم أبل بهذين السؤالين في العديد من أعماله .

ولقد أوضح أبل أولا ، في الورقة السابق ذكرها، أن أصول الفهم توجد ، على أية حال ، عند كتاب ألمان مثل: فيلهلم ديلتاي Wilhelm Dilthey وفيبر . وأن بعض بداياته توجد في الواقع عند جيوفاني باتستا فيكو Giovanni Battis-taVico، وكونت . فالأول كان يرى أن البشر لديهم نوع خاص من المعرفة عن أنفسهم ، بينما يرى الثاني أن لدينا معرفة عن الطبيعة الإنسانية ، التي تختلف بشكل ما عن معرفتنا بطبيعة العالم الفيزيقي وبعض الكتّاب الأمريكيين مثل: كولي بمعرفته "النزوعية "emphatic، وزنانيكي "بنظريته عن المعامل الإنساني "humanistic coeffi-cien، وسوروكين "بمنهجه ذي الدلالة المنطقية "Logicomeaningful method، وماكيفر "برأيه عن إعادة البناء التخيلي " imaginative reconstruction،

يرون جميعا أن ثمة منهجا أو مدخلا خاصا - يرفضه دارسو العالم الطبيعي - يفرض نفسه على الباحثين فى العالم الاجتماعى . وقد أطلق هؤلاء الكتاب ، وغيرهم ، أسماء مختلفة على ذلك المنهج ، ولكنهم جميعا يرون أن هناك شيئا ما به يرتقى إلى مكانة المنهج .

ومما يؤسف له ، أن هؤلاء الكتاب فشلوا فى أن يحددوا - بالتفصيل - الإجراءات التى يجب اتباعها عند استخدام هذا المنهج ، وهو قصور أقدم أبل على معالجته ، فمن خلال تحديده للإجراءات المتضمنة فى المنهج ، كما فعل هو نفسه بمساعدة الأمثلة التوضيحية ، أمكنه أن يبين كيف يمكن للمرء أن يستدمج السلوكيات المشاهدة ، وأن يطبق عليها المبادئ الأساسية maxims للسلوك المستمدة من الخبرات العامة ، والشخصية . فإذا كان التكنيك الإحصائى يكشف مثلا عن وجود ارتباط قوى بين إنتاجية المحصول ومعدلات الزواج ، فإنه يمكننا القول إننا نفهم العلاقة بينهما ؛ لأن لدينا قاعدة سلوكية أساسية تقول لنا إنه عندما يشعر الناس بالانتعاش الاقتصادى ، يكونون أكثر استعدادا للتقيد بالالتزامات ، عنهم فى حالة عدم الشعور بذلك الانتعاش . "فالفهم Understanding " هو عملية ربط الملاحظة بالقاعدة الأساسية ، وبقول آخر ، فإن الفهم Verstehen يستدعى إلى الوعى ، ويوضح تماما، القاعدة الأساسية التى تربط بين إدراكاتنا للمثير والاستجابة له . ويعد هذا أمراً ضروريا - على وجه خاص - عندما يكون السلوك الملاحظ غير متواتر أو مألوف ، وعندما تكون العلاقات (بين المثير والاستجابة) مختلفة عن تلك التى قد نتوقعها. لذلك فإن الفهم يتضمن ثلاث خطوات هى : (١) استدماج in-ternalizing المثير. (٢) استدماج الاستجابة. (٣) تطبيق قواعد سلوك أساسية behavior maxi. ومع ذلك ، فإن التقنيات التى بمقتضاها نقوم بهذا ، هى فى ذاتها تقنيات غير محددة . فهى أمور خاصة بالخيال الوجدانى Sympa-thetic imagination، وبإدخال خبرتنا الذاتية فى الموقف ، وهذا هو ما يحدث عادة بالنسبة للدوافع . مصدر قواعد

السلوك الأساسية لا يوجد فى العلم ولكن فى الخبرة الذاتية . ومن ثم ، فإن عملية الفهم هى تطبيق الخبرة الذاتية على السلوك الملموس .

بيد أن للمنهج أوجه قصور معينة . فالخبرة الذاتية قابلة للتغير ، وتتوقف نوعيتها على قدرة الاستبطان لدى القائم بالتفسير ، والمنهج يذهب إلى وجود علاقات (بين المثير والاستجابة) ، إلا أنه يعجز عن التحقق من مصداقيتها . فضلا عن ذلك ، فإن العلاقة تكون علاقة محتملة فقط ، ولتحديد احتماليتها، فإننا نحتاج إلى استخدام المناهج الأكثر موضوعية الخاصة بالتجربة وبالمقارنة . فقد يعطينا الفهم قدرا من الرضا الذاتى ، ولكنه لا يضيف شيئا بالنسبة لمصداقية الافتراضات التى نفكر فيها ؛ ولذا انتهى أبل إلى أن الفهم لا يمكن أن يصلح منهجا للتحليل العلمى ، ولا يمكنه أن يضيف إلى رصيد معرفتنا .

إن ما انتهى إليه أبل كان أمرا غير متوقع ، فعنوان ورقته يدفع إلى الاعتقاد بأنه عن طريق "التحويل الإجرائى Operational-izing" للفهم يمكن أيضا تحقيق مصداقيته كمنهج . وعلى الرغم من الرغبة فى التسليم بأن الفهم يخلصنا من الشعور بالقلق عندما نواجه ما هو غير مألوف، فقد أصر أبل – مع ذلك – على أنه مجرد وسيلة لاستخدام المعرفة التى سبق أن اكتسبناها بالخبرة الذاتية . وقد دفعت ردود أفعال بعض النقاد بأبل ، أن يوضح موقفه أثناء رده عليهم ، وأن يميز بين عدة معان مختلفة للفهم ، وأن يؤكد مرة أخرى أن المنهج هو المصدر الرئيسى للفروض ، وأن يوضح تماما دوره كأداة لاغنى عنها فى دراسة الظواهر الاجتماعية .

وعلى الرغم من أن أبل نفسه لم ينشئ نظرية سوسيولوجية نسقية ، فإن عرضه ونقده لنظريات الآخرين – وخاصة أعماله عن الفهم – أكسبه موضعا معترفا به فى تاريخ العلم .

المؤلف : Robert Bierstedt

المترجم : ناهد صالح

WORKS BY ABEL

1929*a* Sunderland: A Study of Changes in the Group Life of Poles in a New England Community. Pages 213–243 in Edmund deS. Brunner (editor), *Immigrant Farmers and Their Children.* New York: Doubleday.

(1929*b*) 1965 *Systematic Sociology in Germany: A Critical Analysis of Some Attempts to Establish Sociology as an Independent Science.* Studies in History, Economics and Public Law, No. 310. New York: Octagon.

1930 The Significance of the Concept of the Consciousness of Kind. *Social Forces* 9:1–10.

1933 *Protestant Home Missions to Catholic Immigrants.* New York: Institute of Social and Religious Research.

1937 The Pattern of a Successful Political Movement. *American Sociological Review* 2:347–352.

(1938) 1966 *The Nazi Movement.* New York: Atherton. → First published by Prentice-Hall as *Why Hitler Came Into Power: An Answer Based on the Original Life Stories of Six Hundred of His Followers.*

1941 The Element of Decision in the Pattern of War. *American Sociological Review* 6:853–859.

1945 Is a Psychiatric Interpretation of the German Enigma Necessary? *American Sociological Review* 10:457–463.

1948 The Operation Called *Verstehen*. *American Journal of Sociology* 54:211–218.

1952 The Present Status of Social Theory. *American Sociological Review* 17:156–164.

1959 The Contribution of Georg Simmel: A Reappraisal. *American Sociological Review* 24:473–479.

1967 A Reply to Professor [Murray L.] Wax. *Sociology and Social Research* 51:334–336.

1970 *The Foundation of Sociological Theory.* New York: Random House.

1971 Social Science in Poland. Pages 415–425 in Damian S. Wandycz (editor), *Studies in Polish Civilization.* New York: Institute on East Central Europe of Columbia University and the Polish Institute of Arts and Sciences in America.

1975 *Verstehen* I and *Verstehen* II. *Theory and Decision* 6:99–102.

SUPPLEMENTARY BIBLIOGRAPHY

MERKL, PETER H. 1975 *Political Violence Under the Swastika: 581 Early Nazis.* Princeton Univ. Press.

RITZER, G. 1976 Sociology—Multiple Paradigm Science. *Sociology and Social Research* 60:353–354.

THOMAS, WILLIAM I.; and ZNANIECKI, FLORIAN (1918–1920) 1958 *The Polish Peasant in Europe and America.* 2 vols. 2d ed. New York: Dover. → Unabridged edition of the original five-volume work.

آنچيل روبرت كولى

ANGEL, ROBERT COOLEY

تعكس حياة وأعمال روبرت كولى أنچيل فى عدة مجالات مسيرة علم الاجتماع منذ بداياته الأولى الغامضة فى الجامعات الأمريكية فى الربع الأول من القرن العشرين ، وحتى استتب وضعه وتأسيسه وانتشاره الواسع بعد الحرب العالمية الثانية . وقد ولد أنچيل عام ١٨٩٩ فى ديترويت ، ميشجان ، وهو سليل لعائلة أمريكية قديمة وذات مكانة رفيعة : فالجد والخال كانا من رؤساء جامعتى ميشجان ويال على الترتيب، بينما كان الجد الثانى والوالد والأخ من المشتغلين بالمحاماة . وقد أمضى أنچيل نفسه نصف عام دراسى فى كلية القانون جامعة هارفارد ، ثم التحق بعد التخرج من جامعة ميشجان عام ١٩٢١ بالقوات الجوية فى الجيش الأمريكى . اختار أنچيل علم الاجتماع موضوعا لأعمال التخرج تحت تأثير عمه شارلز هورتن كولى القوى الذى كان – فى ذلك الوقت – من الرواد الأوائل لعلماء الاجتماع الأمريكيين . وقد تلقى تدريبه النظرى والبحثى – تحت إشراف كولى – فى جامعة ميشجان ، وحصل على أول درجة للدكتوراه فى علم الاجتماع عام ١٩٢٤ منحتها تلك المؤسسة .

اهتم كولى بموضوعات أهمها : "السمات العقلية" **mental character** للحياة الاجتماعية ، والمجتمع كائن حى أخلاقى **moral organism**، اللذين ارتبطا معا واتسع مجالهما بفضل وسائل التواصل الحديثة ، وأصبحا بعد ذلك من القضايا الأساسية الشاغلة لحياة أنچيل وأعماله . كذلك تأثر بالنصائح المنهجية والوصايا المقدمة من كولى عن ضرورة تحديد مجال محدد للدراسة والتعمق فى بحثه وتفسيره على أساس ذلك التحديد . وقد أخذ ذلك مأخذ الجد وهو لا يزال طالبا بالدراسات العليا ، بينما عمل أنچيل – بعض الوقت – مساعدا لعميد الطلاب

بجامعة ميشجان ، وأعد رسالة الدكتوراه عن عقل الطالب The Student Mind وقاده ذلك إلى التركيز على علم الاجتماع التربوى ، ونجم عن ذلك نشر مؤلف "الحرم الجامعى" "Campus عام ١٩٢٨ ، ومؤلف آخر عن دراسة "التكيف الجامعى" "-A Study in Under graduate adjustment عام ١٩٣٠ . وتأكيدا لولائه لكولى ، خصص نشاطه للمحافظة على فكره حقا عن طريق تجميع الأوراق العلمية الأساسية لكولى ونشرها فى كتاب " النظرية السوسيولوچية والبحث الاجتماعى" "Sociological Theory and Social Research (1930) "، كما أصدر - كمؤلف مشارك - مرجعا أساسيا ضم معظم الأعمال العلمية التى سبق نشرها لكولى (Cooley, Angell, Carr 1933)

تابع أنجيل - أيضا - الاتجاهات الإمبيريقية والإحصائية الحديثة فى علم الاجتماع ، التى كان قسم الاجتماع بجامعة شيكاغو يعمل على تطويرها وكان كثير من أعضائه زائرين للقسم فى جامعة متيشجان ، وترتب على هذه المتابعة محاولة أنجيل المزاوجة بين الذاتية المتجانسة لمدخل دراسة الحالة والتحليل الإحصائى لعينات كبيرة الحجم ، فى محاولة للتعرف على العوامل المسببة والفاعلة فى الموقف الاجتماعى . وأصبحت المذكرة المفسرة والمقترحة لمناهج البحث التى وضعها عام ١٩٣١ هى النموذج لإسهاماته الكلاسيكية فى المنهج كما ظهر فى كتاب" الأسرة تتحدى الكساد" "The Family Encounters the Depression والتنبؤ بنمط تكيف الأسرة لمواجهة الكساد ، وذلك لقياس بعض سمات الأسرة مثل: التماسك integration، والتكيف adaptability، واعتبرت ملاحق الدراسة النموذج الأمثل للمصداقية فى إطار الخطوات المنهجية الحقيقية . وبعد عدة سنوات تعاون أنجيل فى إصدار رؤية نقدية لاستخدام الوثائق الشخصية فى العلوم الاجتماعية ، فقد لاحظ أن استخدام الوثائق الشخصية فى

علـم الاجـتـمــاع يتـسـم بالتـقـدم البطـيء، ولكـنـه غـيــر مــؤثــر (Goltschalk & Angell 1954, p. 226) وقد أكد (كما قد فعل كولى) الإنجاز الذى تحقق مقارنا بالاتجاه الراهن فى دراسة المتغيرات الموضوعية للكشف عن الجوانب الخفية فى العلاقات الإنسانية .(Ibid., p. 232)

وكعضـو فى القـسم فى جامـعـة متيشجان لمدة ٤٦ عاما ، شاهد أنجيل مبكرا السمات والاهتمامات العالمية التى ميزت - فيما بعد - مجال تخصصه . وكان قد زار أوروبا ثلاث مرات قبل عام ١٩٤٠ ، والتقى مع بعض علماء الاجتماع البارزين فى فرنسا وألمانيا . ومنذ ذلك الحين ، انتقد تفاؤل كولى عن مستقبل المجتمعات الديموقراطية ، وأعاد النظر فى رؤية كولى للجماعات الأولية كضامن للمشاعر الأخلاقية المؤثرة فى تكامل وتماسك المجتمع . وقد وجه جهوده نحو اختبار المشكلة الأكبر عن التماسك الاجتماعى (متأثرا فى ذلك بمعالجة بارسونز فى عام ١٩٣٧ لمفهوم التماسك الآلى عند دوركايم) وانشغل بهذا الموضوع - بعد ذلك طوال مسيرته العلميـة . وفى مـؤلفـه عن "تماسك المجتمع الأمريكى "The Integration of American Society" عام ١٩٤١ ، حاول تصنيف الأدبيات الاجتماعية المرتبطة بموضوع إذا ما كان لتدهور المجتمعات المحلية والجوار علاقة بتدهور التماسك فى المجتمع الأمريكى . وذهب إلى أن تزايد الجماعات الحرة Free standing group التى تؤدى وظائف خارج نطاق الأسرة فشلت فى المحافظة على القيم والمبادئ العامة والمؤسسات التى اعتبرت - من وجهة نظره - القاعدة الأساسية للتماسك الاجتماعى ، ولاحظ على وجه الخصوص ميل هذه الجماعات إلى اتخاذ طابع الطبقة Class character والتأكيد بالتالى على الاهتمامات غير العادية أو الشائعة والقضاء على القيم العامة . وقد انتهى إلى أن المهمة الأساسية للمجتمع الأمريكى - فى سياق الكساد الاقتصادى - تتجه نحو تعزيز الفهم عبر الطبقات .

كان هذا الجهد بالضرورة وصفياً ونظريا ، وكانت الخطوة التالية هى التركيز على دراسة تحليلية للمشكلة فى مجال توافرت فيه بيانات إمبيريقية ذات دلالة، ألا وهى المدينة الأمريكية الكبيرة . ومنذ عام ١٩٤٢ ، وعلى مدى ثلاثين عاما ، قدم سلسلة من الأوراق والدراسات العلمية ؛ للتعرف على المحددات الأساسية للتماسك الاجتماعى ، وقياس ومقارنة درجة التماسك بين عينات مختارة من المدن . واكتشف أن الحراك الرأسى وغير المتجانس يفسر ٦٢٪ من المتغيرات. وتأثر عمل آنجيل العلمى بعمله كضابط فى القوات الأمريكية – للمرة الثانية – خلال الحرب العالمية الثانية . ثم عاد واستأنف عمله عام ١٩٤٧، وحدد أربع مدن ممثلة للدرجات العليا للتماسك الاجتماعى لم يكن قد تنبأ بها خلال تحليلاته السابقة . وقد أتاح له ذلك فرصة أخرى للعمل – وفقا لتقاليد كولى – فى أربع دراسات حالة تهدف إلى التعرف على المحددات الاجتماعية – النفسية للتماسك الاجتماعى .

وفضلا عن ذلك ، وفى ضوء المؤشرات السلبية والإيجابية – بعد تعديلها وصقلها – فى الدراسة التى أجراها عام ١٩٤٩ مشيرا إلى أن المجتمع يؤلف نظاما أخلاقيا بصرف النظر عن مسألة درجة التماسك فى العلاقات بين الأشخاص . ورغم التقرير الشامل الذى نشره وحدد فيه سمات وخصائص الريادة فى المجتمع ، فإنه لم يصل إلا إلى الأنشطة التنظيمية – فى المدارس والكنائس – التى لها علاقة بدرجة التكامل والتماسك الأخلاقى للمدينة (١٩٥١) . كرر آنجيل – وفقا للمقولة النظرية عن التماسك الاجتماعى – رؤيته عن مركزية المفهوم بالنسبة للنظام ، مميزا بين ثلاثة أنماط فرعية (المعيارى ، الوظيفى ، الاتصالى) ، ورغم ذلك انتهى – مرغما – إلى أن المفهوم لازال فى بدايته "Sofar has little Fruit" (1968 b, p. 386). وتوصل فى دراسته الأخيرة إلى أن التماسك الأخلاقى فى المجتمعات الأمريكية تعرض للتعويق خلال الفترة ١٩٤٠ – ١٩٧٠، وأصبحت المجتمعات متقاربة

ومتشابهة فى التماسك الأخلاقى، فقد ازدادت صعوبة دراسة التماسك الأخلاقى فى مثل هذه المجتمعات بعد ازدياد حجم سكان المدينة بما يفوق مائة ألف نسمة (١٠٠,٠٠٠ نسمة) واعتبر متغيرا مستقلا .(p.628) 1974

وليس من شك فى أن أنجيل تأثر بتجربة الحرب العالمية الثانية ، واستشعر - من خلال تلك التجربة - المشكلة الكبرى، وهى السلام الدولى . ورغم استمرار جهوده فى مجال التماسك والتكامل الأخلاقى ، ومستقبل الديموقراطية فى المدن الأمريكية (١٩٥٨) ، فإن اهتمامه بالنظام العالمى قد تجلى فى نشاطه كمدير لمشروع التوترات Tensions التابع لبرنامج العلوم الاجتماعية للمنظمة التربوية والعلمية والثقافية للأمم المتحدة، وربما تكون خبرته من إقامته فى باريس لمدة سنة ساعدت فى اختيار الرئيس هارى ترومان عام ١٩٥١ له كعضو بارز فى اللجنة الوطنية للولايات المتحدة فى منظمة اليونسكو.

وفى الوقت ذاته ، عرفت إسهامات أنجيل ومهاراته القيادية - بين أقرانه - من خلال رئاسة تحرير مجلة " The American Sociological Review ورئاسة الجمعية الاجتماعية الأمريكية عام ١٩٥١ ، ورئاسة الرابطة الاجتماعية الدولية ١٩٥٣، وقد أفلح أثناء رئاسته لقسم الاجتماع بجامعة ميشجان فى الفترة من ١٩٤٠-١٩٥٢ فى ضم عدد من العلماء للكلية وهم ثيودور م . نيو كومب Theodore M.Newcomb، هوراس م .ماينر Horace M. Miner رونالد فريدمان Ronald Freedman، جاى إ. سوانسون Guy E. Swanson، موريس جانوفيتز Morris Jonowitz، چيرهارد إ. لينسكى Gerhard E. Lenski. وأخيرا وتمشيا مع اهتماماته فى مجال النظام العالمى والسلام العالمى ، لعب دورا بارزا فى تأسيس وإدارة مركز "بحوث حل الصراع " Conflict Resolution ومجلة حل الصراع " The Journal of Conflict Resolution وقام ببحوث وتقديم

استشارات للقوات البحرية الأمريكية ، ومؤسسة الدفاع فى بداية الستينيات وقد تطلب عمله - فى هذا المجال - السفر إلى روسيا لمدة شهر وزيارة عدد من الجامعات الروسية ، وأصدر على هديها كتابا عن "السلام على الطريق" "Peace on the Marche" عام ١٩٦٩، واهتم ذلك الكتاب بدراسة تأثير الاتصالات المتبادلة على المشاركين وصناع القرار.

وفى عام ١٩٦٩ - قبل تقاعده - أصبح مديرا لمشروع الرابطة الاجتماعية عن "الموارد الاجتماعية للمدارس الثانوية" ، وهو مشروع موجه نحو تطوير ودراسة المواد الاجتماعية فى المدارس الثانوية وهو ما يعتبر عودة إلى بداية اهتماماته الأساسية بعلم الاجتماع التربوى.

المؤلف HAROLD W. PFAUTZ
المترجم : هدى مجاهد

WORKS BY ANGELL

1928 *The Campus: A Study of Contemporary Undergraduate Life in the American University.* New York and London: Appleton.

(1930*a*) 1969 Introduction and Notes. In Charles Horton Cooley, *Sociological Theory and Social Research.* Rev. & enl. ed. New York: Kelley.

1930*b* *A Study in Undergraduate Adjustment.* Univ. of Chicago Press.

1931 Memorandum Concerning a Proposed Research Technique. *Social Forces* 10:204–208.

1933 COOLEY, CHARLES HORTON; ANGELL, ROBERT COOLEY; and CARR, LOWELL J. *Introductory Sociology.* New York: Scribners.

(1936) 1965 *The Family Encounters the Depression.* Gloucester, Mass.: Peter Smith.

(1941) 1975 *The Integration of American Society: A Study of Groups and Institutions.* New York: Russell.

1942 The Social Integration of Selected American Cities. *American Journal of Sociology* 47:575–592.

1945 GOTTSCHALK, LOUIS; KLUCKHOHN, CLYDE; and ANGELL, ROBERT COOLEY *The Use of Personal Documents in History, Anthropology and Sociology.* Social Science Research Council, Bulletin 53. New York: The Council.

1947 The Social Integration of American Cities of More than 100,000 Population. *American Sociological Review* 12:335–342.

1949 Moral Integration and Interpersonal Integration in American Cities. *American Sociological Review* 14:245–251.

1951*a* The Moral Integration of American Cities. *American Journal of Sociology* 57, no. 1, part 2:1–140.

1951*b* Sociology and the World Crisis. *American Sociological Review* 16:749–757.

1954 Comment on Discussions of the Analytic Induction Method. *American Sociological Review* 19:476–477. → See pages 477–478 for a response by Ralph H. Turner.

1956 Introduction. In *Two Major Works of Charles Horton Cooley.* Glencoe, Ill.: Free Press.

1958 *Free Society and Moral Crisis*. Ann Arbor: Univ of Michigan Press. → A paperback edition wa: published in 1965.
1964 ANGELL, ROBERT COOLEY; DUNHAM, VERA S. and SINGER, J. DAVID Social Values and Foreigr Policy Attitudes of Soviet and American Elites *Journal of Conflict Resolution* 8:329–491.
1966 The Sociology of International Relations: Em pirical and Experimental Studies. Volume 1, page: 67–97 in World Congress of Sociology, Sixth, *Trans actions*. Évian (France): International Sociologica Association.
1968*a* Charles H. Cooley. Volume 3, pages 378–38: in *International Encyclopedia of the Social Sciences* Edited by David L. Sills. New York: Macmillan anc Free Press.
1968*b* Integration: II. Social Integration. Volume 7 pages 380–386 in *International Encyclopedia of th(Social Sciences*. Edited by David L. Sills. New York Macmillan and Free Press.
1969 *Peace on the March: Transnational Participa tion*. New York: Van Nostrand.
1972 Sociological Resources for the Social Studie: Project: A Report by the Director. *American So cioloaist* 7. no. 5:16–17.
1974 The Moral Integration of American Cities II *American Journal of Sociology* 80:607–629.

SUPPLEMENTARY BIBLIOGRAPHY

PARSONS, TALCOTT (1937) 1949 *The Structure of Social Action: A Study in Social Theory With Special Reference to a Group of Recent European Writers*. Glencoe, Ill.: Free Press.
ROBINSON, W. S. 1951 The Logical Structure of Analytic Induction. *American Sociological Review* 16: 812–818.
TURNER, RALPH H. 1953 The Quest for Universals in Sociological Research. *American Sociological Review* 18:604–611.

پارسونز، تالكوت

PARSONS,Talcott

المفكر النظرى الرئيسى فى علم الاجتماع الأمريكى منذ الحرب العالمية الثانية ، تالكوت پارسونز (١٩٠٢ - ١٩٧٩) ، كان رائدا لإطار نظرى جديد أطلق عليه اسم "نظرية التفاعل" فى التفكير عن الإنسان الحديث والثقافة والمجتمع وتطورها . و يربط المخطط التصورى لهذه النظرية بين المداخل السوسيولوچية المتعارضة عند ماكس ڤيبر وإميل دوركايم لدراسة المجتمع الحديث واسع النطاق وبين نظرية التعلم والوظيفية الأنثروپولوچية والديناميات السيكولوچية عند سيجموند فرويد . وهذه التركيبة النظرية الفريدة هى المبدأ الدافع والخصب وراء التطور متعدد الأبعاد لنظرية الفعل. وقد ربط پارسونز فى المراحل التالية من حياته المهنية نظرية الفعل بالسيبرناطيقا واللغويات البنائية والمدخلات والمخرجات الاقتصادية والمبادئ الچينية كما كان يأمل فى أن تساعد هذه النظرية أيضا على تقوية العلاقات بين علم الاجتماع والعلوم الاجتماعية والسلوكية الأخرى رغم التقدم الذى كانت تحرزه هذه العلوم فى مجالاتها الخاصة .

ويركز علم الاجتماع عند پارسونز على الملامح الأساسية والتنموية للنظم الحاكمة فى المجتمع . وكانت فكرته التصورية عن المجتمع تقوم على نموذجه الأكثر خصوبة وثراء عن النسق الاجتماعى الذى يهدف إلى تحديد العناصر القادرة على البقاء والصمود فى أى صيغة تنظيمية للتفاعل البشرى وذلك على اعتبار أن أى تنظيم تفاعلى يتطلب انتماءات شخصية من الأفراد المشاركين فى ذلك التنظيم والالتزام بالمعايير الثقافية المشتركة والعمل بشكل تلقائى على فرضها وتقويتها .

فى الأربعينيات اقترح پارسونز استراتيچية بنائية وظيفية (وهو تعبير لم يلبث أن أغفله تماما فيما بعد) لتبسيط نموذج التعقيدات التنظيمية للمجتمعات . وهذا مدخل محورى فى

كل أعماله التالية ، كما استخدم على نطاق واسع فى علم الاجتماع منذ منتصف الخمسينيات حين أنتج مدرسة قوية جعلت "البارسونية" مصطلحا قياسيا فى القواميس الأكاديمية، كما استخدمت فى بعض حالات معينة فى الأنثروبولوجيا والتاريخ وعلم السياسة وعلم النفس وبعض مجالات الإنسانيات وفى كثير من المجالات التطبيقية من الطب النفسى إلى علم الإدارة إلى تخطيط المدن والخدمة الاجتماعية وعلم السياسات .

إلا أن "وظيفية" پارسونز هى أكثر أجزاء عمله إثارة للجدل، كما أدت إلى ظهور قدر كبير من الكتابات النقدية . فقد أثيرت اعتراضات بشكل مستمر ومنتظم من كل المعسكرات النظرية المنافسة حول بعض المزاعم عن خصائص كتابته . فقد اتهمت أعماله بأن من الصعب إخضاعها للاختبار وبالمبالغة فى التحليل ومناوأة التاريخ وإضفاء الطابع الاجتماعى على الوقائع العادية ومسايرة الانسياق والمغالاة فى توجهاتها السيكولوچية الاختزالية : ونظرتها المثالية للحقائق السياسية المتصلبة وصعوبة قراءتها وتوكيداتها الاستاتيكية وانحيازها إلى التسليم بالأمر الواقع ومعاداتها للماركسية وهكذا . ولكن پارسونز استمر فى تطوير نظرياته وسط كل هذه الأعاصير كما استمر نفوذه فى التنامى إلى أن جاءت حرب ڤيتنام وقيام اليسار الجديد فى أواخر الستينيات . وقد هزت الاحتجاجات الحياة الأكاديمية كما اتّسمت المناقشات بالمواجهات الغاضبة واتخذ النقد طابعا سياسيا متطرفا وقام عدد كبير من العلماء الاجتماعيين وبخاصة علماء الاجتماع فى الغرب بوصف "وظيفيته" بأنها نظرية "شيطانية" باعتبارها العدو النظرى الأساسى للماركسية كما اتهمت مجمل أعماله بأنها مبررات رأسمالية وأن مدرسته عميل راسخ للإمبريالية الأمريكية وهكذا . ولكن قد يكون من الأفضل إغفال معظم تلك الانتقادات التى صدرت حول هذا الموضوع .

ولقد استمرت هذه النظرة فى الأوساط "الماركسية" المحمومة طيلة السبعينيات كما أن عددا كبيرا من العلماء الاجتماعيين غير الماركسيين الذين ظهروا فى ذلك الوقت ظلوا متحفظين إزاء كل مايتعلق بپارسونز ونظريته . ولما كان ذلك الموقف ينعكس على نظريات ڤيبر ودوركايم التى عمل برنامج پارسونز على كبحها فقد بذلت جهود غير عادية فى السبعينيات لفك الارتباط بين تلك النظريات وأعماله ، ولكن نظرا لأن اليسار الجديد كان قد تراجع فى أواسط ذلك العقد فقد زاد الاهتمام السوسيولوچى بإحياء تلك النظرية من جديد، كما هو واضح فى أعمال تلاميذه الشبان الذين تولوا تعديل نظرية الفعل كى تتلاءم مع اتجاهات زملائهم بشكل أفضل ومع اتجاعات پارسونز نفسه الذى أعطى جزءًا أكبر من اهتمامه للجوانب المهملة من نظرياته كما ظهر أيضا اهتمام واضح بالنظرية الپارسونية بين العلماء الاجتماعيين البارزين فى بولندا ويوغوسلافيا وغيرهما من الدول الشيوعية فى شرق أوروبا ويوجه أخصّ بين عدد من الماركسيين الجدد البارزين من أمثال لوى ألتوسير Louis Althusser وإرنست ماندل Ernest Mandel ويورجين هابرماس Jurgen Habermas فى الغرب . ولقد استمر الجدل القديم ولكن حدثت تقاربات مهمة .

الخلفية وبداية الحياة العملية :

ولد تالكوت پارسونز عام ١٩٠٢ فى كولورادو سبرينجز Colorado Springs وكان أصغر إخوة خمسة . وكان أبوه إدوارد إس. پارسونز Edward S. Parsons منحدرا من سلالة من التجار اليانكى (سكان نيو إنجلند فى شمال الولايات المتحدة) ولكنه خرج على تقاليد العائلة بالتحاقه بمدرسة اللاهوت فى ييل، حيث تم ترسيمه أسقفا يقود الصلوات. وقبيل اندلاع الحرب العالمية الأولى انتقلت العائلة إلى مدينة نيويورك حيث التحق تالكوت پارسونز بمدرسة هوراس مان *Horace Mann* التجريبية للأولاد التابعة لجامعة كولومبيا .

ويصف تالكوت بارسونز بيئته فى مقر مولده بأنها كانت بيئة ليبرالية بمقاييس ذلك الوقت . وكانت أمه مارى إنجرسول بارسونز *Mary A. Ingersol Parsons* من المناديات بحق التصويت للمرأة والمؤيدات لكثير من القضايا التقدمية الأخرى ، كما كان أبوه بروتستانتيا من أتباع مذهب "الإنجيل الاجتماعى" وله اهتمامات أكاديمية واسعة ومن المؤيدين لنظريات داروين ، ويعتبرالعلم مكمّلا للدين . وفى خريف ١٩٢٠ التحق بارسونز بكلية أمهرست *Amherst College* التى كان قد التحق بها قبل ذلك والده واثنان من إخوته الأكبر منه سنا .

ومن المهم بالنسبة لأعمال بارسونز التالية أن الدراسات التى تعرض لها سواء فى مرحلته الجامعية الأولى أو فى دراساته العليا كانت عريضة ومتنوعة بشكل غير عادى بالنسبة لباحث اجتماعى من جيله . فقد تعرض للاتجاهات الأساسية فى العلوم الطبيعية والاجتماعية ودرس مع عدد كبير من الأساتذة المتميزين . ومع أن تخصصه الرئيسى فى أمهرست كان فى البيولوجيا، فإنه أبدى اهتماما بالعلوم الاجتماعية فى سنته الأولى من الجامعة بعد حضوره أحد المقررات لعالم الاقتصاد المؤسساتى وولتون هاميلتون *Walton Hamilton* وعلى ذلك قرر وهو فى مدرسة الدراسات العليا أن يعكف على توضيح العلاقة بين الاقتصاد وعلم الاجتماع وكانت تلك هى بداية برنامجه النظرى .

وقد بدأ بارسونز دراساته العليا كطالب مستمع بمدرسة لندن للاقتصاد عام ١٩٢٤ /١٩٢٥، وقد جذبه إلى تلك المدرسة فى بداية الأمر وجود اثنين من كبار الديمقراطيين الاجتماعيين، وهما عالم الاقتصاد السياسى هارولد لاسكى **Harold Laski** والمؤرخ الاقتصادى آر. إتش. تونى **R.H.Tawney** كما حضر محاضرات عالم الاجتماع التطورى المرموق إل. تى. هوبهاوس **L.T.Hobhouse** الذى أجرى كثيرا من التعديلات على نظرية هربرت سبنسر

حول مبدأ "دعه يعمل" ، وكذلك محاضرات تلميذه الأثير موريس جينزبرج Morris Ginsberg الذى كان أكثر ميلا للبحوث الإمبيريقية كما حضر محاضرات إدوين كانان Edwin Cannan المحافظ عن نظرية النقود (1977c, chapter 2). ولكن أهم تجربة مرّ بها هناك كانت حلقة النقاش التى كان يعقدها عالم الأنثروبولوچيا الوظيفية العظيم برونيسلاف مالينوفسكى التى كان يعرض فيها مقدما مقاله الذى ظهر عام ١٩٢٥ عن "السحر والعلم والدين Magic, Science and Religion " انظر: (Parsons 1977c, p.83)، وقد أثار انتباهه هجوم مالينوفسكى على الوضعية التطورية السائدة حينذاك فى علم الاقتصاد الكلاسيكى وفى علم الاجتماع، والتى كانت تميل إلى التشكيك فى عقلانية "المتوحشين" وتركيزه على الحدود النهائية للعلم إزاء الأمور الثابتة غير القابلة للتغيير مثل الموت والحاجات الكلية المتصلة بالدين . وقد تركت رؤية مالينوفسكى الوظيفية للثقافات كأنساق مؤلفة من أجزاء متساندة وتوكيده للحاجات السيكوبيولوچية والاجتماعية الكلية الكامنة وراء الاختلافات الثقافية انطباعات ثابتة وعميقة فى پارسونز الذى احتفظ بها ولكن مع إدخال كثير من التعديلات على رؤيته للوظيفية البنائية .

قبل أن يكمل پارسونز سنته الأولى فى مدرسة لندن للاقتصاد حصل على منحة زمالة تبادلية للدراسة فى جامعة هايدلبرج فى ألمانيا، وهى الجامعة التى كان ماكس ڤيبر قد أمضى بها معظم سنوات حياته الأكاديمية . ومع أن ڤيبر كان قد توفى عام ١٩٢٠ فإن تأثيره كان لايزال راسخا . وعلى العكس مما كان عليه الوضع فى مدرسة لندن للاقتصاد كانت جامعة هايدلبرج منقسمة على نفسها حول مسألة قيمة العلم بوجه عام وعلم الاجتماع بوجه خاص وكانت النظرة السائدة والتى ترجع جذورها إلى التفكير الاجتماعى عند هيجل هى مايطلق عليه اسم المثالية التاريخية .

فهى "مثالية" فى نظرتها إلى الأفعال الإنسانية على أنها محددة ثقافيا، وهى "تاريخية" لاعتبارها أن كل ثقافة تعكس بشكل فريد "الروح " المسيطرة التى لاتخضع للتحليل العلمى الصارم . وكانت الرؤية المنافسة هي شكل من الماركسية، يقبل تفرد الأنساق التاريخية ولكنه ينظر إلى مثلها الحاكمة على أنها محددة بالضرورة بتطور القوى المادية . وكان دور ماكس ڤيبر مهما باعتباره "قوة ثالثة" كانطية جديدة أفلحت فى أن تجذب إليها اهتمام پارسونز بمجرد وصوله .

وقد التحق پارسونز بكلية الفلسفة ودرس النظرية السوسيولوچية والاقتصادية وكان أستاذه الرئيسى والذى تولى امتحانه فى علم الاجتماع ألفريد ڤيبر Alfred Weber الأخ الأصغر لماكس ڤيبر والعالم البارز بحق والذى كان له اهتمامات بالتاريخ أكثر من أخيه الأكثر منه شهرة ، ولكنه حضر أيضا الحلقة النقاشية التى كان يعقدها كارل مانهايم Karl Manheim عن ماكس ڤيبر وناقش أعماله مع ألكساندر فون شتينج Alexander von Schetting وهو عالم اجتماع شاب كان قد بذل كثيرا من الجهد لتوضيح منهج ڤيبر، كما درس مع إدجار سالين Edgar Salin، وهو عالم اقتصاد ملحد وله صلة وثيقة بالأخوين ڤيبر وهو الذى أشرف على رسالة پارسونز . وبالإضافة إلى ذلك درس پارسونز النظرية الماركسية مع الاقتصادى الاشتراكى البارز إميل ليدرر Emil Lederer كما أولى اهتماما خاصا لكتاب رأس المال وأعمال ماركس النظرية المتاحة فى ذلك الحين .

وكان كارل ياسپرز Karl Jaspers هو الأستاذ المهم الآخر فى هايدلبرج وقد حصل معه على دراسة فرعية ولكنها مركزة حول فلسفة إيمانويل كانط . وكان ياسپرز عالم طب نفسى من غير أتباع فرويد ثم تحول إلى الفلسفة تحت تأثير ڤيبر ويعتبره الكثيرون من أنصار الظاهراتية ومن مؤسسى الوجودية ، ولكنه بالنسبة لپارسونز كان يعتبر أحد المدافعين

الصادقين والأكفاء عن قيام علم اجتماعي "موضوعي" وعن مدخل "الفهم" Verstehen الذي ساعد پارسونز على توضيح منهجه الذي كان لايزال في سبيل التكوين، و كان ياسپرز يتكلم بتقدير عن دوركايم الذي كان مرفوضا من جينزبرج في لندن على رغم غموض فكرته عن "العقل الجمعي" مثلما كان مرفوضا من مالينوفسكي لأسباب أخرى متضاربة (Parsons 1979).

ويعتبر تعامل پارسونز مع كتابات ماكس ڤيبر أهم تجربة له في هايدلبرج ولذا قرر أن تكون رسالته عن المشكلات التي أثارتها مقاربته الرأسمالية ، ولكن سالين أشار عليه بأن يقصر رسالته على الأعمال الألمانية الحديثة ولذا جاء العمل النهائي مقارنة بين مداخل ماكس ڤيبر وڤرنر زومبارت Werner Sombart وهو أحد علماء الاجتماع التاريخيين وكتابه المؤلف من ثلاثة أجزاء عن الرأسمالية الحديثة *Der moderne Kapitalismus (1902)* وكذلك بعض الأعمال الأخرى التي كانت تحظى بالاهتمام والمناقشة. وقد أكمل پارسونز رسالته عن مفهوم الرأسمالية في الكتابات الألمانية الأخيرة *The Concept of Capitalism in the Recent German Literature* وحصل على دكتوراه الفلسفة عام ١٩٢٩ .

قبل أن يعود پارسونز إلى الولايات المتحدة لتدريس الاقتصاد بجامعة هارڤارد التي ارتبط بها طيلة الوقت تزوج عام ١٩٢٦ من هيلين ووكر Helen Walker وهي من نيو إنجلند، وكانت تدرس هي أيضا الاقتصاد بمدرسة لندن للاقتصاد .

وفي عام ١٩٢٨/١٩٢٩ نشر مقالين بالإنجليزية اعتمد فيهما على رسالته، ويمكن أن نتبين فيهما عددا من مواقفه فيما بعد. فقد عرض في أول الأمر مواقف ماكس ڤيبر وزومبارت إزاء الرأسمالية الغربية كنسق متميز تاريخيا وكيف أن قوانينها عن السوق وبوقعها البارزة (مثل تحقيق الربح) تعكس ظروفا ثقافية حاكمة، كما بيّن

أنه يتفق مع رفضهما الصريح للادعاءات العريضة التى يدّعيها الاقتصاديون الكلاسيكيون. وقد رفض ثانيا كلاً من نظرة زومبارت المثالية عن تفرد الرأسمالية وأصولها غير المحددة، وتصور ماركس عن تطورها المادى الأحادى الاتجاه بينما كان هو يؤازر بدلا من ذلك محاولة ڤيبر التوفيق بين النظرتين وذلك فى كتابه الأخلاق البروتستانتية وروح الرأسمالية ***The Protestant Ethic and the Spirit of Capitalism*** وهو الكتاب الذى نقله پارسونز إلى الإنجليزية عام ١٩٣٠ . وقد تبنى پارسونز محاولة ڤيبر الربط بين التحليل التاريخى والمقارن (مع رفض التسليم التاريخانى بأنهما متخارجان تماما) وكذلك نظريته التطورية متعددة المسارات والتى ترى التاريخ على أنه "شجرة متفرعة" (1928-1929,vol.37, p.45). ولكن رغم ذلك لم تكن مؤازرته لڤيبر مطلقة أو غير مشروطة فقد انتقد استخدامه الخاص " للنماذج المثالية" Ideal Types وافتقاره لوجود نسق لنموذج المجتمعات ، فإنه أشاد على الجانب الآخر بنظرة ماركس المنهجية للرأسمالية وبفكرته عن أن "المساوئ والمفاسد لن يمكن إصلاحها إلا عن طريق التغييرات الجذرية للمصالح الطبقية داخل النسق" باعتبار ذلك "تقدما هائلا على الاشتراكية الطوباوية (1928-1929,vol.36,p.659)"، وانتهى إلى أن "تحليل القوى الدافعة فى الحياة الاجتماعية .... فى علم الاجتماع الألمانى .... استمد نقطة انطلاقه إلى حد كبير من ماركس وأن هذا أوجد مجموعة من المشكلات التى يصعب أن يتجاهلها علم الاجتماع " *(Ibid.,vol.37,p.50)*

ومع أن پارسونز كان قد تعرض للتفكير الاقتصادى والاجتماعى والفلسفى أثناء دراسته فى الخارج فإن خلفيته كانت محدودة فى مجال النظريات الاقتصادية الفنية التى كانت مزدهرة فى إنجلترا والولايات المتحدة حين التحق بقسم الاقتصاد بجامعة هارڤارد. وكان ذلك القسم يضم علماء

أفذاذا فى التفكير الكلاسيكى من أمثال إف .دبليو تاوسيج F. W. Tausig وتى. إم. كارفر T.M.Carver ودبليو. زد. ريبلى W.Z. Ripley والمؤرخ الاقتصادى إدوين جاى Edwin Gay الذى كان قد درس فى ألمانيا وجوزيف شومبيتر Joseph Schumpeter الذى كان وصل حديثاً من النمسا . وقد حضر بارسونز دروس تاوسيج فى الدراسات العليا عن النظرية الاقتصادية التى كانت تؤكد على أعمال العالم الكلاسيكى الحديث ألفريد مارشال Alfred Marshall، وقد دفعته تلك الدراسات إلى أن يعطى مزيدا من الاهتمام للعلاقة بين النظرية الاقتصادية والنظرية الاجتماعية . وكما كتب هو نفسه فيما بعد فإن الفكرة هبطت عليه حول "ضرورة تصور النظريتين على أنهما تتبعان مصفوفة نظرية واحدة" (1970,p.28) وكان ذلك هو بداية نظريته عن الفعل الاجتماعى .

ومع ذلك كان بارسونز لايزال يعمل فى دائرة غير واضحة المعالم تماما بين المجالين. ولكن فى عام ١٩٣١ حين أنشئ قسم الاجتماع بجامعة هارفارد تحت رئاسة بيتيريم سوروكين Pitirim Sorokin أصبح بارسونز عضوا فيه وكان من تلاميذه فى الدراسات العليا فى تلك الفترة المبكرة روبرت ميرتون وكينجزلى ديفيز وروبين ويليامز Robin M. Williams وويلبرت موور Wilbert E, Moore وقد جذبتهم إليه قدراته الفذة على الجمع بين براعة التحليل واتساع المعارف العلمية ودفء الشخصية ، وكانت النتيجة نوعا من التفاعل المتبادل الذى أثبت أن مساندة الطلاب كانت عنصرا ضروريا وجوهريا فى تطوير برنامجه النظرى.

العمل الرئيسى الأول:

بانتقال بارسونز إلى قسم الاجتماع الذى أنشئ حديثا اتسع نطاق اهتماماته بالدعاوى غير الاقتصادية للنظريات الاقتصادية، وأدى

به ذلك إلى الخوض فى دراسة وبحث أوسع للنظريات الاجتماعية . وقد نتج عن هذا الاهتمام أول أعماله الكبرى وهو كتاب : بناء الفعل الاجتماعى ***The Structure of Social Action*** الذى ظهر عام ١٩٣٧ . وقد أشيد به على أنه عمل من نوع فريد ولا يزال يعتبر حتى الآن أحد كلاسيكيات علم الاجتماع على الرغم من أن هناك جدلا شديدا حول بعض معلوماته.

وقد وسع پارسونز فى هذا الكتاب دراسته عن المقاربات الألمانية للرأسمالية لكى تشمل كتابات البريطانيين والفرنسيين وغيرهم من العلماء الأوروبيين واهتم بشكل خاص وتفصيلى بعقد المقارنات بين مارشال ودوركايم وڤيبر وڤيلفريدو پاريتو. وكان ذلك هو أول كتاب يقدم دوركايم وڤيبر وپاريتو للدراسة الجادة التفصيلية لعلماء الاجتماع من غير الناطقين باللغة الإنجليزية ، ونظرا لعدم وجود أى عمل آخر فى تلك اللغة يمكن مقارنته به أصبح ذلك الكتاب هو المصدر المعتمد والمعيارى . ولم يكن هذا هو مايهدف إليه پارسونز الذى ذكرفى المقدمة أنه على الرغم من أن الجوانب التى ناقشها لها أهمية بالغة بل ومحورية فى كثير من الأحيان بالنسبة لمجمل أعمالهم "فإن مقاربته كانت انتقائية" (p.15).

وللكتاب أربعة أهداف رئيسية متكاملة . فهو أولا دراسة إمپيريقية فى سوسيولوچيا العلم تهتم بالرؤى المتغيرة للفردية والعقلانية فى النظريات الاجتماعية والاقتصادية الكبرى فى العالم الغربى منذ بداية ظهور الاقتصاديات الحديثة والعلم الاجتماعى فى القرن الثامن عشر . وكان پارسونز يكتب أثناء فترة الكساد الذى شاهدته الثلاثينيات . وفى الوقت الذى كانت الحلول الاشتراكية والفاشية والكينزية (نسبة إلى عالم الاقتصاد البريطانى كينز) معروضة لإحياء الاقتصاد الرأسمالى المنهار أعلن پارسونز أن مشكلته الافتتاحية هى :

"إن ثورة أساسية في التفسير الإمبيريقي لعدد من أهم المشكلات الاجتماعية التي كانت تحدث في تطور خطي واحد بدأت تتواري، كما أخذت الفردية بصورها المختلفة تتعرض لهجوم متزايد وتخلي الطريق لنظريات أخرى اشتراكية وجماعية وعضوية متنوعة ، كما تتعرّض أيضا للهجوم المتواصل ودور العقل ومكانة المعرفة العلمية كعنصر في الفعل وأصبحت عرضة لفيض كاسح من النظريات المناوئة للتفكير العقلاني عن الطبيعة الإنسانية والسلوك البشري " (P.5).

ويذهب پارسونز إلى أبعد من ذلك فيفترض " أن تغيرا جذريا مماثلا حدث في بناء الأنساق النظرية... للمجتمعات" (P.11) خلال عدة قرون وأن ذلك لم يكن مجرد "انعكاس أيديولوچي لتغيرات اجتماعية أساسية معينة " (P.5) وإنما كان انعكاسا إلى حد ما لتقدم علمي حقيقي . وعلى ذلك فإن الهدف الثاني للكتاب هو اختبار نقدي ووصفي وتقويم للاتجاهات السائدة في النظريات الكبرى ، كما أنه يحاول من الناحية الثالثة أن يصل من خلال الأطر النظرية والأسس المنهجية التي يمكن الدفاع عنها بسهولة إلى نظريات جديدة عن الفعل الاجتماعي . وأخيرا فإن الكتاب يستخدم نظرياته المنتقاة والمعلومات والمنطق التي تساندها لتبرير تحليله للاتجاهات النظرية التي قد تنشأ في المستقبل .

والنتيجة التي توصل إليها پارسونز والتي تثير أكبر قدر من الجدل هي أنه أثناء تطور بحوث وتفكير مارشال وپاريتو ودوركايم وڤيبر طرأ تقارب واسع في أعمالهم نحو موقف منهجي ونظري مشترك أطلق عليه پارسونز اسم "النظرية الإرادية للفعل Voluntaristic Theory of Action"، (وهي نظرية تجمع بين الملامح الرئيسة للاقتصاد الكلاسيكي والمثالية التاريخية) . وكانت حجته في ذلك مثيرة ومفاجئة وبخاصة أن الاتجاه الأكاديمي كان حينئذ يضع كلاً من العلماء الأربعة في زاوية مختلفة على الخريطة النظرية ،

كما أنهم جاءوا من أربع دول مختلفة ولهم خلفيات اجتماعية وأيديولوجيات وأمزجة متعارضة . وپارسونز نفسه يقول فى ذلك " من الصعب وجود تعارضات عنيفة تماثل تلك التى تقوم بين مارشال الذى يتمتع بأخلاقيات الإنسان الإنجليزى من الطبقة الوسطى ، ودوركايم اليهودى الألزاسى الراديكالى الفرنسى الأكاديمى المعارض لرجال الدين ، وپاريتو الإيطالى المترفع النبيل المرفّه ، وأخيرا ڤيبر سليل أعلى مستوى ثقافى فى الطبقة المتوسطة العليا الألمانية (P.14)". فقد حقق كل منهم مكانته بعيدا عن الآخرين ودون معرفة بالطرق التى يسلكونها .

ولكن الذى كان يهم پارسونز أكثر من أى شيء آخر هو البدايات المنهجية المتعارضة عندهم . وقد حلل پارسونز العلماء الأربعة فى ضوء التراجع التطورى للمثالية والوضعية، وهما النظرتان السائدتان فى الغرب عن العقلانية والفردية فى دراسة الإنسان ، وكان يعتبر كل نظرة منهما نموذجًا مثاليًا ، ثم حاول رد المقاربتين إلى بداية القرن العشرين فى سلسلة من الاسكتشات البارعة لإنجازاتهم الفذة . وجانب كبير من القوة غير العادية التى تصل إلى حد الإثارة فى كتاب بناء الفعل الاجتماعى تأتى من الطريقة المتألقة والقاطعة التى أشار بها إلى المشكلات النظرية الأساسية فى كل من التقليدين السائدين، وذلك فى عرضه المقتضب لتوماس هوبز وتوماس مالثوس على الجانب الوضعى لجيورج هيجل وڤيلهلم ديلتاى Wilhelm Dilthey على الجانب المثالى. فعلى أحد المستويين تتبع پارسونز الانصراف عن الوضعية من محاولة كانط الثنائية الدفاع عن العلم النيوتونى (نسبة إلى نيوتن) مع المحافظة فى الوقت ذاته على مفهوم المسئولية الأخلاقية لدى الإنسان ، وقد كتب فى ذلك يقول :

"إن رد كانط على هيوم...أعاد توكيد صحة العالم الفيزيقى عن طريق إرجاع الأجسام والأحداث المادية ...إلى ظواهر...فمن المؤكد أن الإنسان يشارك

فى ذلك العالم الفيزيقى ليس فقط باعتباره كائنا يبحث عن المعرفة ولكن أيضا باعتباره موضوعا للمعرفة، من حيث هو جسم فيزيقى محسوس . ولكن ذلك لا يستنفد الإنسان الذى هو أيضا كائن نشيط نو معنى وهدف وفاعل أيضا..وفى هذا المجال لم يكن الإنسان خاضعا للقانون بالمعنى الفيزيقى وإنما كان حرا طليقا " (pp.474-475).

ويواصل پارسونز القول "إن الاتجاه فى فكر كانط كان ينحو نحو ثنائية راديكالية...بالنسبة لإنسان يحبذ رد كل المظاهر (الفيزيقية) للإنسان وبخاصة البيولوچية إلى أساس مادى . وقد نجم عن ذلك وجود فجوة راديكالية بين ...العلوم الطبيعية وعلوم الثقافة أو العقل Geist فى ألمانيا " (p.474).

وكانت النزعة الوضعية فى أوروبا الغربية تبحث عن مدخل للحياة الاجتماعية يكون على شاكلة العلم الطبيعى تماما . وكانت الوحدات الفاعلة قاصرة على الأفراد نظرا لعدم وجود روابط فيزيقية داخل الجماعة بعد الولادة . فكل الخصائص الذاتية المرتبطة بمختلف الفاعلين أو الجماعات الثقافية تخرج عن ذلك بالضرورة . وفى حالة (الوضعية الراديكالية) المتطرفة كانت تلك نظرة بيولوچية للبشر ككائنات عضوية تتكيف مع البيئة كما هو شأن كثير من الحيوانات . وهذه النظرة تظهر عند نيوتن وفى علم النفس السلوكى ونظريات الغرائز، ولكن بالمقارنة فإن الوضعية المعتدلة لدى الفلاسفة من أتباع مذهب المنفعة من أمثال هوبز وچون لوك الذين وضعوا إطار الاقتصاد الكلاسيكى من خلال مشروعهم عن الوسائل والغايات كانت مفضلة أكثر من غيرها . وهنا كان الناس يعتبرون على الأقل كائنات عاقلة ومدركة ولهم القدرة على اختيار الوسيلة الأكثر ملاءمة لأهدافهم من بين مختلف الوسائل المتاحة، وكان لذلك الاختيار أسبابه المقبولة . أما الموضوعية فكانت تؤيد وتدعم افتراض أن البشر لديهم أهداف مشتركة فى المحيط العام (مثل البحث عن أقل

الأسعار فى السوق) وهذه الوسائل يمكن الحكم عليها بواسطة المعايير العقلانية التى يضعها العلماء لأنفسهم، وبذلك فإن وسائل الفاعلين كانت تتنحى جانبا ويتم إغفالها وتجاهلها كما أن التناقضات كانت تظهر نتيجة لذلك التجاهل أو الإغفال . وكان هوبز يرى فى المحل الأول أن ثمة "مشكلة نظام " فى أى نموذج فردى للسلوك الاجتماعى بينما كان لوك أكثر تفاؤلا حين أضاف دعامة الهوية الطبيعية للمصالح .

وعلى العكس من ذلك فإن المقاربات والمداخل المثالية (وبخاصة تلك التى تطورت فى ألمانيا) كانت تؤكد بشكل دقيق على الخصائص الذاتية والرمزية التى تميز الإنسان عن بقية الأنواع الأخرى . وعلى المستوى النظرى البحت يتمثل الإسهام المتمايز للنزعة التاريخية فى تصورها للتنظيم الثقافى على أنه نسق من المعانى المتساندة . وعلى عكس الحال بالنسبة للأنساق الفيزيقية التى يعالجها العلم الوضعى كان أنصار النزعة التاريخية يوجهون الانتباه إلى "الحقيقة النمونجية" للثقافات (1937, pp.482-483)، التى كان إدراكها يتطلب الاستعانة بمنهج االفهم Verstehen ("فهم" تفسيرى لنسق فريد من العلاقات والروابط الرمزية) أكثر من مجرد شرح باستخدام قوانين العليّة. ولقد أكد بارسونز على أن تلك الروابط الرمزية تتعارض مع العلاقات السببية من حيث إنها تتعدى حدود الزمن timeless (بمعنى أنها بمعايير أى نسق منطقى إذا تحققت مرة فإنها تظل مقبولة بشكل دائم) . كذلك تتحدى النزعة التاريخية فى بعدها النسبى عقلانية الوضعية التى تحاول التدليل على التماسك الفريد لكل حالة ثقافية فرعية (مثل الفنون والسياسة والعلم وما إلى ذلك) وكذلك تماسك وتضامن أى نسق ثقافى كلى ... ولكن الصعوبة هى أن المعانى الثقافية والأفعال الفردية أو الجماعية المرتبطة بها كان ينظر إليها على أنها منفصلة عن المجال الفيزيقى للفعل.

وفكرة "التقارب" التى نسبها بارسونز لمارشال وباريتو ودوركايم

وفيبر تعتمد على ارتباطهم بتلك التقاليد بقدر ماتعتمد على اتجاهات كتابات كل منهم على حدة .(pp. 697-719) وعلى ذلك فإن مارشال الذى كان ملتزما أشد الالتزام بالاقتصاد البريطانى المنفعى كان يجد صعوبة فى تناوله للأهداف واضطر إلى أن يأخذ فى الاعتبار احتياجات الناس فى حياتهم اليومية. أما باريتو الذى جاء إلى عالم الاقتصاد من الرياضيات والفيزياء فإنه أثار انتقادات مماثلة ولكنه حاول أن يجد لها حلولا عن طريق وضع نظرية تحليلية واسعة فذهب إلى أن المشكلة بالنسبة لأنماط السوق الكلاسيكية ليست فى أنها مجردة، ولكن فى كونها مجردة بشكل مبالغ فيه ولا يخلو من فجاجة ، وعلى ذلك فإنه فى استعراضه لمطالبة العمال بأجور أعلى" أو "مطالبة التجار بربح أكبر" ذهب إلى أنهم يتجاهلون الجوانب الأخرى من الدافع الذى يؤثر تأثيرا شديدا فى الأنظمة الاقتصادية مع أن له أهمية بالغة فى حد ذاته . وقد هاجم باريتو الاقتصاد الوضعى لأنه يفرض بغير تمييز غايات مشتركة ومعايير عقلانية على الفاعلين بصرف النظر عن مدى ملاءمته لهم . وفى أعماله التالية قام بتطوير خطة سوسيولوجية تسمح بوجود مساحة مركزية للعواطف اللا منطقية التى يمكن أن تؤثر فى التوكيدات المختلفة التى ترتبط بالمصالح الاقتصادية الذاتية (مثل مراعاة التقاليد أو الرغبة فى تأييد المجتمع) . ولقد بين پارسونز عن اقتناع أن العواطف التى ناقشها باريتو ترتبط بالمعايير والقيم أكثر مما يعتقد الكثيرون .

أما عالم الاجتماع الفرنسى إميل دوركايم فقد بدأ من الوضعية العضوية عند أوجست كونت ثم تقدم نحو وضع مماثل قام بتطويره إلى مستوى أبعد كما يظهر فى كتابه المبكر عن تقسيم العمل ***The Division of Labor (1893)*** الذى ناقش فيه رؤية هربرت سپنسر المنفعية عن العلاقات الاقتصادية فى المجتمعات الصناعية على أنها ترتكز بشكل متزايد على العقود الإرادية . وقد كانت هذه الرؤية بالنسبة لدوركايم الذى

كان قد تم تدريبه فى مجال التشريع رؤية تتجاهل بشكل ساذج مشكلات فرض العقود بدون أن تستند إلى نسق من القواعد الشرعية أو إرشادات وتوجيهات قانونية عامة ، وقد عزز رأيه حول ضرورة وجود معايير مشتركة بالنسبة للنظام الاجتماعى نظرته التالية إلى "الوعى الجمعى" بأنه الميكانيزم المنظم للجماعات المستقرة . وقد طور كل هذه الآراء فى كتابه عن الدين بحيث تشمل القيم الأخلاقية المقدسة .

وقد قام ڤيبر باستكمال هذه الاتجاهات من وجهة نظره المثالية إذ بدأ دراساته فى مجال الاقتصاد وتاريخ القانون دون أن يسقط من اعتباره نظريته التاريخانية عن أنه يجب فهم كل ثقافة فى حدود مبادئها عن طريق استخدام منهج "الفهم" ، ولكنه ذهب إلى أن مثل هذا "الفهم" هو فهم وصفى فقط وأن شرح التكوين الثقافى ومفاهيم الاستمرار والتغير يتطلب وجود مدخل علمى له نفس النوع المنطقى من المتغيرات المقارنة والقضايا العليّة كما هو الحال فى تفسيرات الفيرياء . وكان ڤيبر يرى أن الاختلاف هو أنه فى التفسيرات الثقافية توجد بعض المتغيرات المقارنة على الأقل التى يجب أن يكون لها مقولات categories تتعارض مع شتى القيم والمعتقدات الموجودة لدى الجماعات الثقافية المختلفة (مثل فكرة العالم الآخر عند المسيحيين الأوائل ضد الهدف من فكرة "مملكة السماء فى الأرض" فى الأخلاق البروتستانتية) . وكان هذا معناه أن "الفهم" كان عنصرا ضرورياً فى صياغة المقولات والفروض ولكنه لم يكن منهجا للتفسير أو التدليل. والأكثر أهمية من ذلك فإن ڤيبر كان يعتبر العلم والتاريخ وسيلتين متمايزتين ولكنهما متساندتان فى دراسة أى ظاهرة (كما هو الحال بالنسبة للفلكيين الذين يدرسون تاريخ النظم الشمسية) وأن أهميتهما النسبية تتوقف على اهتمام الباحثين وليس على موضوع الدراسة. وبذلك ركز ڤيبر- الذى كان يهتم اهتماما شديدا بالمشكلات التى

يثيرها النقد التوراتي - على أن الدلائل على الأخطاء التاريخية فى الكتاب المقدس يمكن أن تكون غير متسقة بالنسبة للشخص المؤمن ولكن لها أهمية قصوى للمؤرخ الديني. وهذه حجة مماثلة من بعض الوجوه لنقد باريتو للعقلانية الاقتصادية الدوجماطيقية ولتوكيد دوركايم على قوة الصور المختلفة للوعى الجمعى فى الجماعات المختلفة .

موجز لإطار الفعل :

الفصل الأخير من كتاب بناء الفعل الاجتماعي ***Structure of Social Action*** يحدد مدخلا لأى عمل لاحق يتبع الخطوط العريضة للاتجاهات المشتركة التى استمدها پارسونز من المراجع. التى اعتمد عليها. ويقوم هذا المدخل بشكل مباشر على ""إطار الفعل" عند ڤيبر الذى كان يحاول الوصول إلى قاعدة للتحليل المقارن للنظم الواسعة المجال والتى ترتبط ذهنيا بالأفعال الصادرة عن دوافع فردية . ويحتفظ پارسونز بنظرة ڤيبر عن مشروع "الوسائل/الغاية" ولكن مع تعديله لتوكيد المعايير والمعتقدات الثقافية . فالفعل يتم تحديده وتعريفه فى ضوء الغاية منه وهى التى يفترض أنها تعكس النماذج الثقافية التى يجب أن يعرفها الباحث حتى يفهم الموقف . والتعارض بين الوسائل (الجوانب التى يمكن التحكم فيها) والأوضاع التى يصعب تعديلها فى موقف الفاعل يعتبر على نفس الأهمية فى تبيين القيم والمعتقدات الثقافية ، وعلى ذلك فقد يكون لدى جماعة ثقافية معينة معرفة بطرق تحويل ركاز الذهب إلى عملة معدنية تستخدمها كنقود ، بينما تستطيع جماعة أخرى معرفة العملية ولكنها تقصرها على الاستخدامات الدينية بينما لا تهتم مجموعة ثالثة بمعرفة صياغة المعادن وتتعامل مع هذا الركاز مثلما تتعامل مع أى جزء آخر من مكوناتهم البيئية .

وبناء على ذلك اقترح پارسونز بشكل مؤقت منهجا أكثر عقلانية للتمييز

بين الاقتصاد والعلم السياسى وعلم الاجتماع والربط بينها فى الوقت ذاته عن طريق استخدام الخطة الأساسية للفعل وافتراض أن كلاً من هذه المجالات يختص بنسق متميز جزئيا للفعل الجماعى الكلى ويمكن تحديده بمنظومة من "المتغيرات الجوهرية" (وليس الأسباب أو العلل) . وعلى ذلك يمكن القول من الناحية التحليلية إن الاقتصاد يهتم بعقلانية الوسائل والغايات النادرة وذات القيمة ، وأن التحليل السياسى يهتم بصراعات وقرارات القوى التى تكلم عنها هوبز، بينما يهتم علم الاجتماع بتكامل الفعل الاجتماعى من خلال القيم والمعاييرالمشتركة التى تحدد أولويات الأهداف النهائية والوسائل المقبولةاجتماعيا فى مختلف المواقف . وتتضافرهذه الأنساق الثلاثة معا بشكل كامل مما يعنى أيضا أن الأنساق المجردة تقوم بينها علاقات سببية معقدة . وعلى ذلك فإن كل النظم الاجتماعية تتأثر جزئيا بالاقتصاد وبالعمليات السياسية والعكس بالعكس مما يقتضى أن أى نظرية تكون قاصرة على نسق واحد من تلك الأنساق الثلاثة سوف تكون قاصرة أيضا فى قدراتها التفسيرية . وقد أثار پارسونز هذه المناقشة كقضية مضادة لنظريات "العامل الوحيد" ومن أجل تحقيق الوحدة النظرية .

وبالإشارة إلى المناقشات الجدلية التى تلت ذلك فإنه يجب الانتباه إلى نقطتين تتعلقان بتوكيد پارسونز على الجوانب المعيارية للفعل . **النقطة الأولى** هى أن القيم والمعايير يتم التوكيد عليها لأنها تشيع بين الناس دون حاجة لوجود صلات فيزيقية أوغرائز اجتماعية فى الجماعات المترابطة؛ كما أنها تحدد بعض الأنماط الأساسية التى تؤدى إلى اختلاف الجماعات الإنسانية بعضها عن بعض . ولا تخلو هذه العملية أبدا من وجود توترات مهمة ، وقد أكد پارسونز على أنه "يجب أن نفكر فى الفعل دائما على أنه يتضمن حالة توتر بين نوعين مختلفين من العناصر، هما المعيارى والمشروط" (p.732).

والنقطة الثانية هي أن مفهوم "الجماعات" لا يستخدم للإشارة إلى "المجتمعات" فقط كما أن مشكلة المعيارية تستخدم أيضا للجماعات التي تؤلف ثقافات فرعية . ويظهر هذا واضحا على سبيل المثال في معالجة پارسونز لماركس الذي تعرضت آراؤه للمعالجات المتضاربة أكثر من آراء أي عالم آخر من أصحاب النظريات الرئيسية . فأثناء التعليق على فكرة تكوين الطبقة ذهب پارسونز إلى أن تحول الطبقة المسيطرة إلى جماعة ناشطة ذات وعي طبقي يتضمن " مايبدو إلى حد كبير أشبه بعنصرقيمي مشترك " . ويعجب لماذا "لم يلعب ذلك دورا في نظرة ماركس العامة عن التاريخ " (p .494).

الواقعية التحليلية :

وبنفس القدر من الأهمية حدد پارسونز في الفصل الأخير من كتاب بناء الفعل الاجتماعي الخطوط العريضة لمنهج "واقعي- تحليلي" يجمع بين الاهتمامات الوصفية والمثالية .

ويعتبر ذلك أكثر الملامح وضوحا واستمرارا في أعمال پارسونز التالية إذ نجده وراء مدخله "الوظيفي" الأكثر تحديدا، والذي ظهر بعد عقد من الزمن كما أنه كان أحد الأسباب وراء اختلاف وظيفيته عن وظيفية دوركايم ومالينوفسكي . والأهم من ذلك أنه ربط نقد ڤيبر للنزعة التاريخية ونقد پاريتو للوضعية الاقتصادية بالتحليل النقدي عند ألفرد وايتهد Alfred N. Whitehead (1925) للمادية في فيزياء القرن التاسع عشر ، وذهب إلى أن "حقائق" العلم أو التاريخ لايمكن أبدا أن تكون مجرد "ملاحظات "observations وإنما هي بالأحرى تصنيفات لأشياء تستخدم تصورات لغوية سائدة بين الأشخاص المتمرسين على الملاحظة . وعلى ذلك فإن "موضوعية" العلم تعتمد بشكل قاطع على بناء مخططات ذهنية يمكن للباحثين الاطمئنان إليها أكثر مما تعتمد على مدى إمكان الملاحظة المباشرة للخصائص الجديرة بالاهتمام . والواقع أن وايتهد كان قد بين أن الفيزياء لم

تكن تهتم أثناء تطورها بالخصائص التى يمكن ملاحظتها بطريقة مباشرة قدر تركيزها على الخصائص التى تضم استدلالات معقدة من التصنيفات الإمپيريقية . وقد دعم هذا التوضيح رأى دوركايم عن أن المعانى الثقافية التى يتم التعبير عنها فى صورة رمزية (التمثيلات الجمعية) يمكن دراستها على أنها حقائق علمية كغيرها من الظواهر .

وكما فعل ڤيبر ووايتهد أكد پارسونز على أن المخططات الذهنية توفر على أحسن الأحوال عروضا منتقاة من الموضوعات المادية . وقد أطلق وايتهد على الإخفاق فى فهم تلك الانتقائية تعبير The fallacy of misplaced concreteness، التى تعنى الخطأ فى أخذ وصف جزئى للأشياء على أنه "جوهر" تلك الأشياء أو كليتها (العنصرية والنوازع الجنسية مثالان اجتماعيان على ذلك) . وقد بيّن پارسونز أن نقد ڤيبر للنزعة التاريخية ونقد پاريتو للوضعية الاقتصادية هما تعبيران عن موقف واحد . وكما فعل وايتهد وپاريتو استخلص پارسونزالنتيجة المتوقعة عن أن فى الإمكان استخدام وتطبيق العديد من الأطر والنظريات على نفس الموضوعات دون أى تناقض . ففى الوضعية البريطانية كان الهدف التقليدى هو توحيد كل المتغيرات العلمية فى نسق واحد مغلق ، ولكن پارسونز رفض هذه النظرة وذهب – على الأقل بالنسبة للفعل الإنسانى – إلى تفضيل أنساق نظرية متعددة تتنوع فى درجة تساندها . وهذا يقلب مفهوم النسق عن وصف الارتباط بمتغير (درجات مختلفة من النسق) التى وضعت أساس أنساق الفعل التى قام پارسونز بتطويرها على قواعد صلبة فى أعماله التالية (Martel 1971, pp.178-185).

وتعتبر الواقعية التحليلية عند پارسونز – من بعض الوجوه – برهانا على نوع من الوضعية الأوسع نطاقًا والتى تضفى على العلم الاجتماعى مكانة عالية فى الدفاع عن العقلانية

ضد القوى المناوئة للتفكير الرشيد . ولكن المسلمة الأساسية عنده بالنسبة للعقلانية التى دافع عنها تحتمل قوله " إن الحقيقة المركزية التى لاتقبل المناقشة – هى أنه فى بعض الجوانب وإلى حد ما تحت ظروف معينة يكون الفعل الإنسانى عقلانيا "(1937,p.19). وهذا النوع من الدفاع المشروط من پارسونز باعتباره من أتباع التنوير يعتبر نموذجا لدفاعه عن كثير من القيم الأخرى كما تكشف عن ذلك أعماله وكما يظهر بالنسبة للحرية الفردية والتماسك الأخلاقى . وكانت استراتيجيته هى أن يبدأ من حالة بسيطة للغاية عن تحقيق أى قيمة معينة على أرض الواقع ثم يسأل عن أى القيم الجوهرية من الناحية الاجتماعية تحدد أو تضع قيودا على تحقيقها تحت مختلف الظروف الاجتماعية , ومن الناحية المعيارية كان ذلك مطلبا لتحديد وتعيين نسق كلى من القيم الإنسانية وتوضيح كيف يمكن على المستوى العملى ترسيخها فى مختلف الأوضاع والأحوال والظروف الإنسانية .

ملاحظة حول ردود الفعل الانتقادية :

لقد ظل كتاب بناء الفعل الاجتماعى لعدة سنوات هو أرفع أعمال پارسونز مكانة وتقديرا؛ ومع ذلك لم يتوقف الجدل حوله طيلة الوقت ولكنه كان جدلا متحيزا . وقد ازدادت حدة الهجوم عليه فى أواخر الستينيات وبخاصة ضد مسألة التقارب بين دوركايم وڤيبر مع قيام موجة انتقادات ضارية بدأت فى بريطانيا لقراءته المنتقاة التى اعتبرت "زواجا غير مقدس" بين النظريات الفرنسية والألمانية (Parsons 1973 c). وكثير من تلك الانتقادات كانت تتجاهل أهداف وسياقات ومنطق وخصائص بحوث پارسونز وتتصدى لتأثير الكتاب أكثر من محتواه . فقبل نشر ذلك الكتاب لم يكن معظم السوسيولوچيين يرون أن ثمة أى صلات بين دوركايم وڤيبر ، أما الآن، وهو مايدل على مدى نجاح پارسونز، فقد أصبح لدينا أدبيات وكتابات عديدة تحاول أن تبرز فقط

اختلافاتهما الجزئية . وأكثر الانتقادات أهمية تدور فى الأغلب حول تطوره بعد ذلك مع احتفاظه بعلاقاته المهمة مع مصادره الأولى حتى وإن كانت انتقائية ومتباعدة .

الأعمال والممارسات التالية: (١٩٣٧-١٩٧٢)

فى كتابه الأول عرض پارسونز برنامجا شاملا لنظرية الفعل يشتمل على الخطوط الأساسية للواقعية التحليلية . ولايزال هذا الكتاب هو أفضل مصدر عن علاقات پارسونز بالعلماء السابقين عليه وعن المبادئ المنهجية الأساسية . ولكن الإطار العام لممارساته هو الذى بدأ يتشكل بشىء من التفصيل فى الأربعينيات وظهرت بوادر هذا التشكل فى عملين رئيسين نشرا فى أوائل الخمسينيات ثم أخذت فى التوسع والتطور المطرد منذ ذلك الحين . ويرتبط تمدد وتوسع المخطط ارتباطا وثيقا بتطور نظرية جديدة عن التحديث ترجع جذورها هى أيضا إلى أعمال دوركايم وڤيبر وتركز على عقلنة المجتمعات الحديثة بالمعنى الذى يقصده ڤيبر مع نمو عمليات تبادل السوق والمهن المتخصصة والنظرة العلمانية للحياة . ومنذ أواسط الستينيات اتسع نطاق الاهتمام بمطلب تطورى جديد على نطاق واسع من الاهتمام المتزايد بالمجتمعات القديمة والبحث عن مراحل متتالية تساعد على ترتيب التغيرات التاريخية .

وقد اتجهت كتابات پارسونز بعد الحرب العالمية الثانية بشكل متزايد نحو الأنثروپولوچيا وعلم النفس . وقد جاء ذلك الاتجاه نتيجة ارتباطه ببعض الأنثروپولوچيين من أمثال كلايد كلكهوهن Clyde Kluckhohn وإلتون مايو Elton Mayo ولويد وورنر Lloyd Warner وعالمى النفس جوردون أولپورت Gordon Allport وهنرى مرى Henry Murray الذين شجعوه على إجراء دراسة مركزة للنظريات الفرويدية والمقاربات الأنثروپولوچية لدراسة **الثقافة والشخصية** . وقد دفعته دراسته

السابقة لمهنة الطب التى كان قد بدأها قبل اندلاع الحرب إلى الاتصال بستانلى كوب Stanley Cobb مؤسس معهد التحليل النفسى فى بوسطن . وفى عام ١٩٤٦ - ورغم عدم حصوله على أية درجة فى الطب - تقدم لمعهد التدريب على التحليل النفسى وتم قبوله . ومنذ ذلك الحين احتلت النظرية الفرويدية مكانا محوريا فى كل أعماله .

وفى عام ١٩٤٦ أيضا حدث أمر مهم هو إنشاء قسم العلاقات الاجتماعية بجامعة هارفارد الذى ضم مجموعة متميزة من علماء الاجتماع وعلم النفس والأنثروبولوچيا الذين ظلوا يعملون فيه لأكثر من عقدين . وقد لعب پارسونز دورا مهما فى تجميع هؤلاء العلماء معا كما تولى رئاسة ذلك القسم خلال السنوات العشر الأولى . وأثناء تلك المرحلة التى أعقبت الحرب والتى بلغت فيها الولايات المتحدة ذروتها فى العلاقات الدولية ووصلت جامعاتها ومجالاتها الأكاديمية إلى أقصى درجات التوسع بحيث توافد عليها أفضل الطلاب والباحثين من كل أنحاء العالم للإفادة من برنامجها التجريبى الفريد حلقت شهرة پارسونز وتأثيره فى أوسع الآفاق فى ذلك المناخ المتمدد ومتعدد الأبعاد الذى أتاح الدعم البنائى والباعث والتنوع التخصصى اللازم لاحتواء مفكر نظرى كبير على مثل هذه الدرجة من النبوغ واتساع المعرفة . وفى السنوات الأخيرة من الخمسينيات وعلى الرغم من كل الجدل المثار ضد نظريته أصبح پارسونز أهم عالم اجتماع فى الحياة الأكاديمية . وفى عام ١٩٦٧ أصبح أول عالم اجتماعى يتم انتخابه لرئاسة الأكاديمية الأمريكية للفنون والعلوم . وتعكس كتابات پارسونز فى فترة مابعد الحرب كثيرا من جوانب صعود الولايات المتحدة وجامعاتها علاوة على تألق نجمه هو ذاته.

حين نتتبع التطور المعقد لنظرية پارسونز ومخططه الذهنى بعد الحرب سوف نركز على نقطتين أساسيتين ساعدتا على بلورة أعماله . **النقطة الأولى** هى

اتجاهه الوظيفى فى أوائل الخمسينيات والثانية هى نموذجه الوظيفى التطورى فى أواخر الستينيات . والذى يدفعنا إلى اتّباع هذا المدخل هو أن نظريته كانت تتطور وتنمو فى اتجاه تصاعدى سريع وتتسع وتتمدد طيلة الوقت كما كانت دائرة المشكلات التى يعالجها تتسع فى الوقت الذى كانت كل مشكلة منها تخضع للاختبار من حين لآخر على أساس أكثر اتساعا . كذلك يرجع اتبّاعنا لهذا المدخل إلى أن جانبا كبيرا من أعماله كان على شكل مقالات يملأ أهمها الآن سبعة مجلدات . وفى هذه المقالات نجد سلسلة كاملة من النظريات ذات المجال المتوسط التى تعكس كثيرا من ملامح قضية التحديث عنده ، وهى قضية كانت تنمو على دفعات وفقا لتطور مخططه الذهنى . وتشمل تلك النظريات متوسطة المدى براهين ومناقشات أساسية حول عدد من الموضوعات المتنوعة مثل المهن الحديثة والتنظيم الاقتصادى والتعليم والتدرج الاجتماعى والعائلة وتوزيع الأدوار بحسب السن والجنس وتنشئة الأطفال وأدوار المرض والصحة العقلية والثقافات المضادة والجنوح والعمليات الديموقراطية والقانون والبيروقرطية والانتماءات العرقية والعلمانية الدينية والعلم وغيرها . وهذه الموضوعات كلها كانت ترتبط إلى حد ما على الأقل بنظرياته الأكثر اتساعا . ولكن مناقشاته وحججه الأدنى مجالا من ذلك ، والتى يمكن التعرف عليها بسهولة فى تلك المقالات هى التى جذبت انتباه الدارسين وأثّرت فى كثير من المجالات بل وغيرتها تماما فى بعض الأحيان . وكثيرا ما كان المتخصصون يسيئون فهم السياقات الواسعة لقضايا پارسونز، بل إن كثيرا من الجهود بذلت بغير طائل فى دحض تفسيرات نظرياته عن أدوار وأحوال المرض والوظائف المتغيرة للعائلة ووظائف التدرج والسلوك المتوافق . ولعل الخطأ الأكثر شيوعا كان محاولة بعض الباحثين اختبار حججه حول نظم المجتمعات الكبيرة بالرجوع إلى جماعات محلية صغيرة تتوفر لديهم عنها بيانات مناسبة

وسوف نشير فيما بعد إلى عدد قليل فقط من تلك النظريات متوسطة المجال التى لم يكتب عنها ما يكفى لإبراز قيمتها أو أهميتها . ولكن الملخص الرائع الذى كتبه پارسونز نفسه (١٩٧٠) وكذلك كتاب روتشر (Rocher (1975 وكتاب بوريكود Bourricaud (1977) تعطى بعض الفكرة عن مجال تلك النظريات ، كما أن كتاب ميتشل Mitchell (1967) يعتبر عملا ممتازا عن أعمال پارسونز السياسية . كذلك ظهرت ثلاثة كتب تذكارية تلخص وتعرض بوضوح نظريته الأساسية (Barber & Inkels 1970; Loubser et al 1967; Hellen et al 1977)، كما تقدم مجلدات لوبسر أكمل ملخص ونقد للقارئ الأكثر تخصصا والأشد اهتماما . ويحاول المقال الحالى أن يتتبع على وجه الخصوص نمو وتطور النظرية الأساسية والإطار العام الذى يربط تلك المقالات العديدة بعضها ببعض .

النموذج ثلاثى الأنساق :

ظهر الإطار الأكثر تطورا لأول مرة فى الكتاب الرئيسى الثانى لپارسونز وهو كتاب النسق الاجتماعى The Social System (1951) مع مقال مصاحب له (اشترك فى كتابته إدوارد شيلز Edward Shils (1951) الذى كان پارسونز استدعاه من جامعة شيكاغو ليعمل معه فى هارڤارد . وقد حافظ پارسونز على كل مكونات أعماله المبكرة (١٩٣٧) ولكن التركيز تحول إلى الأنساق الاجتماعية والثقافية وأنماط الشخصية على اعتبار أنها النماذج الثلاثة الأساسية التى تتداخل معا لتنظيم الفعل (مع اعتبار الأنساق الاقتصادية والسياسية أنساقا اجتماعية لها طبيعتها الخاصة) . وبينما كان پارسونز ينظر إلى كل الأنساق على أنها تنظيمات تنبعث من العناصر الأساسية للفعل كان هناك تحول من الفاعل الفرد الذى يقوم بالاختيارات إلى الاختيارات المتساندة التى يقوم بها فاعلون تم تطبيعهم اجتماعيا . وعلى

العموم فإن الصيغة الجديدة تعبر بشكل أفضل عن أغراض پارسونز المبكرة لأنها تأخذ في الاعتبار مصادره الأنثروپولوچية والسيكولوچية الجديدة .

لم تعد الوحدة التكوينية للفعل هى التصرف الجزئى الأولى، ولكنها أصبحت هى الفكرة الأكثر تعقيدا، عن "الفاعل الذى يهدف نحو موقف معين" *actor-orienting-to-a situation*، وقد يكون ذلك الفاعل فردا أو جماعة مع اعتبار أن لهم جميعا وجودا حقيقيا متماثلا . وكان الأفراد الذين يحملون بشكل ما الطاقة والجهد لايزالون يعتبرون هم الوحدات الأساسية للفعل ، ولكن لكى يصبح الفرد فاعلا فلابد له من أن يكون شخصا متميزا ومندمجا ثقافيا فى المجتمع وبالتالى يكون نتاجا لنوع التنشئة التى حصل عليها سواء أكانت تنشئة توافقية conformist أم غير ذلك مما يعنى أن العلاقة شديدة التعقيد. وسواء أكانت العلاقة فردية أم جماعية فإن الفعل يتم تعريفه على أنه "سلوك موجه لتحقيق أهداف معينة فى مواقف معينة من خلال تصريف الطاقة بوسائل منظمة تبعا لمعايير محددة" (Parsons & Shils 1951, p.53). إلا أن السلوك يتضمن عملية اتخاذ القرار التى تؤدى إلى اختيار الفعل وإلى النشاط الفعلى أيضا، ولذا يجب عدم الخلط بينه وبين السلوك الذى ينشأ عن العلاقة بين المثير والاستجابة فى علم النفس . فعلى العكس من هذا النوع الأخير من السلوك يكون الفعل هادفا ومحددا لمؤثراته البيئية فى حدود البواعث والقيم أكثر من أن يكون مجرد استجابة لتلك البواعث والقيم ، فهو يتضمن البدائل التى رفضها الفاعل أو عمل على تأجيلها لوقت آخر ، كما يتضمن الاستجابات التى يتصورها الآخرون حول مختلف بدائله عن الفعل . ويزيد من أهمية هذا الوضع أن مفاهيم وأفكار فرويد عن الكبت والتابو أضيفت إلى نموذج الفعل . والحقيقة المألوفة عن أن المحلل النفسى الذى يستمع إلى المريض يولى انتباها خاصا للأشخاص الذين يخاطبهم كعلامات للصراعات الدافعية هى حالة تستحق الاهتمام .

ويذهب بارسونز إلى أن كلا من هذه النماذج الثلاثة الرئيسية لأنساق الفعل - وهى النسق الثقافى ونسق الشخصية والنسق الاجتماعى- له دور تنظيمى متميز فى عملية الفعل ولذا فهى تتمتع بدرجة من الاستقلال النسبى كعلة أو سبب . ومع ذلك فإن الشخصيات تتولى ترتيب منظومة الاحتياجات والمطالب المكتسبة واختيارات الفعل لدى الفاعلين الأفراد الذين قد لا يتشابه أى اثنين منهم فى شىء رغم أنهما قد يتكلمان نفس اللغة ويشتركان فى كثير من القيم الثقافية والمعتقدات . وتؤلف الأنساق الاجتماعية بؤرة لتجميع الأشخاص وتنظيم ميول الفعل المتباعدة والمتصارعة لدى الأفراد فى أنماط من العلاقات المتناسقة ، كما تقوم فى الحالات الأكثر تعقيدا بتنظيم الزمر الاجتماعية فى فئات أكبر بالاعتماد على نظام التدرج الاجتماعى أو بالرجوع إلى ممثلى تلك الزمر. وعلى العكس من ذلك يمكن تعريف الثقافة بطريقة أكثر منهجية ودقة من خلال رؤية بارسونز أكثر منها من خلال أفكار معظم الأنثروبولوچيين . فالثقافة عنده تتألف من المعايير والقيم والمعتقدات وغير ذلك من الأفكار المرتبطة بالفعل، والتى تم تجسيدها فى شفرات رمزية ويمكن نقلها من فرد أو من جماعة أو من مجتمع لفرد أو جماعة أو مجتمع آخر. وبمعنى أدق فإنه فى الوقت الذى تشرع فيه فى التفاعل وتوفير مصادر رمزية يمكن من خلالها تشكيل الفعل، فإنها تؤلف نسقا من الأنماط الرمزية أكثر منه نسقا من الفعل، كما أنها تتولى تنظيم تلك الأنماط فى صيغ لها اتّساق رمزى وسلوكى كما هو الشأن بالنسبة للأفكار المثالية التى سبق لنا الحديث عنها. (Parsons 1937).

والأهم من هذا كله هو أن الثقافة توفر الكتابات والنصوص (أنساق من القواعد والمعايير) اللازمة للفعل المنظم مثل المسرحيات الدرامية التى يمكن أداؤها مرارا وتكرارا إذا ما تم استذكارها أو تسجيلها بالكتابة ، كما

أنها توفر مقاييس أو مستويات القيمة الأكثر اتساعا لتبرير أسباب أداء بعض تلك النصوص أو الإخفاق فى أدائها بطريقة سليمة . وتبعا لهذا التصور تعتبر الثقافة نوعا من بنك المعلومات الذى يؤدى دوره فى الفعل حين يستدمج الأفراد أنماطها أو حين تلتزم الجماعة بها .

وتتمثل جوانب التجديد الأساسية الأخرى فى المخطط فى فكرة أن أنساق الفعل الثلاثية تتداخل بعضها مع بعض وأن بعض العناصر الأساسية فى أى نسق واحد منها له نظير بالضرورة فى النسقين الآخرين . وتستخدم هذه الفكرة لتوضيح بطريقة منهجية مطردة التصورات المهمة للأدوار والنظم الاجتماعية وغيرها من الأمور. وبذلك يمكن تصور الأنساق الاجتماعية على أنها تتألف من الأدوار التى تتألف من المعايير أو النصوص التى يتوقع أن يتبعها الفاعل فى موقف معين . وتستمد هذه المعايير وجودها من الثقافة أو الثقافات التى يرتبط بها الفاعل فى النسق الاجتماعى . بل إن پارسونز يذهب إلى أن الدور المحدد لأى شخص معين (يطلق عليه *لفظ الأنا* **ego**) يجب أن يعتبر فقط على أنه ناشط اجتماعى حين يتم استدماجه من الذين حددوا له ذلك الدور *(الآخرون* **alters**) باعتبارهم دوافع ناشطة فى نطاق شخصياتهم الفردية . وهذا معناه فى واقع الأمر أن (الآخرين) فى حاجة إلى توافق (الأنا) مع تعريفاتهم للدور وأن هذا التوافق يساند ويعزز ذلك الاحتياج وأن الابتعاد الخطير عن تلك المؤازرة فيه خرق لذلك التوافق . ويضيف پارسونز إلى ذلك افتراضا استعاره من فرويد عن الإحباط - العدوان ، فيذهب إلى أنه إذا كان (الأنا) يؤيد (الآخرين) بهذا التوافق فإن من المحتمل أنهم يؤيدونه بدورهم ويحدث العكس إذا انحرف (الأنا). وعلى ذلك فإذا نحن مددنا هذه الحجة إلى العلاقة المزدوجة والمتوازية التى يلعب فيها كل طرف دور الأنا والآخر فإنه يفترض أنه حيث توجد تعريفات للدور متفق عليها فإن مجرد استمرار العلاقة داخل حدود مقبولة

يؤدى إلى التقوية المتبادلة للطرفين بحيث لا يتطلب الأمر وجود جزاءات أو مكافآت أخرى . وتحت هذه الظروف يصبح نسق علاقات الدور قادرا على ترتيب نفسه بنفسه . فكأن مفهوم الدور الاجتماعى يأخذ فى نموذج پارسونز معنى أكثر اتساقا ومنهجية مما كان عليه الأمر من قبل باعتباره المفهوم الذى يربط بين الثقافة والشخصية فى تفاعلهما.

أما فى الأنساق الاجتماعية الأكثر تعقيدا فإن الأمر لا يستدعى أن يكون كل طرف ملتزما التزاما قويا بكل دور وإن كان من الضرورى وجود فئة من (الآخرين) تتمسك بذلك الالتزام . وهذا لا يعنى فقط وجود (آخرين) منفصلين من شأنهم توقيع الجزاءات السلبية على الأنا إذا (خرج عن الصف) وإنما يعنى أيضا أن هؤلاء الآخرين يوقعون الجزاءات أيضا على بعضهم بعضا باعتبارهم هم الذين يطبقون الجزاءات على الأنا. وعلى ذلك فإذا كان المعيار المتبع فى الكنيسة مثلا يقضى بأن يراعى الوالدان احتفاظ أولادهم بالهدوء أثناء القداس فإنه حين لا يلتزم الطفل (الأنا) بالهدوء ويفشل الأب (الآخر) فى السيطرة عليه فإنه يحق للأشخاص القريبين منهما (الآخرون بالنسبة للأب) إبداء عدم الرضاء، نظرا لأن احتياجاتهم تشتمل ليس فقط على سلوك الأنا، وإنما تمتد إلى الاستجابة الصحيحة لمثل ذلك السلوك . وحين يطبق التزام جماعة سائدة على منظومة معينة من الأدوار مع إدراك أن هذه الالتزامات هى أمور مشتركة على نطاق واسع فإن پارسونز كان يشير إلى معيار الأدوار على أنها أمور تأخذ شكل النظام وإلى الأنساق المنظمة من هذه الأدوار على أنها نظم اجتماعية وعلى ذلك فإن النظام الاجتماعى فى هذا السياق يمثل استدماج المعايير الثقافية فى شخصيات الآخرين (الذين يتولون تحديد الأدوار) وأنه أمر ناشئ تفاعليا ويشير إلى العلاقات بين الآخرين . وفى المجتمعات الكبيرة وغيرها من الأنساق الاجتماعية المعقدة قد يقع عبء تحديد

الأدوار الاجتماعية ومراعاتها على أشخاص وأجهزة وهيئات متخصصة (المشرعين والمحاكم والشرطة وما إلى ذلك) . وكان رأى پارسونز أن مثل هؤلاء الأشخاص لايمكن لهم أن يؤدوا مهامهم بطريقة فعالة إلا إذا وجدوا التعزيز والتأييد والاتفاق العام من الآخرين. وكان پارسونز يدرك تماما أنه فى الجماعات الكبيرة يستحيل تحقيق مثل هذا الاتفاق العام بشكل كامل وأن بعض الخلافات يجب أن تحل عن طريق القوة أو التهديد باللجوء إليها ، ولكنه كان يدرك فى الوقت ذاته أن الاعتماد المستمر على القوة واتساع مجالات استخدامها له ثمنه الفادح وأنه بمرور الوقت تقل فاعليته كأساس للتنظيم المستقر . فاستخدام القوة فى الجماعات الكبيرة يعتمد على أية حال على بعض الالتزامات المؤسساتية على الأقل داخل جماعة القوة كما أن نموذجه يجعل التنظيمات التسلطية الإرهابية عرضة للسقوط.

متغيرات النمط :

التجديد الرئيسى الثانى الذى أدخله پارسونز على المستوى النظرى هو مخطط متغيرات النمط ، وهو مفهوم صادف قبولا شديدا وشاع استخدامه على نطاق واسع ، وكان پارسونز قد انتبه إلى التعارضات الرئيسية بين المجتمعات التقليدية والحديثة التى وردت فى النظريات السابقة عليه (ابتداء من كونت إلى فرديناند تونييس وڤيبر ودوركايم) ورأى أن فى الإمكان إعادة تعريفها فى مصطلحات وحدود أكثر أهمية وعمومية عن الفعل ، وأدى به ذلك إلى صياغة خمس خصائص متغيرة أساسية عن أنماط الفعل قام باختصارها فيما بعد إلى أربع فقط هى التى نشير إليها هنا . وكل خاصة من هذه الخصائص تأخذ شكل اختيار ثنائى binary choice يظهر فى كل علاقة اجتماعية ويجب إقراره عن طريق أولوية واضحة للاختيار قبل أن نتأكد ونرسخ تلك العلاقة. ويتعلق أول اختيارين بتوجه الأنا نحو الآخرين

بينما يختص الاختياران الآخران بالطريقة التي يتم بها تحديد هؤلاء الآخرين (أفرادا كانوا أم إحدى جماعات المكانة status group).

الانحياز مقابل الحياد . إذا ما كان الأنا يبغى الرضا او الإشباع المباشر فى الموقف (التعبير بصراحة عن مشاعره مثلا) أم التحكم وضبط النفس إزاء الآخرين الشيوع مقابل التخصيص. إذا ماكان الأنا يبحث عن مجال واسع للإشباع من الآخرين أم أنه يتمسك بتوجه أكثر تحديدا .

الخصوصية مقابل العمومية. إذا ما كان الأنا يحدد ويعرّف الآخر بالإشارة إلى علاقة خاصة بينهما (صداقة أو قرابة) أم بالإشارة إلى عضوية الآخر فى إحدى فئات المكانة الأكثر اتساعا (المواطنة ، الذكورة أو الأنوثة ، الإنسانية) ، والتعارض هنا يكون بالإشارة إلى نسق مرجعي؛ ففى نطاق العائلة قد يكون للوالد خصوصية إزاء أحد أولاده عن طريق التفضيل من عدمه.

المتوارث مقابل المكتسب – (وقد قام بارسونز بتعميم هذا النمط فيما بعد إلى الخصائص مقابل الأداء) – إذا ما كان الآخر يتم تحديده وتعريفه بالرجوع إلى معايير مستقلة عن أفعاله فى موقف معين أم أن التحديد يتم على أساس أفعاله وحسن أدائه لتلك الأفعال (السن والجنس والسلالة تمثل الجانب الأول بينما "معايير الجدارة تمثل الجانب الثانى) .

وكل زوج من هذه الاختيارات يشير إلى ملامح معينة لتعريف الأنا (أحد الأفراد أو إحدى العلاقات) والإشارة هنا تتميز بشدة التجريد مما يتيح إجراء مقارنات عريضة، كما أنها تحتاج فى التطبيقات الإمبيريقية إلى تحليل مضمون للمعانى ، ولكنها من الناحية النظرية تجعل من السهل إقامة نماذج مثالية لأنماط الفعل باستخدام الاختيارات البديلة كمكونات فكرية . فعلى سبيل المثال نجد أن المصطلحات الأولى فى المتغيرات الأربعة. تحدد العناصر الواسعة الانتشار لمعايير

علاقات الصداقة التى كثيرا ماتعتبر انحيازية وانتشارية ولها خصوصية ومتوارثة. (وذلك رغم وجود كثير من التنوعات فى معانيها التفصيلية) . وعلى العكس من ذلك فإن الفئة الثانية من المصطلحات تحدد العناصر الشائعة عن الأدوار المهنية وذات الطابع الرسمى إزاء العملاء . فالمتوقع من المعلم - على سبيل المثال - أن يكون محايدا ومحددا وعموميا ومهتما بحسن الأداء فى مواقف الفصل وإن كان التلاميذ يعتبرون أكثر تنوعا وأشد اختلافا ، وأن يتصف بقدر كبير من التعاطف. ولكن أثناء تطور نظرية بارسونز امتزجت هذه الاختيارات الأربعة وتحول كل منها إلى مقياس استخدمه بطريقة لا تعنى كثيرا بذلك التقسيم الثنائى .

ويرجع جانب من هذا المخطط إلى أن مقولاته يمكن تطبيقها على القيم الثقافية والاحتياجات الشخصية ، مثلما تطبق على معايير الدور كما يمكن استخدامها فى عرض مظاهر وجوانب التوافق السلوكى أو الانحراف عن الأدوار الاجتماعية . وقد استعان بارسونز بهذا المخطط فى صياغة فرضية عامة جدا عن الأنساق الاجتماعية مؤداها أن كل علاقة اجتماعية على أى قدر من التعقيد يجب أن تتضمن "جميع" ترابطات القيم المتعلقة بالاختيارات الزوجية . وعلى ذلك فإن كل علاقة صداقة يجب أن تعطى شيئا من الاهتمام لبعض المهام التى يتحقق فيها قدر من مستويات (أوإمكانات) الإنجاز كما أن كل علاقة من العلاقات المهنية أو علاقات العمل يجب أن تتضمن بعض اللحظات التى يتم التعبير فيها عن معانى التعاطف والخصوصية . وهذا فيه تعميم إلى حد كبير لحقيقة توجد فى كثير من المجالات السوسيولوجية المختلفة . فقد انتبه علماء الاجتماع الصناعى لأهمية العلاقات الإنسانية حتى فى أشد جماعات العمل تمسكا بالرسميات ، كما أن الباحثين فى مجال الصداقة والحب كانوا يحرصون على إبراز المظاهر المنفعية فى أشد العلاقات

حميمية. وكانت حجة پارسونز فى هذا كله هى أن كل العلاقات المستقرة تتألف من كل القيم الاجتماعية المهمة مع الاختلاف فى الأولويات التى تعطى لكل منها . وهذه الحجة تصدق على وجه الخصوص على المجتمعات الكبيرة .

أنماط المجتمعات وأولويات القيمة

فى كتاب *النسق الاجتماعى* يستخدم پارسونز نمط المتغيرات أساسا لتنميط تجريبى للمجتمعات (الفصل الخامس) يعرض فيه مخططا مبدئيا لنظريته عن التحديث . وبعبارة بسيطة جدا فإنه يستخدم موضوع المتغيرين (الخصوصية مقابل العمومية والموروث مقابل المكتسب) لكى يعارض بشكل عام أربعة أنماط كبيرة من المجتمعات تحددها القيم الرئيسية المهيمنة . وسوف نكتفى هنا بالحديث عن النمطين المتطرفين . فعلى أحد الجانبين يتم تعريف المجتمعات التقليدية بأنها "خصوصية - متوارثة" على اعتبار أن التركيز يكون على علاقات القرابة كما أن أهم الأنشطة (العمل والتعليم وأنشطة الفراغ والممارسات الدينية وما إلى ذلك) يقوم بأدائها أفراد العائلة أو الفاعلون فى العائلات الأخرى المرتبطة بها . وتعكس العلاقات بين الأقارب فى جوهرها القيم المتوارثة الخاصة والمهيمنة فى المجتمع كما أن من المحتمل أيضا أن تكون منحازة ومنتشرة . ولكنه يؤكد على أنه حيث تسود القرابة فى كل مظاهر الحياة الاجتماعية فإن الأمر يستدعى وجود بعض علاقات الدور المتفاضلة بين الأقارب الذين تسود فيهم أولويات أخرى للقيم . وهذا يحدث فى الأغلب فى الإنتاج الاقتصادى حيث تتم ملاحظة واتباع بعض مقاييس الإجادة ، ولكن من المهم أيضا مراعاتها فى مجال تنشئة الأطفال والترفيه والممارسات الدينية . وحيث تسود الروابط القرابية والقيم المتعلقة بها فإن من المحتمل مراعاة القيم المتعارضة (فمثلا لا يمكن للشخص أن يطرد أحد أقاربه من العمل) . وهذا يفرض قيودا شديدة على إمكانات التطور الاقتصادى والسياسى

وغـــيــر ذلك من أشكال التطورات الاجتماعية والثقافية.

وعلى العكس من ذلك، فـإنه فى المجتمعات الأكثر تقدما وحداثة يوجد ميل نحو تطبيق المقاييس العمومية المكتسبة ، وذلك نتيجة لتطور عقلانية الحياة الاجتماعية . وفى كثير من الأحيان قد تتحول أولويات القيم إلى الضد تماما . ففى المجال العام للحياة السياسية والاقتصادية يتم التركيز على مقاييس الإجادة والاستحقاق العامة وتحريم المحاباة فى التعيين للوظائف وفى تحديد سعر الضريبة ومنح التــراخـــيص وفى الأحكام القضائية ... فما يعتبر أمرا عاديا مألوفا فى أحد أنماط المجتمعات قد يعتبر جنوحا خطيرا فى نمط آخر . وهذه التحريمات والممنوعات تميل إلى التوسع لتشمل محاباة الأصدقاء وأعضاء الجماعة العرقية وغيرها من التكوينات والعلاقات الخصوصية . وقد كان ڤيبر يخشى من انتشار هذه الميول للعقلانية إلى كل النسيج الاجتماعى الحديث مما يعرّض كل العلاقات الإنسانية التلقائية للدمار ، ولكن بدلا من ذلك ذهب پارســونز إلى أن العقلانية كمبدأ لها حدود كما أن للقيم القرابية حدودا ، وأن فرض القرابة والعلاقات الشخصية سوف يظل دائما موضع التأييد والإعزاز والحماية فى المحيط الخاص .

وهناك أربع نقاط أساسية جديرة بالانتباه إليها فى هذا المدخل ، وهى نقاط تحتل- مع بعض التعقيدات الأخرى - مكانا محوريا فى التطور التالى لنظريته . **النقطة الأولى** هى أنه على الرغم من كل الاختلافات التى قد توجد بين المجتمعات المستقرة فإنها تشترك جميعا فى بعض القيم التى يشير إليها نمط المتغييرات ، كما أنها تتمتع بأبنية متخصصة، وتهيئ الفرص لكل قيمة منها للتعبير عن نفسها. وعلى العكس مما تذهب إليه النسبية الثقافية فإن پارسونز يعتقد فى الوحدة الثقافية للجنس البشرى كما أن نمط المتغيرات (المترابطة معا) يوفر نقطة الانطلاق

لتحديد الكليات المهمة ... **النقطة الثانية** هى أن الاختلافات الكبرى بين الثقافات هى مجرد اختلافات فى الدرجة فيما يتعلق بالأولويات والفوارق الطفيفة رغم أهميتها. ومع أنه من الصعب التهوين من شأن تلك الاختلافات فى الدرجة فقد بيّن فى مناقشاته المبكرة لنظريات "الروح" الثقافية الفريدة أنها ضلت طريقها بفعل عملية توحيد القيم المهيمنة والمعتقدات السائدة فى الثقافة متجاهلة القيم ذات الأولويات المتواضعه مع المبالغة فى تخصيص معانيها **النقطة الثالثة** هى أن القيم المهيمنة فى أى مجتمع تحدد أولويات التنظيم والمصادر والمواقع الخاصة بالأنشطة العديدة التى تحدد بشكل واضح تطور كل منها. وعلى ذلك فإنه حيث يتم التركيز على القرابة فإن العمل والأنشطة الأخرى يتم تحديدها بقدر الإمكان قريبا من مقر الإقامة للحفاظ على العلاقات العائلية وتقليل المنازعات داخلها. وهذا يفرض قيودا إلى حد كبير جدا على التطور الاقتصادى والتعليمى ، بل والترفيهى أيضا . وعلى العكس من ذلك فإنه فى المجتمعات الحديثة حيث تحظى التطورات الاقتصادية والحياة العامة بدرجة عالية من التقدير فإن المصانع وغيرها من التنظيمات الاقتصادية تحصل على مواقع مختارة تتلاءم مع متطلباتها الخاصة (الموارد ، الأيدى العاملة ، وسائل المواصلات، وغيرها) مع المحافظة على المواعيد المبكرة وتوفير الطاقة لمحيط العمل والعائلة إلى جانب تحديد وتكييف أو تعديل أنساق الدور الأخرى بما يتناسب مع تلك الأولويات. وفى كلتا الحالتين نجد أن كلا من المجالين المتفاضلين يحظى على الأقل بدرجة دنيا من العناية والاهتمام .

النقطة الرابعة هى أن كل المجتمعات (بل وكل الأنساق الاجتماعية) تكتنفها التناقضات والتوترات والصراعات من كل نوع فى المستوى الأساسى للقيم الثقافية. ولكن بالنسبة لپارسونز لم يكن ذلك يعزز أية

نظرية جدلية للتاريخ (سواء بالمعنى الهيجلى أو الماركسى) لو أننا أخذنا ذلك على أنه يعنى إمكان العثور على حل نهائى لتلك الصراعات الأساسية. وهذا فى الأغلب هو أهم تعارض له مع ماركس وأكثرها منطقية. أى فكرة أن التناقضات المهمة لا تكون طارئة أو عرضية إلا فى أنماط معينة من المجتمعات وأن من الممكن للمرء أن يأمل فى إمكان القضاء عليها بالفعل . ولكن أى أمل من هذا النوع كان يعتبر طوباويا بالنسبة لپارسونز فقد كان مقتنعا بأن قوى كل الأنساق الاجتماعية تساعد على الالتزام بهذه الأنماط الطوباوية (1951,p.166) وهذا له علاقة بنظريته عن الثقافة المضادة التى تشملها مناقشة الأنماط الأربعة للمجتمعات. وكانت حجته الأساسية هى أن الثقافات المضادة للطوباوية تنشأ تحت ضغط القيم العامة المكبوتة فى أى مجتمع . فالجماعات التى تسيطر عليها علاقات القرابة تحلم بالوصول إلى مرحلة طوباوية تحترم وتقدر معايير الإنجاز والحرية الفردية بينما قد يتوق أعضاء المجتمعات الحديثة إلى الطوباويات الجماعية التى تتوحد فيها هويات الأقارب والهوية الشخصية . وهذه الضغوط قد تؤدى أيضا إلى قيام محاولات فاعلة وناجحة لتغيير النسق ، ولكن هنا أيضا قد تظهر محاولات أخرى للتوفيق .

ولقد احتفظ پارسونز فى كل أعماله التالية بالمخطط الأساسى للفعل كما عرضه فى كتاب *النسق الاجتماعى* والمقال المصاحب له وذلك على الرغم من كل الانتقادات التى وجهت لهما . وبقدوم الستينيات كان پارسونز قد أفلح فى تطوير نموذج أكثر اكتمالا عن أنساق الفعل والمجتمعات . وفى الوقت الذى كان مخططه يمتد وينتشر كانت نظريته تخضع لكثير من المراجعة والتطوير كما تبين أن التحليل الذى عرضه فى كتاب النسق الاجتماعى كان أقل نضوجا وتماسكا مما ينبغى . وعلى أية حال فإن الأفكار الأساسية التى ذكرناها هنا تظهر أيضا فى تطوراته التالية كما لايزال الكتاب

يحتفظ بأهميته الخاصة لسببين : الأول أنه يمثل الذروة التى وصل إليها پارسونز فى بحثه عن إطار تنظيمى وذلك قبل أن تدفعه التطورات التالية إلى تضييق مجال بحوثه . والثانى هو أن الكتاب يتبنى نظرة إلى الأشكال المحتملة من المجتمعات أوسع وأشمل بكثير من أى عمل آخر منذ كتاب هربرت سپنسر مبادئ علم الاجتماع *Principles of Sociology* (1876-1896).

تطور البنائية الوظيفية عند پارسونز :

من الناحية المنهجية اعتمد مدخل پارسونز لأنساق الفعل فى كتاب النسق الاجتماعى على استراتيچية بنائية وظيفية عمل على تطويرها بشكل رائع فى السنوات التالية. ويهتم هذا المدخل - وشأنه فى ذلك شأن كتابات كونت ودوركايم فى الموضوع - بالخصائص التنظيمية للأنساق التى: (١) تعتمد على الموارد البيئية من أجل البقاء اعتماد الكائنات العضوية البشرية على الهواء والطعام (٢) كما تعتمد أيضا على وجود تناسق داخلى معقد بين الأجزاء أو الأنساق الفرعية المتخصصة . وقد تمت صياغة الجانب البنائى فى هذا المدخل وفقا لنمط التشريح فى البيولوچيا كما أنه يعمل على تبسيطاً للمسائل المعقدة الخاصة بالعلاقات بين العمليات عن طريق استخدام التصورات النمطية التى تؤكد وجود بعض التعارضات الكيفية الأساسية (مثل التعارض بين الفقاريات واللا فقاريات فى البيولوچيا القديمة) أكثر منها عن طريق المتغايرات المستمرة . وتعتمد قيمة هذا المدخل البنائى على تحديد الملامح السائدة نسبيا للنسق الذى يرتبط بالخصائص المهمة العديدة الأخرى مثلما كانت فصيلة الفقاريات ترتبط فى زمنها القديم . ففى كتابات پارسونز كانت القيم السائدة أو الحاكمة تتأكد عن طريق تحديد الأنماط البنائية كما تتمثل فى أنماط المجتمعات التى يتم تصنيفها بواسطة متغيرات النمط التى سبق ذكرها .

ولقد ظهرت البنائية الوظيفية البارسونية ومناقشاته لها واستخدامها فى المجال السوسيولوجى لأول مرة فى عدد كبير من المقالات التى كتبها فى الأربعينيات (1949,chapters 1,2) ثم استخدمها بعد ذلك على نطاق أوسع فى كتاب النسق الاجتماعى (1951, pp.19-22). ففى تلك المقالات وذلك الكتاب أكد پارسونز على أنه يمكن النظر إلى المجتمعات على أنها أنساق محورية فى الفعل الإنسانى لأنها جماعات إنسانية مستمرة فى الوجود، وأن لها مصادرها الثقافية والنظمية التى تستمر عبر الأجيال ، وكان فى الوقت ذاته يعمل على توضيح أن أى نسق فعل آخر يمكن أن يؤخذ أيضا على أنه مرجع للتحليل الوظيفى فى حدوده الخاصة مادام النسق المرجعى واضحا . ولكن المشكلة الأساسية هنا هى أن أعمال پارسونز (مثل أعمال دوركايم وڤيبر) تبدأ بتحليل المجتمعات بينما تصنف الأنساق الاجتماعية الأخرى من خلال المجتمعات التى يرتبط بها أعضاء تلك المجتمعات .

ويعتمد التحليل الوظيفى لأى نسق على "قائمة" من النقاط المنهجية حول المشكلات والمتطلبات التنظيمية . وكان پارسونز يعمل حثيثا من أجل تحديد مثل تلك القائمة . ومع أن المحللين الوظيفيين السابقين عليه كانوا قد استقروا على تصنيفات واضحة وتلقائية إلا أنه كان يبغى الوصول إلى مدخل أكثر منهجية وتكاملا من الناحية النظرية وفى الوقت ذاته إلى قائمة الموضوعات التى وردت فى كتاب النسق الاجتماعى ، ولذا بدأ خلال السنوات القليلة التالية فى الإعداد لتحقيق هذا المطلب عن طريق خطته الشهيرة عن الوظائف الأربع ، وهى الخطة التى احتلت مكانا متحكما فى كل أعماله التالية ، وقد قدم تلك الخطة فى ثلاثة مقالات مشتركة مع روبرت إف. بيلز Robert F. Bales نشرت فى كتاب *أوراق عمل حول نظرية الفعل Worknig Papers in the Theory of Action (Parsons,Bales & Shils, 1963)* حيث كان استخدامها قاصرا على مجموعات عمل صغيرة ثم لم تلبث أن اتسعت سريعا

بحيث شملت المجتمعات الكبيرة و الأنساق الاجتماعية الأخرى فى عملين اشترك فى تأليفهما مع آخرين ، وهما كتاب العائلة *والفعل الاجتماعى وعملية التفاعل* ***Family, Social action and Interaction Process (Parsons et al.1955)*** وكتاب *الاقتصاد والمجتمع* ***Economy and Society (Parsons & Smelser, 1956)***.

المثال النموذجى للوظائف الأربع:

يقضى المثال النموذجى للوظائف الأربع على كل نسق اجتماعى بأن يواجه باستمرار المجموعات الأربع من المشكلات التنظيمية التى سوف نعرضها فيما يلى . والمجموعتان الأولتان تتعلقان بارتباط النسق الخارجية ببيئته الخاصة التى تشتمل على الموطن الفيزيقى والاحتياجات الجسمية لأعضائه وبعدد من الأنساق الاجتماعية الأخرى التى ينبغى أن تتلاءم معها . أما المجموعتان الأخريان من المشكلات فلهما صلة بالتنظيم الداخلى للنسق كجماعة بشرية مؤلفة من أشخاص تم تطبيعهم وفق الالتزامات الثقافية المتفاعلة فيما بينها . ويمكن تحديد المشكلات التنظيمية الأربع بشكل عام على النحوالتالى:

(١) *التكيف* ***adaptation***، والمقصود هو المشكلات التنظيمية الخارجية الخاصة بتحليل العلاقات مع البيئات الفيزيقية وكذلك مع بيئة الفعل بطريقة فعالة. وأهم موضوع هنا هو تدبير الموارد اللازمة لأنشطتها وتوفير الحماية ضد المخاطر الفيزيقية والاجتماعية وتطوير المعلومات المتعلقة بهذا الموضوع.

(٢) *إنجاز الهدف* ***goal attainment***، والمقصود به المشكلة التنظيمية الخارجية الخاصة بالتنسيق الفعال فى أية مهام جماعية تكون موجهة إلى خارج النسق ذاته.

(٣) *التكامل* ***integration***، والمقصود هو المشكلة الداخلية الخاصة بتحقيق إشباع العلاقات بين الأعضاء فى تفاعلهم وتجنب الخلافات المعوقة ،

وهذه المسألة تتم بين الأفراد بالنسبة للجماعات الصغيرة ، بينما فى التنظيمات الكبيرة فإنها تتم على مستوى العلاقات بين الزمر الاجتماعية .

(٤) المحافظة على النمط الكامن
latent pattern maintenance
والمقصود هو المشكلة التنظيمية الداخلية الخاصة بإضفاء المشروعية على أنماط عضوية وأنشطة النسق وكذلك أنماط تعديل وتكييف متطلبات الدور من الأعضاء بحيث يتوافقون مع الالتزامات الأخرى الخاصة بدورهم .

وقد أطلق بارسونز على هذا النموذج اسم "خطة AGIL" وهى كلمة مكونة من الحروف الأولى لهذه الوظائف الأربع (بالإنجليزية) . وتستمد هذه الخطة أهميتها من المناقشة التى أدارها بارسونز وبيلز أولا حول الجماعات الصغيرة من أن المتطلبات الدافعية والذهنية للتعامل بكفاءة مع كل منظومة أو مجموعة من المشكلات ليست منسجمة تماما بالطبيعة . وقد ظهر رأى آخر عن أن التوجهات المتناقضة المطلوبة يمكن تحديدها جزئيا عن طريق أنماط المتغيرات . ولتبسيط القضية المعقدة ظهر رأى يقول بأن العاطفية affectivity كانت تقوم بتسهيل التكامل والاندماج وتحقيق الهدف ولكنها كانت أيضا عامل تعويق بالنسبة للمحافظة على النمط والتكيف حيث يتطلب الأمر توفر الحياد وعدم الانحياز (Parsons,. Bales & Shils 1953, especially p.182)

وقد قام بارسونز بتوسيع نطاق هذا الفرض فى أعماله التالية ، ولكن الأساس المنطقى ظل بدون تغيير . ونظرا للحاجة إلى التوجهات المتناقضة لمعالجة هذه المشكلات بطريقة فعالة ذهب بارسونز إلى أن الجماعات الصغيرة تميل إلى أن تتفاضل إلى أربعة أنساق فرعية متمايزة لعلاقات الدور بحيث يتولى كل نسق فرعى ربط الأعضاء بطريقة مختلفة. وقد وجد بيلز - على سبيل المثال - فى بحث عملى أن مختلف أعضاء الجماعة الصغيرة

يميلون بدون استثناء إلى القيام بدور القادة حين تركز الجماعة على هدف معين (تحقيق الهدف) أكثر مما إذا كان التركيز على العلاقات الشخصية (الاندماج والتكامل) . أما في التنظيمات الأكثر تعقيدا فإن الجماعات المتخصصة القادرة على التكيف تميل إلى التعامل مع كل مشكلة من تلك المشكلات .

في كتاب *الاقتصاد والمجتمع* عمل پارسونز وسملزر بجرأة على توسيع نطاق هذه الفكرة بحيث تنطبق على تنظيم المجتمعات على أساس أن الاقتصاد يمكن بالتحليل أن يعتبر هو النسق الفرعي المعدل للمجتمع المنظم وأن النسق السياسي هو النسق الفرعي من تحقيق الهدف. كذلك بدأ الاثنان في إعداد مدخل تطوري أكثر اكتمالا للتنوعات المجتمعية التي تؤكد فرضية التفاضل الوظيفي عن أن "المجتمعات الكبيرة تميل إلى أن تتفاضل إلى أنساق فرعية (أبنية اجتماعية) متخصصة في كل من الوظائف الأربع الأولية (1956,p.47) وفي الوقت نفسه فإن الأنساق الفرعية البنائية التي تتعلق بالوظيفتين الرئيسيتين الأخريين لم تتم مناقشتهما إلا بالنسبة للاقتصاد كموضوع محوري جدير بالاهتمام . وعلى أية حال فإنه في الستينيات حدد پارسونز هذه الأنساق الداخلية للمجتمع بشكل أوضح وأطلق عليها اسم (الجماعة المجتمعية المتكاملة) والأنساق الجديرة بالثقة (المحافظة على النمط) (1971,p.297)

وثمة فكرة مركزية أخرى تبلورت في كتاب *الاقتصاد والمجتمع* وهي أن بعض المماثلات الاقتصادية الأساسية يمكن تطبيقها على القطاعات الثلاثة الأخرى مع اعتبار كل منها نسقا للإنتاج . وبذاك ذهب پارسونز إلى أن النسق الفرعي السياسي يتولى إنتاج القرارت السياسية المؤثرة بينما يهتم النسق التكاملي بإنتاج التماسك الاجتماعي ، والأهم من هذا كله أن پارسونز كان ينظر إلى أنساق الإنتاج الأربعة على أنها متساندة فيما بينها مع

اعتبار حصيلة كل منها عاملا ضروريا في تحقيق الأهداف الإنتاجية للأنساق الأخرى .

مستويات المجتمع :

بينما كان پارسونز يعمل على توسيع دائرة خطة الوظائف الأربع من الجماعات الصغيرة في كتاب *الاقتصاد والمجتمع* كانت الفكرة ذاتها تزداد وضوحا وتكتسب مزيدا من الدقة وبخاصة بعد أن قام بتحديد أربعة مستويات أو مراتب تنظيمية أساسية في المجتمعات المتقدمة . ويبدو أنه توصل إلى تلك الفكرة من خلال توسيع وتعميم ملامح إحدى مجموعات العمل في أحد المصانع (تنظيم مجموعات العمل) في نطاق اقتصاد يتمتع بدرجة عالية من التنظيم المؤسسي ومدّها إلى القطاعات الوظيفية الأخرى . ولكن كان هناك أيضا الروابط مع تحليل ڤيبر للتنظيم البيروقراطي في عملية التحديث . ويوحد نموذج پارسونز بين ثلاثة مستويات أو مراتب كبرى متمايزة في كل قطاع وظيفي وهي : المستوى التقني المبدئي أو المستوى التفاعلي المباشر ؛ والمستوى الإداري أو التنظيمي الرسمي ؛ والمستوى المؤسساتي أو ما فوق التنظيمي . وعلى ذلك يمكن النظر إلى المجتمع نفسه من أي من هذه المستويات على أنه هو النسق الذي يربط النظم المختلفة بعضها ببعض (Hills , in. 1958, Loubser et al.1971 chapter 33)

والمحصلة من هذا كله هي وجود نموذج مؤلف من ثلاثة مستويات في المجتمعات المتقدمة حيث ينبغي رؤية التفاضل في بعديه الأفقي والرأسي . وفي كل مستوى يعتبر أي نسق على أنه متعدد الوظائف ويتعين عليه أن يقوم بتطوير أنساق فرعية تناسب كل المشكلات الوظيفية الأساسية. ولكن في الوقت الذي يزداد فيه تعقد المجتمع على المستوى التنظيمي والتخصصي يزداد تنوع الأنساق الاجتماعية في تلك المجتمعات بطرق تكشف عن نسق الوظائف الأربع ولو جزئيا . مثال ذلك

أنه فى أى شركة صغيرة يتعامل العاملون بعضهم مع بعض بطريقة مباشرة حتى ولو كان بعضهم مختصا بعملية التوظيف (جزء من عملية التكيف) والبعض الآخر متفرغا بشكل غير رسمى للشئون المعنوية (العملية التكاملية) . وفى الوقت الذى تنمو فيه الشركة قد تقوم بإنشاء قسم متخصص يتفرغ لشئون العاملين ويضم متخصصين متفرغين أيضا يتولى بعضهم مسألة التوظيف بينما يشرف البعض الآخر على الشئون المعنوية. فإذا نجح ذاك التنظيم بدرجة كافية فقد يتطور إلى قسم معتمد وقائم بذاته وله مجلس إدارة خاص به . ومن وجهة نظر المجتمع تعتبر هذه الشركة تنظيما له وظائف تكيفية (اقتصادية) . ولكن إذا نحن أخذنا الأمر على أنه نقطة مرجعية فسوف نجد أن جانبا من أقسام المؤسسة قد يعطى أولوية محددة لكل من الوظائف الأخرى . وعلى سبيل المقارنة فإن أى كنيسة صغيرة (لها وظائف تتعلق بالمحافظة على النمط من أجل المجتمع) ، قد تنمو وتكبر بحيث تحتاج إلى عاملين متخصصين للقيام بعملية التدريس وآخرين للحصول على التمويل اللازم أو ضبط الحسابات والإشراف الإدارى والمراقبة وغير ذلك .

توسعات أخرى فى خطة الوظائف الأربع:

بعد أن انتهى پارسونز من وضع التخطيط العام لمستويات التنظيم الاجتماعى عكف على توسيع مفهوم التفاضل الوظيفى، بحيث يمكن تطبيقه على الشخصية (1959a) والثقافة (Parsons et al. 1961, pp/96-996; Parsons 1967, chapter 5). فبالنسبة لنظرية الشخصية كانت أهم نتيجة هى الاستخدام المنهجى لدور التعلم فى نظرية التطبيع التى تقوم على أسس علم النفس الفرويدى، وعلى ذلك فبينما يزداد تعقد التفاضل فى المجتمع يكتسب الأطفال أساس المشاركة فى الأدوار التى تتغير باستمرار عن تلك التى عرفوها من خلال تجربتهم العائلية .

وبينما تتولى التنظيمات المتخصصة مثل المدارس توفير جانب كبير من تلك الأدوار فإن النماذج الأساسية ينبغى أن تكون راسخة داخل الأسرة إذا أريد تجنب أية تحولات خطيرة (Johnson , in .Hallen et al. 1977,pp.372-383) وعلى الجانب الثقافى يحتاج الأمر إلى وجود أنساق معرفية وتعبيرية تكون أكثر شيوعا وتميزا ومرونة لتحقيق مفاهيم وقيم أخلاقية ترشّد وتوجه الاختيارات الفردية والتفاعلية . كذلك يحتاج الأمر إلى توفر تفسيرات للوجود البشرى تكون أكثر تعقيدا (أسس للمعنى) كلما كثرت الاحتمالات والإمكانات الاجتماعية والسيكولوچية . ففى المجتمعات التقليدية يمكن العثور على منظومة محددة من البدائل المقننة أخلاقيا تتولى توجيه دور السلوك القويم فى العائلة والعمل والعلاقات المهمة الأخرى ، ولكن التحديث يتعارض مع ذلك إلا إذا تم الاعتراف بمشروعية صور وأشكال العلاقات الأكثر تنوعا ومرونة .

نسق رابع للفعل :

فى أواخر الخمسينيات أضاف پارسونز نسقا رابعا كبيرا للفعل إلى المجموعة السابقة وأطلق عليه مبدئيا تعبير" الكائن العضوى السلوكى " حتى يسد الثغرة بين الشخصية وأساسها البيولوچى . وقد أفلح اثنان من معاونيه فى إقناعه بتغيير التسمية إلى صياغة أفضل باستخدام مصطلحات مستمدة من چان بياچيه Jean Piaget فأطلق عليه اسم "النسق السلوكى" (1978a,pp.352-353;Lidz&Lidz, in-Loubser et al. .1976, pp.203-205) وسوف نستخدم هذه المصطلحات وذلك المفهوم فى الجزء المتبقى من هذا المقال .

أنساق الفعل العامة والتحكم السيبرناطيقى :

وفى الستينيات – وبالإضافة إلى النسق الرابع الخاص بالسلوك ، عمد پارسونز إلى توسيع مخططه عن الوظائف الأربع وتعميمه إلى مستوى

تحليل الفعل العام general-action level of analysis . وكانت النتيجة وضع تصور أكثر اتساعا وقدرة على التكامل لنسق فعل عام يرتبط بالعلاقات النسقية بين أنساق الفعل الأربعة الرئيسية . وفي هذا الإطار التنظيمي الأكثر اتساعا كمرجع يمكن أن نرى الأنساق الاجتماعية (وبخاصة المجتمعات) على أنها تقوم بأداء الوظيفة التكاملية الرئيسية لكل أنساق الفعل وتتولى الثقافة أمر المحافظة على النمط بينما توفر الشخصية والأنماط السلوكية على ترتيب الوظائف الخاصة ببلوغ الهدف والتكيف ، وثمة روابط واضحة بين هذه الحجة الوظيفية وقضية التفاضل عند پارسونز عن المجتمعات ، وهي القضية التي احتلت مكانة مهمة بعد ذلك بسنوات قليلة في نظريته التطورية الصريحة .

إلى جانب ذلك اتجه پارسونز نحو إقامة نموذج أكثر وضوحا لأنساق الفعل، ونظمها الفرعية والعلاقات بينها . وقد مهد هذا النموذج الطريق لقيام تصور للتحليل الوظيفي أكثر مرونة واستيعابا . وقد أعطى ذلك مزيدا من التأكيد لأنساق الفعل كما ظهرت في إسهاماته في كتاب نظريات المجتمع *Theories of Society* (*Parsons et al,1961 ,) (pp, 30-41* والتي تولى تعديلها بعد ذلك بعشر سنوات . ومع اكتمال هذا النموذج أصبحت متغيرات النمط والمتغيرات البنائية التصنيفية الأخرى مجرد أنماط ثانوية بالنسبة للوظائف الأربع وبقية خصائص النسق ، واعتبرت عمليات ووظائف الفعل جزءا من متصل الحياة كما اعتبرت الوظائف مجرد مشكلات للأنساق الحية . ومع أن تحليل پارسونز للفعل ظل يحتفظ بالملامح الخاصة المميزة لنظرية الفعل ويساندها من حيث النظر إلى الفعل من زاوية الشخص الملاحظ ومن وجهة نظر الفاعل نفسه فإن وجهة نظر الفاعل تراجعت إلى مكان أدنى نسبيا في خطته الكلية الشاملة .

كذلك اتجه بارسونز فى أواخر الخمسينيات نحو إقامة نموذج آخر أكثر وضوحا للعلاقات بين أنساق الفعل على مختلف المستويات ، وكانت إحدى الخطوات الأساسية فى ذلك هى الاستعانة بمفاهيم السيبرناطيقا فى خطته لتوضيح العلاقات الكلية بين مختلف أنماط أنساق الفعل (1956, Parsons et al. 1961,pp.36-41,72) وقد أدى ذلك إلى ظهور فكرة التدرج السيبرناطيقى لظروف وضوابط مبدأ رأسى للروابط بين الأنساق واقتران ذلك بالمبدأ الأفقى عن التفاضل الوظيفى .

وقد فرض ظهور النظرية السيبرناطيقية فى الأربعينيات مع اختراع الكمبيوترات بعض التغييرات على الفيزياء ، وكان ذلك بمثابة وضع شديد الوضوح والتحديد يظهر فيه "سلوك" إحدى الآلات متأثرا بشكل ما بفكرة النسق ولا يمكن تفسيره تفسيرا كاملا بدون أن يؤخذ ذلك فى الاعتبار . ولكن الأفكار السائدة فى الفيزياء لا يمكن أن تمثل النمط التنظيمى لأى برنامج، ولذا كان يتعين على الحل السيبرناطيقى أن يضيف فكرة المعلومات وأن ينظر إلى العملية على أنها نوع من التحكم المعلوماتى . وعلى ذلك فإن أى نسق متقدم فى المعلومات – ولكنه منخفض فى الطاقة (مثل الثقافة) – يمكنه تحت ظروف معينة أن يتحكم فى أى نسق تكون له ملامح مخالفة (مثل النسق الاجتماعى)

وكان ذلك يمثل بالنسبة لبارسونز نوعا من الابتعاد عن الموقف الوضعى الجوهرى (الفيزياء) والاتجاه نحو الاهتمام بالمشكلات المثالية؛ نظرا لأن نسق المعلومات كان يعتبر تنظيما مستجدا يصعب ردّه إلى خصائص الطاقة أو المادة (1978a, pp.373-380). وقد بدأ بعض علماء السيبرناطيقا فى وضع مماثلات مع السلوك العقلانى للأفراد ولكن بارسونز كان واحدا من أوائل العلماء الذين مدوا مفاهيم وإمكانات السيبرناطيقا إلى الأنساق الاجتماعية والثقافية .

تطور المجتمعات :

بحلول منتصف الستينيات كان پارسونز قد انتهى من صياغة مدخل تطورى واضح للتحليل المقارن للمجتمعات يضم ويوسع معظم براهينه السابقة عن التحديث المجتمعى . وكان پارسونز فى مناقشاته المبكرة يشير من حين لآخر إلى التعارضات القائمة بين المجتمعات الحديثة وأشكالها القديمة ، ولكنه يحاول الآن أن يستعرض المراحل الكبرى للتطور الاجتماعى الثقافى بطريقة منهجية شاملة ، وكان ذلك يمثل من ناحية محاولة لإعادة تشكيل نظريات القرن التاسع عشر الكلاسيكية عند سپنسر وكونت وكذلك عند ڤيبر ودوركايم ، ولكنه اعتمد على قاعدة معلومات أكثر تقدما ومستمدة من الأنثروبولوچيا والتاريخ وبعض التخصصات الأخرى، كما أنه حاول وضع إطار للعمل أكثر دقة ووضوحا .

وقد ظهر نموذجه عن التطور الاجتماعى فى أكمل صوره فى كتابين قصيرين عن المجتمعات قبل الحديثة (١٩٦٦) والمجتمعات الحديثة (١٩٧١) ثم قام بجمعهما معا مع مقدمة جديدة فى كتابه بعنوان تطور المجتمعات ***The Evolution of Societies*** ظهر عام ١٩٧٧ . والكتابان موجّهان أصلا لطلاب الجامعات . وتعتبر الطبعة الجامعة للكتابين أفضل مرجع للقارئ المهتم بتطور نظريات پارسونز للدخول إلى أعماله . ومع أن التركيز الأساسى كان على تطور المجتمعات فإنه كان يستخدم نسق الفعل العام (الذى يربط المجتمعات بالثقافة والشخصية) حتى يتجنب كثيرا من المزالق التى تعرضت لها كتابات التطوريين السابقين .

وقد ميز پارسونز بين ثلاث مراحل كبرى فى تقدم المجتمعات وهى البدائية والوسيطة والحديثة ، ولكن ذلك لا يعنى أنها تضم كل المجتمعات المعروفة ، وإنما هى بالأحرى مراحل أساسية لنمو "جذع شجرة متفرعة" – وهذا تشبيه كان قد استخدمه فى رسالته عن تطورية ڤيبر (1928- 1929, vol.37,p.43)

كما لاحظ وجود بعض النماذج المنحرفة والانتقالية. وعلى العكس من بعض التطوريين فى القرن التاسع عشر الذين نظروا إلى التطور على أنه يتم فى خط واحد لم يفترض بارسونز أن أى مجتمع حديث سار فى مراحل النمو "السابقة على النضج" قبل أن يكتمل نضوجه ، فقد كان ينظر إلى العملية التطورية على أنها عملية تطور عام تصدق على التطور الثقافى للجنس البشرى ككل ، وأنها ترتبط أولا بأنساق الفعل العام للإنسانية ثم ترتبط ثانيا بمجتمعات معينة بالذات ، ولذا قام بتتبع المجتمعات الغربية ثقافيا ابتداء من اليونان القديمة إلى إسرائيل إلى روما ، وذهب إلى أن المجتمعين الأولين تم تدميرهما ككيانات سياسية لفترة طويلة من الزمن ، ولكنهما لايزالان يعتبران "مراقد البذور" للتطورات التالية . وقد استبعد تماما كل المناقشات القديمة عن التطور مقابل الانتشار، وكذلك المجادلات حول التطورية مقابل الوظيفية. وفى كل الأحوال كانت البدائل مرتبطة معا بطريقة منطقية مقبولة.

وقد عرّف بارسونز التطور بالنسبة لأى نسق حى بأنه النمو فى قدراته العامة على التكيف، ولكن الجوانب المتخصصة فى ذلك النسق تتفاضل باستمرار وبشكل يسمح باستخدام مرونة حركاتها لتحقيق أغراض أكثر تنوعا . وعلى ذلك فإنه يمكن وصف مدخل بارسونز بأنه تطورى وظيفى وأن نموذج الوظائف الأربع يمكن تطبيقه على أنساق الفعل الإنسانى فى كافة المراحل التاريخية . فالمجتمعات البدائية تتميز فوق كل شيء بقلة تفاضلها وبسيطرة القرابة فى تنظيمها الاجتماعى وهيمنة الدين على كل مظاهر ثقافتها . ومن هذه الزاوية فإن الأنساق البدائية تبدأ فى التطور (إلى ما يسميه بالمرحلة البدائية المتقدمة) حين تعكف على تحرير علاقاتها السياسية والاقتصادية جزئيا من القرابة ومن السيادة القبلية .

ويشتمل التطور الاجتماعى فى نموذج بارسونز المؤلف من ثلاث مراحل على تحولين أساسيين معقدين يرتكز

كل منهما على اكتشاف ثقافى جديد له طبيعته الخاصة . فالتحول من المجتمع البدائى إلى المجتمع الوسيط ارتبط بظهور الكتابة التى تكشف الكتابات الأنثروبولوجية المتداولة عن أهميتها حين تشير إلى المجتمعات البسيطة بأنها لا تعرف القراءة . وقد أضفى استخدام بارسونز لنموذج الأنساق الأربعة أهمية منهجية على تلك الفكرة . ويتطلب ظهور المرحلة الوسيطة تفاضل الثقافة عن الأنساق الاجتماعية وعن الشخصيات المعينة التى ترتبط بها . فمن الصعب تحقيق هذا الفصل فى نسق الفعل المرتبط بتقليد شفاهى ، ولكن مع وجود القراءة يصبح من السهل فصل القيم الثقافية والمعتقدات عن الأشخاص الذين يمارسونها ويؤمنون بها، كما أنها تصبح أكثر تجسيدا . (فبدلا من أن نقول مثلا "they believe" يمكن أن نقول "It is written") وهذا يساعد على الانتشار الثقافى إلى جماعات أكبر، سواء عن طريق الغزو أو التبشير أو الاستيعاب كما يساعد إلى حد كبير على تكامل واندماج الأعداد الكبيرة من السكان الذين لهم أدوار متفاوتة فى نفس النسق الاجتماعي . كذلك تساعد الكتابة على توحيد أساس النمو التراكمى فى كافة مظاهر الثقافة كما توفر قاعدة جديدة للتطبيع والتعلم الفردى .

والمجتمعات الوسيطة الرئيسية التى قام بارسونز بتحليلها هى إمبرطوريات الصين والهند والإسلام وروما القديمة. ومع أن الكتابة والقراءة فى كل هذه الإمبراطوريات الأربع كانت مقصورة على نخبة معينة (وبخاصة رجال الدين وبعض السياسيين) فإنها أسهمت فى تقدم كثير من القوانين العامة الكلية وأحيانا فى تقدم بعض الجوانب العلمية والتكنولوجية . ولم يغفل بارسونز أن كلا من تلك الإمبراطوريات قامت أساسا على الغزو العسكرى ولو فى حدود معينة ، ولكنه ذهب فى الوقت نفسه إلى أن الغزو وحده أساس محدود لإقامة نظام معقد لتقسيم العمل يمكنه الاستمرار عدة قرون ويعزز النمو الثقافى.

وفى ضوء الخلفية المقارنة لهذه الإمبراطوريات الأربع تابع پارسونز التساؤل الذى أثاره ڤيبر عن سبب نشأة التصنيع الحديث أولا فى الغرب وليس فى الصين التى كانت حتى القرن الرابع عشر متقدمة تكنولوچيا على الغرب . ومع أن پارسونز ذكر عددا من العوامل وراء ذلك فإنه رأى أن ذلك يرتبط ارتباطا وثيقا بالخصائص العامة المميزة للقانون الرومانى والتى أدت إلى ظهور مفهوم المواطنة الحديثة التى قام عليها نظام الدولة/الأمة ، كما أن التصورالمسيحى عن الانتماء إلى كنيسة عالمية والفصل بين المجالين الروحى والدنيوى وحافظ إلى حد ما على المفهوم القانونى الرومانى وأدى إلى تقويته بعد تفكك الإمبراطورية كانت له هى أيضا أهمية بالغة فى ذلك . فانهيار روما كنظام سياسى كان يعتبر فى نظر پارسونز نكسة تطورية، لأن العالم الغربى كان لعدة قرون يتفتت إلى وحدات صغيرة . ولكن من الناحية الثقافية احتفظت الكنيسة الكاثوليكية بحدود عضويتها وعملت على توسيع نطاقها فى الغرب كما أفلحت بعض الملامح الأساسية فى القانون الرومانى فى الاستمرار فى البقاء داخل الكنيسة، وفى كثير من التقاليد القانونية السائدة . وهنا أيضا نجد أن آراء پارسونز هى مجرد ترديد لأفكار كونت وڤيبر وتوينبى وغيرهم ولكن مع اختلاف فى اتساع نطاق تمايز *التصورات* والمحافظة على الوحدة

وهذا يعد المسرح للتحول الثانى الذى تم تخطيطه ليتفق تاريخيا مع أنحاء معينة من العالم الغربى (والذى يمكن قراءته مع مقال پارسونز عن "المسيحية"). ولقد نشأت المجتمعات الحديثة فى أول الأمر فى الطرف الشمالى الغربى من أوروبا بعد عصر النهضة وحركة الإصلاح وبخاصة فى إنجلترا وهولندا وفرنسا. ومن بين عدد من العوامل المتداخلة والمتشابكة بشكل معقد يفرد پارسونز نمو الأنساق االعالمية الكلية الشاملة على أنها هى المؤثرة فى بزوغ هذه الأمم الثلاث. وعلى أية حال فإن التطور يرتبط بالنسق

الثقافى الأوروبى أكثر مما يرتبط بأية مجتمعات معينة بالذات مع الاعتراف بأن قطاعات وأمما مختلفة كانت تتناوب القيادة فى فترات مختلفة ، ولكن المبادرة الرئيسية ترجع إلى الأفكار البروتستانتية وإلى فرنسا مع إدخال شيء من التعديل على أفكار ڤيبر حول الموضوع .

وإذا كان التحول إلى الحضارات القديمة يتركز فى تفاضل الثقافة عن الأنساق الاجتماعية فإن التحول الحديث يتضمن تفاضل قطاعات المجتمع الأربعة الرئيسية ويتم تعريفه و تجديده فى أربعة مصطلحات . وهذا يظهر فى سلسلة معقدة من التغيرات التى امتدت لعدة قرون . وقد حدثت خطوة مبكرة فى ذلك حين تراجعت القيود المفروضة من القرابة ومن الكنيسة على المجتمع المحلى بحيث استطاع الناس من مختلف الانتماءات العرقية والدينية أن يؤلفوا بسهولة تقسيمات للعمل وغيرها من المشروعات الشديدة التنوع، وقد ساعد الفصل بين الكنيسة والدولة على إتمام هذه العملية. ولما كانت الالتزامات المتوسعة نحو القرابة فى الماضى تنكمش وتتضاءل أهميتها كان من المهم أن تظهر العائلة النووية الصغيرة على أنها هى وحدة القرابة الفاعلة بشكل أساسى وهذا يرتبط بتدهورالجماعات القرابية التى كانت تعتبر هى الوحدات التنظيمية فى الإنتاج الاقتصادى، وكذلك بقيام المصانع وغيرها من شركات العمال التى تقوم بتشغيل العمال بشكل فيه مرونة على أساس المهارات بدلا من العلاقات القرابية . فالتراجع فى أهمية علاقات القرابة البعيدة يزيد من الحراك ويساعد على تطور وتنمية قوة عمل أكثر مرونة . وقد كان استيطان الأوروبيين الاستعمارى فى أمريكا، والذى أدى إلى تفسخ العائلات الكبيرة فى أوروبا مثالا رئيسيا على وجهة نظر پارسونز . ومن الناحية الثقافية فإن مظهرا آخر مهما للعملية يتمثل فى الاتجاه نحو العلمانية التى يتفاضل فيها العلم والتكنولوجيا عن القيود الدينية كما يرمز إلى ذلك عصر النهضة .

على مستوى آخر ذهب پارسونز إلى أن تحليلات التحديث أعطت أهمية مبالغا فيها للثورة الصناعية وبخاصة للجانب الاقتصادى فى العملية ، وكان يرى بدلا من ذلك أن هناك ثلاث ثورات لها أهمية مماثلة كانت مشتركة معا وهى الثورة الديموقراطية والتعليمية والصناعية ، بل إنه ذهب إلى أبعد من ذلك وقرر أن كلا من هذه الثورات الثلاث تعتمد على الثورتين الأخريين فى كل مراحل التطور المتتابعة . فالثورة التعليمية ترتبط بالتوجه نحو العلمانية ولكنها تتضمن بوجه خاص فصل التدريب المهنى عن العائلة والكنيسة، وأن ذلك حدث فى بداية الأمر مع نظام التلمذة داخل الطوائف الحرفية وتطوير مراكز التدريب للتخصص المهنى فى مجال القانون والطب. وفى الوقت الذى كانت التطورات الصناعية والسياسية مستمرة فى التقدم كانت هناك حاجة لوجود نسق تعليمى أكثر تفاضلا وتخصصا ومرونة وأن الجامعات تولت سد هذه الحاجة. وقد أدى ذلك إلى توفير قاعدة علمية أوسع وأعرض لقيام مهن وحرف متنوعة ومتغيرة باستمرار وتتطلبها التنظيمات الجديدة ، ولكنها ساعدت فى الوقت نفسه عملية تطبيع الدور المعقدة والتوجه الأخلاقى التى استلزمتها التعقيدات الاجتماعية المتزايدة (Parsons & Platt 1973)

وقد استنتج پارسونز أن تطور التحديث فى أواخر القرن العشرين على وجه الخصوص فى أكثر المجتمعات تقدما تطلب وجود نوع جديد من البشر ونسق غير مسبوق من القيم والأخلاقيات وأن الإنسان الجديد الذى يتصوره ليس هو إنسان التنظيم والإدارة organizational man الذى يتصوره الكثيرون من نقاد المجتمع الحديث على أنه قادر على الانخراط تماما فى الأجهزة البيروقراطية الضخمة ، ولا هو الشخص الذى على العكس من ذلك تماما يتلوّن ويتغير مع كل تجديد دون أن يستند إلى مبادئ محددة . فالتصور الأول ينطبق – فى رأى پارسونز– على المراحل المبكرة من

التحديث حين يكون التقسيم والتوزيع والتصنيف مطلوبا فى كثير من الأحيان للبدء فى العملية ، ولكن فى المراحل الأكثر تقدما يصبح نظام التوظيف أكثر مهنية ويمكن لأعداد أكبر أن يعثروا على تحديات إبداعية فى أعمالهم إن كان لديهم التدريب الكافى . وعلى العكس مما يذهب إليه نقاد الثقافة الجماهيرية كان پارسونز يرى أن التصنيع يوفر وقتا أطول للفراغ، وأن محصلة الثقافة الجماهيرية من إبداع الفنون الجميلة وغيرها من المكاسب الثقافية التى كانت قاصرة من قبل على نخبة متميزة تصبح فى متناول أعداد كبيرة من الناس مما يؤدى إلى الارتفاع بمستويات الاستهلاك وكذلك الإنتاج ، أو على الأقل احتمال حدوث ذلك . ولكن الأمر يتطلب انتشار التعليم الذى يوفر أطر التقدير اللازمة لكى تفيد تلك الأعداد المتزايدة من هذه الإمكانية .

وإذا كان هذا العرض القصير يُظهر نظرة پارسونز إلى التحديث على أنها نظرة رومانسية فإنه يكون عرضا مضللا . فقد كان پارسونز يعتقد أن المجتمعات الحديثة وبخاصة المجتمعات الديموقراطية والرأسمالية تتمتع - إذا قورنت بمجتمعات الماضى - بمستوى مادى وإمكانات للحرية غير مسبوقة . ولكنه كان يدرك تماما أن التحديث يؤدى إلى اغتراب الكثيرين وإلى ظهور أشكال جديدة من القلق والإحباط، وأن هذا يرجع إلى حد ما إلى إضفاء طابع النظام على الحرية الفردية ، وهذه مسألة كان دوركايم قد تناولها فى بعض كتاباته . وتؤدى القائمة الضحمة من الاختيارات التى يعرضها پارسونز إلى بلبلة الكثيرين وتدفعهم للبحث عن ملاذ فى البدائل التقليدية الأكثر بساطة . وقد فسر پارسونز عددا كبيرا من الحركات التى شهدها القرن الحادى والعشرون بما فيها مظاهر النازية الألمانية فى الثلاثينيات واليسار الجديد فى الستينيات على أنها إلى حد ما ردود فعل أصولية ضد المطالب الجديدة للحريات الحديثة (1977a, pp.193-195)

وقد بيّن پارسونز أن الحريات الجديدة التى يتيحها التحديث تفرض أعباء أخلاقية جديدة تماما على الأفراد . ففى المجتمعات القديمة والتقليدية كثيرا ما كان الناس يحيون حياتهم وسط أعداد كبيرة من المعارف كما كانت توجه خطواتهم مبادئ تفصيلية عن السلوك القويم وكانت اختياراتهم محكومة إلى حد كبير بعدد محدود من البدائل بينما يفتح التحديث على العكس من ذلك أبوابا واسعة من البدائل ويتيح للأفراد فرصا عديدة للتغيير تتطلب قواعد أخلاقية مرنة وأحكاما أخلاقية معقدة ، وكان يرى أن الثورة التعليمية فوق كل شىء فى هذه المرحلة الأخيرة مؤهلة لتهيئة الأفراد لأن يحيوا حياة تتلاءم مع هذه التعقيدات .

ولقد تعرض نموذج التطور عند پارسونز لأشكال عديدة من الانتقادات . فقد زعم الكثيرون أنه كان يقبل بغير مناقشة المبادئ السائدة فى المجتمع الأمريكى عن التطور البشرى ، وهو اعتراض كان پارسونز على بيّنة من أمره ، ولكن البعض الآخر كانوا أكثر تحديدا فى انتقاداتهم بأن نظرته إلى المجتمعات البدائية نظرة ضيقة وتميل إلى تهميش تلك المجتمعات . وثمة انتقاد آخر بأنه كان يفترض أن المجتمعات الديموقراطية تملك بطبيعتها من القدرات الإنتاجية قدرا أكبر مما يتوفر فى المجتمعات الاشتراكية ، وهو أمر قد لا يصدق فى المستقبل (Bialys-zewski, in Hallen et al. 1977, pp.395-405). وحتى إذا كانت آراء پارسونز صائبة فى المجال الاقتصادى، فقد كان هناك رأى آخر يرى أنه كان يقلل من شأن التكلفة الاجتماعية والشخصية للمجتمعات التكنوقراطية، بينما يبالغ فى تقديره لمرونة التطبيع الاجتماعى (Lasch 1977). وهذا جانب محدد للانتقاد المتكرر بأن پارسونز كان يعتنق نظرة إلى الإنسان فيها قدر كبير من المبالغة حول دور التطبيع الاجتماعى . ويظهر هذا بشكل أوضح حين نطبقه على مناقشاته التطورية الأكثر حداثة منها على التفسيرات الخاطئة للوظيفية

الاستاتيكية التى كان يعتنقها فى أول الأمر . وعلى ما يقول جاى روتشر - أحد تلاميذه القدامى ومن أفضل الذين عرضوا أفكاره - " إن وظيفية پارسونز فى ذاتها مدخل دينامیكی، ولكنها خرجت عن ذلك المسار بتفسيره التطورى للمجتمع الصناعى (الرأسمالى) على أنه هو القمة الأخيرة بعد عملية الصعود الشاقة الطويلة" (1975,p.158). ولم يكن روتشر يعتقد أن پارسونز كان يرى أى مجتمع قائم بالفعل على أنه "القمة الأخيرة" للتطور البشرى، لأن تفضيلاته التاريخية والأيديولوچية (أو تفضيلات أى مفكر نظرى آخر) يمكن من الناحية التحليلية فصلها عن نموذجه النظرى ودعاواه الإمپيريقية . فمخطط پارسونز المتطور عن الفعل وتحليله الأساسى للتحديث لا يقودان بالضرورة إلى نتائج تشخيصية عن مزايا المجتمعات المختلفة، كما أن نظريته كان يمكن تطويرها بطريقة أفضل عن طريق فتحها مرة أخرى على مجال أوسع من الإمكانات الإمپيريقية ، وهذا فى ضوء معاييره الأساسية ذاتها كان خليقا بأن يكون أكثر حداثة .

پارسونز بعد التقاعد :

بعد أن تقاعد پارسونز من هارڤارد عام ١٩٧٣ واصل الكتابة وممارسة أنشطته المعتادة الأخرى فتولى التدريس بجامعة پنسلڤانيا وجامعة براون وجامعة روتچرز وجامعة كاليفورنيا فى بركلى، وكذلك جامعة كوانسى جاكوين Kwansei Gakuin فى اليابان وذلك بالإضافة إلى إلقائه عددا كبيرا من المحاضرات الخاصة فى كل قارات العالم ماعدا أمريكا الجنوبية . وقد ظهر جزء من ذلك الفيض المتواصل من مقالاته فى المجموعة التى نشرت عام ١٩٧٨، والتى كان معظمها قد ظهر فى البداية فى الفترة التالية لعام ١٩٧٣ أى بعد تقاعده .. وحين وفاته كان يعمل فى كتاب ضخم كان يطلق عليه مبدئيا عنوان "تكامل المجتمعات الحديثة The Integration of Modern Societies" وكان يحاول فيه أن يدمج معا تحليله

المتعدد الجوانب للتحديث خلال العقود الثلاثة الأخيرة.

كذلك استمر بارسونز فى توسيع مجاله النظرى ومد "وسائط النماذج التبادلية media of interchange models إلى مجالات وميادين أكثر اتساعا ، وكان هذا النموذج قد ظهر لأول مرة فى منتصف الستينيات لتحديد المقاييس والمعايير الرمزية اللازمة للمحافظة على الروابط المؤثرة بين القطاعات الاقتصادية والسياسية والمجتمعية فى المجتمعات الشديدة التفاضل . وكانت حجته المشهورة (التى لاتزال يساء فهمها) هى أن دور النقود فى اقتصاديات السوق له ما يعارضه فى القواعد الرمزية المعيارية للقوة والنفوذ والتزامات القيمة فى القطاعات الثلاثة الأخرى (1967,1969part 4). والفرض الأساسى فى ذلك هو أن المعايير الرمزية الأربعة يجب أن تترابط معا بالنسبة لأى من القطاعات الأربعة حتى تحتفظ بتميزها الوظيفى . وعلى ذلك فإن العمليات الاقتصادية تحتاج إلى استثمارات القوة والنفوذ والالتزام بالقيم إلى جانب التمويل المناسب ، وهذا معناه على سبيل المثال أنه بدون الأساس الكافى من المساندة السياسية والاجتماعية والأخلاقية فإن أى مشروع اقتصادى مثل إنشاء محطة لتوليد طاقة نووية مملوكة ملكية خاصة لا يمكن أن ينجح مهما توفر له التمويل والأجهزة والمواد الأولية ،. كما يعنى أنه فى المجتمعات المعقدة أو المركبة يحتاج أى برنامج تشرف عليه الحكومة أو الكنيسة إلى مصادر للتمويل بالإضافة إلى المساندة من الوسائط الأخرى . وثمة افتراض آخر له صلة بهذا الموضوع وهو أن التنظيمات فى كل من هذه القطاعات الأربعة تعتمد فى المرتبة الأولى على مزيج متميز من الوسائط الرمزية الأربعة التى لها علاقة مباشرة بأولوياتها الوظيفية الملائمة .

وفى أوائل السبعينيات، بدأ بارسونز فى مد تصوره عن الوسائط الرمزية من المجتمعات إلى الأنساق العامة للفعل ، وتضمن ذلك رأيه عن أنه

لكى يتقبل المجتمع الرموز المعيارية مثل رموز المال والقوة والنفوذ فلا بد من توفر قواعد رمزية راسخة فى الوعى الجمعى والفردى لأعضاء ذلك المجتمع . وعلى ذلك فإن تقبل االنقود (منظومة من القواعد المالية) كمقياس لمعايير القيمة لأعداد لا تحصى من السلع والخدمات من المفروض فيه أنه يعتمد على القبول المسبق لرموز أكثر عمومية عن الذكاء أو العقلانية . وبالمثل فإن مصداقية رموز القوة أو النفوذ بجب أن تعتمد على قبول معايير للأداء performance تكون أكثر رسوخا – (Parsons & Platt 1973, appendix) وفى عام ١٩٧٥ أقدم پارسونز على خطوات أخرى فقام بتوسيع مفهوم الوسائط بحيث تشمل العلاقات بين الفعل الإنسانى فى كليته (أى التجربة التاريخية) والعوالم الفيزيقية والعضوية الكامنة وراءها ، وكذلك الهدف النهائى للإمكانات الإنسانية التى تعلو على تلك التجربة . وهذا الجانب الأخير ، يزيح الغشاء الرقيق جدا الذى يفصل بين الجهود العلمية شديدة الطموح وتساؤل الفلسفة . وهنا نجد أن إطاره النظرى ذا المستوى الرفيع جدا كثيرا ما يوصف بأنه مثال نمونجى للوضع الإنسانى وأنه موضوع لثلاثة مقالات مثيرة للجدل فى مجموعته الأخيرة (1978a) التى تضم عنوان مقاله النهائى ، فهو يفتح مجالات جديدة تماما لارتياد الروابط الدينامية ين البيولوچيا والفعل الإنسانى، وبين كثير من المقتضيات النهائية لنوع "العلم الأخلاقى" الذى كان يتصوره فى وقت من الأوقات هوبز ولوك وكونت وغيرهم من مؤسسى العلوم الاجتماعية .

ومن الواضح أن أعمال پارسونز النظرية كانت تعكس دائما اهتمامات أيديولوچية أو أخلاقية قوية، ولكنه رغم ذلك كان سلبيا إلى حد كبير فى التعبير فى كتاباته عن موقفه من القيم . فبينما كان يعترض علانية على بعض المواقف الأيديولوچية التى تنظر إلى الحقائق الاجتماعية الإنسانية نظرة ضيقة وتعتبرها "يوتوبيات" (كأن تبالغ مثلا فى توكيد المساواة أو الوحدة الاجتماعية أو

الحرية الفردية، بينما تتجاهل الكثير من القيم الأخرى والأوضاع التى ترتكز عليها تلك القيم) فإنه كان يمسك عن التعبير عن وجهة نظره الخاصة به هو نفسه . ونظرا لأنه بدأ بالتركيز على انتقائية المفاهيم والتصورات النظرية فى العلم (وبخاصة العلم الاجتماعى) فإنه كان يجاهد فى البحث عن عينة شاملة فى النظريات والبحوث الاجتماعية . وكما عبّر هو نفسه عن ذلك فى وقت لاحق فإن أى " انتظام أو اطراد فى العلاقة يمكن أن نفهمه (بطريقة أفضل) إذا أخذنا فى الاعتبار كل الجوانب المتساندة المعقدة التى تؤلف هذه العلاقة ذاتها جزءا منها " (1968,p.458).

ملاحظة ختامية :

ليس من شك فى أن جهود پارسونز التصورية والنظرية لتوطيد العلاقة بين العلوم الاجتماعية السلوكية التى تزداد تفاضلا طيلة الوقت لا تدانيها أية جهود أخرى معاصرة . فلقد أمكن له تحديد إطار لتحليل العمليات الاجتماعية بمعناها الواسع بحيث يمكن وضع أكبر عدد ممكن من العمليات المختلفة (سيكولوچية أو ثقافية أو اجتماعية) على نفس الخريطة النظرية بطريقة لا نجدها فى أى مخطط آخر . كذلك أفلح فى اختراق عدد كبير من العوائق والحواجز الفلسفية والعلمية ونجح بشكل واضح فى مد الجسور بين العلم والتاريخ، وكذلك بين الوضعية والمثالية .

ولقد أحرز مخططه المتطور نجاحا بالمعايير الوضعية أكبر بكثير مما يعتقد الكثيرون ليس باعتباره إطارا إجرائيا دقيقا، ولكن كمجموعة مبادئ مفيدة للبحث الاجتماعى . ويظهر هذا بشكل أوفى فى آلاف المقالات وعشرات النظريات المتوسطة المدى التى استرشدت به، وكذلك فى الأساليب الجديدة التى كثيرا ما تتجاوز الحدود الراسخة المعترف بها (Barber & Inkeles 1971; Loubser et al. 1976). ولكنه ، وشأنه فى ذلك شأن غيره من

المفكرين النظريين الرواد السابقين عليه قام بتطوير نسخة خاصة من نظريته أدخل عليها كثيرا من التعديلات المهمة التي رأى أنها قد تطرأ عليها في المستقبل.

وفي عام ١٩٧٩، أعدت جامعة هايدلبرج برنامجا خاصا للاحتفال بمرور خمسين عاما على منح پارسونز درجة الدكتوراه ، وقد ألقى پارسونز وبعض كبار علماء الاجتماع الألمان محاضرات أثناء ذلك الاحتفال، وكان ذلك بمثابة تحية نادرة الحدوث بالنسبة لخريج أجنبي . وفي الثامن من مايو ١٩٧٩ ، وهو اليوم التالي مباشرة لذلك الاحتفال ، توفى پارسونز في ميونخ .

المؤلف : Martin U. Martel

المترجم أحمد أبوزيد

Parsons 1949; 1960; 1964; 1967; 1969; 1977c; 1978*a are collections that contain most of Parsons' major articles. Extensive bibliographies are in* Parsons 1977*a*; 1978*a, and in the footnotes to* Loubser et al. 1976. *For Parsons' review of his own work, see* Parsons 1970.

WORKS BY PARSONS

1928–1929 "Capitalism" in Recent German Literature: Sombart and Weber (I & II). *Journal of Political Economy* 36:641–661; 37:31–51. → Based on his dissertation at the University of Heidelberg.

1930 WEBER, MAX *The Protestant Ethic and the Spirit of Capitalism*. Translated by Talcott Parsons, with a foreword by R. H. Tawney. London: Allen & Unwin; New York: Scribners. → First published in German in 1904–1905. The 1930 edition has been reprinted frequently. A paperback edition was published in 1958 by Scribner.

1934 Society. Volume 14, pages 225–231 in *Encyclopaedia of the Social Sciences*. New York: Macmillan.

(1937) 1949 *The Structure of Social Action: A Study in Social Theory With Special Reference to a Group of Recent European Writers*. Glencoe, Ill.: Free Press. → A paperback edition was published in 1968.

1939 The Professions and Social Structure. *Social Forces* 17:457–467. → Reprinted in Parsons 1949.

1940 Analytical Approach to the Theory of Social Stratification. *American Journal of Sociology* 45: 841–862. → Reprinted in Parsons 1949.

(1947) 1957 WEBER, MAX *The Theory of Social and Economic Organization*. Translated and edited by A. M. Henderson and Talcott Parsons. Glencoe, Ill.: Free Press. → First published in German in 1922 as volume 1, part 1 of Weber's *Wirtschaft und Gesellschaft: Grundriss der verstehenden Soziologie*. A paperback edition was published in 1964.

(1949) 1954 *Essays in Sociological Theory: Pure and Applied*. Rev. ed. New York: Free Press.

1951 *The Social System*. New York: Free Press.

1951 PARSONS, TALCOTT; and SHILS, EDWARD (editors) *Toward a General Theory of Action.* Cambridge, Mass.: Harvard Univ. Press. → Parsons and Shils wrote part 2, entitled "Values, Motives and Systems of Action." A paperback edition was published in 1962.

(1953) 1967 PARSONS, TALCOTT; BALES, ROBERT F.; and SHILS, EDWARD *Working Papers in the Theory of Action.* New York: Free Press.

1955 PARSONS, TALCOTT et al. *Family, Socialization and Interaction Process.* New York: Free Press.

1956 *Toward a Unified Theory of Human Behavior.* Edited by Roy M. Grinker. New York: Basic Books. → Includes discussions with Alfred Emerson, Anatol Rapoport, and others. See especially chapter 5, "A General Theory of Action," chapter 15, "Small Groups and the Larger Social System," and chapter 23, "Boundary Relations Betwen Sociocultural Systems and Personalities."

1956 PARSONS, TALCOTT; and SMELSER, NEIL J. *Economy and Society.* New York: Free Press.

1958 General Theory in Sociology. Pages 3–38 in Robert K. Merton, Leonard Broom, and Leonard S. Cottrell (editors), *Sociology Today.* New York: Basic Books.

1958 PARSONS, TALCOTT; and KROEBER, A. L. The Concepts of Culture and of Social System. *American Sociological Review* 23:582–583. → Comments by Richard H. Ogles and Marion J. Levy, Jr., with Parsons' rejoinder, appear in volume 24, pages 246–249.

1959*a* An Approach to Psychological Theory in Terms of the General Theory of Action. Volume 3, pages 612–711 in Sigmund Koch (editor), *Psychology: A Study of a Science.* New York: McGraw-Hill.

1959*b* Some Problems Confronting Sociology as a Profession. *American Sociological Review* 24:547–559.
1960 *Structure and Process in Modern Societies.* New York: Free Press.
1961 Some Considerations on the Theory of Social Change. *Rural Sociology* 26, no. 3.
1961 PARSONS, TALCOTT et al. *Theories of Society.* New York: Free Press. → Parsons' contributions include "An Outline of the Social System," pages 30–84; "Differentiation in Social Structures," pages 239–266; and "Culture and the Social System," pages 963–996.
1963 Introduction. In Max Weber, *The Sociology of Religion.* Translated by Ephraim Fischoff. Boston: Beacon. → Weber's book was first published in German in 1922 as volume 2, chapter 4 of Weber's *Wirtschaft und Gesellschaft: Grundriss der verstehenden Soziologie;* also, in the same year, as *Religionssoziologie.*
1964 *Social Structure and Personality.* New York: Free Press.
1966 *Societies: Evolutionary and Comparative Perspectives.* Englewood Cliffs, N.J.: Prentice-Hall. → Published (without chapter 1) with Parsons 1971 in Parsons 1977*a.*
1966 PARSONS, TALCOTT; and CLARK, KENNETH *The Negro American.* Boston: Houghton Mifflin.
1967 *Sociological Theory and Modern Society.* New York: Free Press. → See chapter 4, "Comments on the Sociology of Karl Marx," which appears for the first time in this collection.
1968*a* Christianity. Volume 2, pages 425–447 in *International Encyclopedia of the Social Sciences.* Edited by David L. Sills. New York: Macmillan and Free Press.

1968*b* Durkheim, Émile. Volume 4, pages 311–320 in *International Encyclopedia of the Social Sciences.* Edited by David L. Sills. New York: Macmillan and Free Press.

1968*c* Interaction: I. Social Interaction. Volume 7, pages 429–441 in *International Encyclopedia of the Social Sciences.* Edited by David L. Sills. New York: Macmillan and Free Press. → Reprinted in Parsons 1977*c*; 1978*a*.

1968*d* Pareto, Vilfredo: II. Contributions to Sociology. Volume 11, pages 411–416 in *International Encyclopedia of the Social Sciences.* Edited by David L. Sills. New York: Macmillan and Free Press.

1968*e* Professions. Volume 12, pages 536–547 in *International Encyclopedia of the Social Sciences.* Edited by David L. Sills. New York: Macmillan and Free Press.

1968*f* Systems Analysis: II. Social Systems. Volume 15, pages 458–472 in *International Encyclopedia of the Social Sciences.* Edited by David L. Sills. New York: Macmillan and Free Press. → Reprinted in Parsons 1977*c*; 1978*a*.

1968*g* Utilitarianism: II. Sociological Thought. Volume 16, pages 229–236 in *International Encyclopedia of the Social Sciences.* Edited by David L. Sills. New York: Macmillan and Free Press.

1969 *Politics and Social Structure.* New York: Free Press.

1970 On Building Social Systems Theory: A Personal History. *Daedalus* 99:826–878.

1971 *The System of Modern Societies.* Englewood Cliffs, N.J.: Prentice-Hall. → Published with Parsons 1966 in Parsons 1977*a*.

1973 PARSONS, TALCOTT; and PLATT, GERALD M. *The American University*. Cambridge, Mass.: Harvard Univ. Press. → Written with the collaboration of Neil J. Smelser.

1977*a* *The Evolution of Societies*. Edited with an introduction by Jackson Toby. Englewood Cliffs, N.J.: Prentice-Hall. → Combines Parsons 1966 and 1971.

1977*b* Comment on Burger's Critique: A Reply to Thomas Burger, "Talcott Parsons, the Problem of Order in Society, and the Program of an Analytical Sociology." *American Journal of Sociology* 83:335–339.

1977*c* *Social Systems and the Evolution of Action Theory*. New York: Free Press.

1978*a* *Action Theory and the Human Condition*. New York: Free Press.

1978*b* Comment on Warner's, "Toward a Redefinition of Action Theory." *American Journal of Sociology* 83:1317–1349, 1350–1358.

1978*c* A 1974 Retrospective Perspective (on Debates With Schutz). Pages 115–125 in Richard Grathoff (editor), *The Theory of Social Action: Correspondence of Alfred Schutz and Talcott Parsons*. Bloomington: Indiana Univ. Press.

1979 Jaspers, Karl. Volume 18, pages 341–345 in *International Encyclopedia of the Social Sciences*. Edited by David L. Sills. New York: Free Press.

SUPPLEMENTARY BIBLIOGRAPHY

ALEXANDER, JEFFREY C. 1978 Formal and Substantive Voluntarism in the Work of Talcott Parsons: A

Theoretical and Ideological Reinterpretation. *American Sociological Review* 43:177–198.

BARBER, BERNARD; and INKELES, ALEX (editors) 1971 *Stability and Social Change: A Volume in Honor of Talcott Parsons*. Boston: Little, Brown.

BELLAH, ROBERT N. 1970 *Beyond Belief: Essays on Religion in a Post-traditional World*. New York: Harper.

BERGER, BENNETT 1962 On Talcott Parsons. *Commentary* 34:507–513.

BERSHADY, HAROLD J. 1973 *Ideology and Social Knowledge*. New York: Wiley.

BLACK, MAX (editor) 1961 *The Social Theories of Talcott Parsons: A Critical Examination*. Englewood Cliffs, N.J.: Prentice-Hall. → A paperback edition was published in 1976 by Southern Illinois University Press.

BOURRICAUD, FRANÇOIS 1977 *L'individualisme institutionnel: Essai sur la sociologie de Talcott Parsons*. Paris: Presses Universitaires de France.

DURKHEIM, ÉMILE (1893) 1960 *The Division of Labor in Society*. Glencoe, Ill.: Free Press. → First published as *De la division du travail social*.

EISENSTADT, S. N.; and CURELARU, M. 1976 *The Form of Sociology: Paradigms and Crises*. New York: Wiley.

GOULDNER, ALVIN W. 1970 *The Coming Crisis of Western Sociology*. New York: Basic Books.

HALLEN, G. C.; BELOK, MICHAEL V.; MARTEL, MARTIN U.; and PRASAD, RAJESHWAR (editors) 1977 *Essays on the Sociology of Parsons: A Felicitation Volume*. New Delhi: Indian Journal of Sociology.

JOHNSON, BENTON 1976 *Functionalism in Modern Sociology: Understanding Talcott Parsons*. Morristown, N.J.: General Learning Press.

LASCH, CHRISTOPHER 1977 *Haven in a Heartless World: The Family Besieged.* New York: Basic Books.

LOUBSER, JAN J. et al. (editors) 1976 *Explorations in General Theory in Social Science: Essays in Honor of Talcott Parsons.* 2 vols. New York: Free Press.

MALINOWSKI, BRONISLAW (1925) 1948 Magic, Science and Religion. Pages 1–71 in Bronislaw Malinowski, *Magic, Science and Religion, and Other Essays.* Glencoe, Ill.: Free Press. → A paperback edition was published in 1954 by Doubleday.

MARTEL, MARTIN U. 1971 Academentia Praecox: The Scope of Parsons' Multi-systemic Language Rebellion. Pages 175–211 in Herman Turk and Richard L. Simpson (editors), *Institutions and Social Exchange: The Sociologies of Talcott Parsons and George C. Homans.* Indianapolis: Bobbs-Merrill.

MARTEL, MARTIN U. 1977 Dialogues With Parsons (1973–1974). Pages 1–34 in G. C. Hallen, Michael V. Belok, Martin U. Martel, and Rajashwar Prasad (editors), *Essays on the Sociology of Parsons: A Felicitation Volume.* New Delhi: Indian Journal of Sociology.

MENZIES, KEN 1977 *Talcott Parsons and the Social Image of Man.* London: Routledge & Kegan Paul.

MITCHELL, WILLIAM C. 1967 *Sociological Analysis and Politics: The Theories of Talcott Parsons.* Englewood Cliffs, N.J.: Prentice-Hall.

ROCHER, GUY 1975 *Talcott Parsons and American Sociology.* New York: Barnes & Noble.

SCOTT, JOHN G. 1963 The Changing Foundations of the Parsonian Action Scheme. *American Sociological Review* 28:716–735.

SMELSER, NEIL J. 1962 *Theory of Collective Behavior.* London: Routledge & Kegan Paul.

SOMBART, WERNER (1902) 1924–1927 *Der moderne Kapitalismus: Historisch-systematische Darstellung des gesamteuropäischen Wirtschaftslebens von seinen Anfängen bis zur Gegenwart.* 2d ed. 3 vols. Munich and Leipzig: Duncker & Humblot. → Volume 1: *Die vorkapitalische Wirtschaft.* Volume 2: *Das europäische Wirtschaftsleben im Zeitalter des Frühkapitalismus.* Volume 3: *Das Wirtschaftsleben im Zeitalter des Hochkapitalismus.*

SPENCER, HERBERT (1876–1896) 1925–1929 *The Principles of Sociology.* 3 vols. New York: Appleton.

TURK, HERMAN; and SIMPSON, RICHARD L. (editors) 1971 *Institutions and Social Exchange: The Sociologies of Talcott Parsons and George C. Homans.* Indianapolis: Bobbs-Merrill.

WHITEHEAD, ALFRED N. (1925) 1960 *Science and the Modern World: Lowell Lectures, 1925.* New York: Macmillan. → A paperback edition was published in 1960 by New American Library.

WILLIAMS, ROBIN M., JR. (1952) 1970 *American Society: A Sociological Interpretation.* 3d ed., rev. New York: Knopf.

WRONG, DENNIS 1961 The Over-socialized Conception of Man in Modern Sociology. *American Sociological Review* 26:183–193.

باستيد ، روچيه

BASTIDE, ROGER

كان روچيه مارياس سيزار باستيد (Roger Marius Cesar Bastide) (1898 -1974) عالمًا فى علم الاجتماع والأنثربولوجيا ، وتعكس أعماله العديد من الاهتمامات الشخصية والأكاديمية : التصوف ، الأحلام ، الغيبوبة ، الجنون ، الثقافات الأفرو أمريكية ، الدراسة المقارنة للعلاقات العرقية .

بين عامى ١٩٢٤ و ١٩٣٨ قام العالم باستيد بالتدريس فى مدارس الليسيه فى كاهور ، ولوريون ، وفالينس ، وفرساى . بين عامى ١٩٣٨ و ١٩٥١ قام بالتدريس فى جامعة ساوباولو (Sao Paulo) فى البرازيل . ولدى عودته إلى فرنسا شغل منصب مدير المدرسة العملية للدراسات العليا . ثم أصبح – فى عام ١٩٥٨ – مديرًا لمركز الطب النفسى الاجتماعى . ومع أنه تقاعد من السوربون فى عام ١٩٦٨ ، فإنه ظل عالمًا نشطًا حتى وفاته .

باستيد وأتباع دوركايم

لم يكن باستيد من أتباع دوركايم (Durkheim) بالمعنى الدقيق للكلمة ، ولكنه أجرى باكورة أعماله الأكاديمية فى بلد متأثر تأثرًا شديدًا بأميل دوركايم وابن أخته مارسيل موس . وكان أتباع دوركايم يعتبرون علم النفس وعلم الاجتماع علمين منفصلين ، لكل منهما نطاقه المميز الخاص به . فأى تفسير لظاهرة اجتماعية فى ظل علم النفس الفردى مشكوكٌ فيه . وكان دوركايم ينظر إلى الدين كنتاج للتنظيم الاجتماعى ، ولذا رفض جميع المحاولات الرامية إلى تفسيره بالرجوع إلى قيمته الفكرية أو العاطفية لدى مؤسسيه من الأفراد باعتبارها تفسيرات خاطئة منهجيًا . كذلك رفض محاولات رد الاختلافات فى معدل الانتحار لدى الفئات المختلفة ، فضلا عن الجماعات العرقية والدينية إلى علم

الأمـــراض العقلية Mental Pathology وعلـــم النفـــس العـرقي Race Psy-chology . ويبدو أحد الآثار الواضحة لموقف دوركـايم فى اعـتـبـاره بعض الظواهر المعـينة – مـثل: الجنون ، والأحـلام ظواهر فـردية، وليـست اجتماعية ، ولذا كان يحق استبعادها من مجـال علم الاجتمـاع . ويمكن أن ينظر إلى كتابات باستيد من عام ١٩٣٠ حتى وفاته على أنها أفعال صادرة عن التمرد ضد بعض تلك المواقف الفكرية الجامدة .

وفى بعض كـتـاباته المبكرة عن التصوف كان باستيد يرفض فى المحل الأول فكرة أن الدين هو مـجـرد نتـاج لظواهر اجتماعية أخرى ، فـتجربة الصوفى ، وصعوبة التعبير عن الاتحاد مع المجهول ووصفه ، تتجاوز الحدود الثقافية ، بل قد يكون ممكنا تحقيقه من خلال الأكاديمى الحديث الذى لا يعترف بأية معتقدات تقليدية ، ويتبع العلمانية فى حياته . وقد كان باستيد – ثانيًا – من أوائل علماء الاجتماع الفرنسيين الذين يدركـون – بجـدية – الأهمـية المحتملة لنظرية فرويد . وعلى الرغم من أنه انتقد تبسيط الفرويديين الجدد لفهم نمو شخصية الفرد . وبناء على ذلك ، كان يشعر – فى عام ١٩٥٠ – بأنه كـان فى مـقـدور ورثة فـرويد ودوركايم أن يجنوا الكثير من التبادل الحذر للأفكار ووجهات النظر . وكنتيجة منطقية للموقف الأخير كان باستيد يعتقد – ثالثًا– أن فى استطاعة علم الاجتماع أن يوسع مجاله بنجاح ويغزو مـجـال علمـاء علم النفس والتـحليل النفسى . وفى مـقـال نشـر فى عـام ١٩٣٢ (وأعيد طبعه فى ١٩٧٢) بعنوان "مواد لعلم اجتمـاع الحلم" Materials For a Sociology of the Dream، ادعى باستيد أن الأحلام كانت – بمعنى من المعانى – حقائق اجتماعية ، وأن البدائيين استخدموا تجربة الحلم بوصفها وسيلة لفهم الكون ودليلاً للعمل الاجتماعى . ويضاف إلى ذلك ، أن هناك علاقة بين محتوى الحلم والوسط الاجتماعى للحالم . وقد عزز باستيد هذه الحجة فى عمل لاحق بمقتبسات

من الكتابات الأنثوجرافية لبيتر لورانس ، وكنيلم باريدج ، وچورچ ديڤـــيـــرو ، وبتقارير مقابلاته هو نفسه مع بعض الأشــخــاص فى ســاوباولو وباريس . وباختصار ، فقد طبق باستيد مفاهيم دوركايم على البيانات التى استبعدها علماء الاجتماع من المجال الاجتماعى . وأعرب عن اعتقاده بأنه بقدر مايستبعد علماء الاجتماع ما هو غير حقيقى – مثل : الأحلام ، الغيبوبة ، والجنون – من نطاقهم ، فإنهم كانوا ضحايا الأحكام العقلانية المسبقة للرجل الغربى المعاصر ، والذى لايقدِّر سوى المظاهر الثقافية التى لها فوائد تكنولوجية واقتصادية مباشرة .

وقد سبق له أن بيَّن امتدادات برنامج دوركـــايم فى كــتـــابه عن سوسيولوجيا الاضطراب العقلى The Sociology Of Mental Disorder, (1965b). ففى هذا الكتاب الذى اتبع فيه آراء هنرى إى (Henri Ey) وميشيل فــوكــو (Michel Foucault)، لاحظ – أولاً– أن تعريف الجنون يختلف وأكثر ما نقل – سواء كان بطريقة صحيحة أو غير صحيحة – عن الكاندومبلية كان عن حالة الغيبوبة . حيث جرت العادة على النظر إلى الغيبوبة على أنها ظاهرة نفسية مرضية Psychopathology، وقام الباحثون بالبحث عن أدلة للجنون بين طوائف الكاندومبليه التى تسيطر عليها العناصر الدينية الإفريقية ، ولاحظ باستيد أنه بقدر ما لا يدخل ضيوف طوائف الكاندومبليه فى الغيبوبة ، وبقدر ما يتوقع الفرد الممسوس أن يلعب دور الإله الذى "يركبه" فى الوقت الذى يراعى رجال الدين أن لا تصبح أفعاله غير مناسبة أو متجاوزة للحدود . تعتبر الغيبوبة ظاهرة اجتماعية ، وتعتبر إحدى الشعائر التى تعيد تمثيل الكون (Cosmogony) فى غرب إفريقيا فى بيئة غريبة (أجنبية) . وعلاوة على ذلك ، لم تظهر أى علامة من علامات الشذوذ فى الحياة اليومية على الذين يقومون بهذه الطقوس الشعائرية ، والتى تجرى فى بيئة حضرية ذات ثقافة برتغالية من أصل إســبــانى (Luso-Hispanic)، وتتمتع بالتكنولوجيا الحديثة ، وبذلك

تبدو بعيدة عن "إفريقية" الكاندومبليه . واللافت للنظر أن المشاركين فى طقوس طوائف الكاندومبليه وغيرها من الطقوس الحضرية المستمدة من أصل إفريقى ، يبدو أنهم قادرون على الفصل بين هذين الجانبين من حياتهم . وقد رفع باستيد هذا السلوك إلى مستوى مبدأ علمى للعمل الاجتماعى ، وهو "مبدأ القطع" (Dissociation Principle) وربما كان الكانومبلية يتصرفون بمثابة آلية تعويضية للفقراء والمظلومين . وقد أولى باستيد اهتمامًا خاصًا بدور المرأة السوداء فى الكاندومبلية ، وأشار إلى أن هذه هى الطريقة التى لا تزال تمكنها من الاحتفاظ ببعض السلطة فى مجتمع ، يرتفع فيه مستوى تبعيته للنساء بدلا من أن يتقلص كلما أصبح أقل إفريقية وأكثر برازيلية .

باستيد دارس العلاقات العرقية

شارك باستيد فى دراستين ميدانيتين لمنظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة فى مجال العلاقات بين الأعراق : الأولى بدأت فى عام ١٩٥٠ فى البرازيل نتيجة لاقتراح من إل . أ . داكوستا بينتو (L.A.da Costa Pinto) ، وشارك فيها عدد من الباحثين العاملين فى مدن مختلفة ، بينما قام باستيد وتلميذه فلورستان فرنانديس (Florestan Frenandes) بالبحث فى ساو باولو . وكان المشروع الثانى عن النخبة الإفريقية فى الجامعات الفرنسية . وقد كان الهدف من مشروع اليونسكو فى البرازيل هو محاولة تفسير الانسجام النسبى فى العلاقات العرقية فى البرازيل الكاثوليكية بالمقارنة مع الولايات المتحدة البروتستانتية . وقد أشار باستيد فى دراسته للعلاقات العرقية إلى تشجيع تمازج الأعراق ، وأن الشخص الخلاسى الغنى يمكن أن يعتبر استثنائيًا شخصًا أبيض ، فى حين أنه فى الولايات المتحدة فإن أبسط دليل على أن أصل الفرد يرجع إلى جذور سوداء يضعه فى مستوى منخفض . فالعرق فى الولايات المتحدة يجرى تحديده من منطلق الشروط الاجتماعية بدلا من الشروط البيولوجية .

وقد تقبل باستيد تمييز بيير إل فان دن برج Pierre L. Van den Berghe بين نوعين من النماذج المثالية للمجتمعات العنصرية التعددية ، وهما النموذج الأبوى والنموذج التنافسى . وحيث إن المجتمع البرازيلى أبوى وهرمى ، فقد ساد فيه " الانحياز للون" بدلا من الانحياز العدائى "للعرق الاجتماعى" ، الذى كان سائداً فى الولايات المتحدة بعد الحرب الأهلية .

وعلى أية حال فقد بدأ يظهر فى ساو باولو نمط أقدر على التنافس ، نتيجة دخول الذكور السود ضمن الطبقة العاملة ، مما أدى إلى ازدياد الانحياز نحو العرق . وحين لاحظ باستيد ارتباط الكالفنيه (Calvinism) والتطور المبكر للرأسمالية بظهور النزعات الانفصالية والعرقية فى الولايات المتحدة وفى أماكن أخرى ، سعى باستيد إلى تعرف السبب فى أن الكاثوليكية والبروتستانتية قد اتبعتا هذين الاتجاهين المتمايزين ، ورد العنصرية البروتستانتية إلى فشل الهنود فى أن يرقوا إلى مستوى التوقعات غير الواقعية لأوائل المستوطنين فى شمال أمريكا بأن يسعوا فوراً للالتزام بأخلاقيات العمل ، ويدللوا بالتالى على جدارتهم للانضمام إلى الصفوة . وربما كان تبرير كنيسة الإصلاح الهولندى للفصل العنصرى فى جنوب إفريقيا هو نتيجة مباشرة لرفض كالفين Calvin لموضوع جسد المسيح وتأييده لفكرة وجود كنيسة وطنية . وقد يكون فى هذه الآراء بعض القيمة ولكنها تخلو من الأصالة . كما أن دراسته لدور الاتصال الجنسى وكذلك التخيلات والأحلام الجنسية فى النزاع العنصرى يكشف عن أصالة صارخة . وعلى أساس المقابلات التى أجراها فى ساو باولو ، لاحظ باستيد أن مجرد كون تمازج الأعراق لا يدل – بالضرورة – على حسن العلاقات بينها ، وأن العكس هو الصحيح فى الواقع . ففى أغلب الأحيان ، يستغل الشاب الأبيض فى الجنس مرة واحدة ؛ إلا وتنحدر سمعتها الاجتماعية فى المجتمع الذى تعيش فيه . أما فى فرنسا ، فإن

العديد من الطلبة الأفارقة يمارسون الجنس مع الفتيات البيض ، سواء من أجل تعزيز صورتهم الذاتية ، أو من أجل "تسلق" السلم الاجتماعي وللانتقام للإهانة من قبل البيض ، في حين أن الفتيات البيض يستخدمن الرجال السود كرمز للتمرد على آبائهن وقيمهم التقليدية وبمجرد أن يتزوج الإفريقي من فتاة بيضاء - وكثيراً ما يكون كارهاً لذلك - فإنه لا يستطيع العودة إلى البيئة الاستعمارية ، ويتعين عليه أن يعيش مهمشاً في فرنسا الكوزموبوليتانية .

رؤية باستيد الاجتماعية

تكشف أعمال باستيد - سواء في العلاقات العرقية أم علم الاجتماع الديني - عن اعتقاده القوي بأن علم الاجتماع هو علم إصلاحي وينبغي أن يكون هكذا ، كما يجب أن يحقق الهدف الذي أراده مؤسسه كونت Comte. فقد كان ديموقراطياً مؤمناً بنوع الاشتراكية التي تتضمن القيم الأخلاقية المسيحية . كذلك كان من المدافعين عن التقاليد الإفريقية ، ويعلن أن الأديان في غرب إفريقيا لها رونق يشبه أديان في اليونان وروما . وأخيراً ، وليس آخراً كان يذكر أن التزامه المهني الأساسي هو الاشتباك في المعركة الأكثر أهمية في عصرنا هذا ، وهي النضال ضد العنصرية .

المؤلف : Andrew Lyons
المترجم : نجوى حسين خليل

(1931) 1948 *Les problèmes de la vie mystique.* 2d. ed., rev. Paris: Colin.

1935 *Eléments de sociologie religieuse.* Paris: Colin.

1941 *Psicanalise do Cafuné e Estudos de Sociologia Estética Brasileira.* Curitiba (Brazil): Editora Guaíra limitada.

1943 *A poesia Afro-Brasileira.* São Paulo (Brazil): Livraria Martins editora.

(1945*a*) 1971 *Arte e sociedade.* 2d ed., rev. São Paulo (Brazil): Companhia Editora Nacional, Editôra da Universidade de São Paulo.

1945*b* *Imagens do Nordeste Mistico em Branco e Prêto.* Rio de Janeiro: Seção de livros da emprêsa gráfica O. Cruzeiro.

(1950) 1972 *Sociologie et psychanalyse.* 2d ed. Paris: Presses Universitaires de France.

(1957) 1973 *Brésil: Terre des contrastes.* 5th ed. São Paulo (Brazil): Difusâo Européia do Livro.

1958 *La Candomblé de Bahia (Rite Nago).* Paris: Mouton.

(1959) 1971 *Sociologia do folclore Brasileiro.* São Paulo (Brazil): Universidade de São Paulo, Escola de Communicações e Artes, Departamento de Jornalismo e Editoração.

(1960) 1978 *The African Religions of Brazil: Toward a Sociology of the Interpenetration of Civilizations.* Translated by Helen Sebba. Baltimore: Johns Hopkins. → Introduction by Richard Price. First published in French.

(1962) 1972 *Sens et usages du terme structure dans les sciences humaines et sociales.* 2d ed. The Hague: Mouton. → A collection of essays edited with an introduction by Bastide.

1965*a* *Réincarnation et vie mystique en Afrique noire.* Paris: Presses Universitaires de France. → A collection of essays edited with an introduction by Bastide.

(1965*b*) 1972 *The Sociology of Mental Disorder.* London: Routledge and Kegan Paul; New York: McKay → First published in French.

(1967) 1973 *Les Amériques noires: Les civilisations africaines dans le nouveau monde.* 2d ed. Paris: Payot. → A translation of the first edition was published by Harper in 1971 with the title *African Civilisations in the New World.*

1970 *Le Prochain et le lointain.* Paris: Cujas. → A volume of essays on race relations and millenarianism.

(1971) 1973 *Applied Anthropology.* New York: Harper. → A paperback edition was published in 1974 First published in French.

1972*a* *Anatomie d'André Gide.* Paris: Presses Universitaires de France.

1972*b* *Le rêve, la transe et la folie.* Paris: Flammarion. → A collection of Bastide's essays on dreams, mysticism, and madness.

1972*c* *Les Sciences de la folie.* Paris: Mouton.

1974 BASTIDE, ROGER; MORIN, FRANÇOISE; and RAVEAU, FRANÇOIS *Les Haïtiens en France.* Paris: Mouton. → A paperback edition was published in 1975.

1975 *Le sacré sauvage et autres essais.* Paris: Payot. → A collection of essays on mysticism and the sociology of religion.

SUPPLEMENTARY BIBLIOGRAPHY

FAUBLÉE, JACQUES 1974 Roger Bastide Sociologue et Ethnologue. *Année Sociologique* 25:27–43.

LALIVE D'ÉPINAY, CHRISTIAN 1974 Roger Bastide et la Sociologie des Confins. *Année Sociologique* 25:13–26.

برنارد ، چيسى

BERNARD , Jessie

يمثل تاريخ حياة چيسى برنارد واهماماتها السوسيولوچية تحديا معقولا، ولكنه غير قابل للاستسلام ، وهو تحد نابع من تعاليم العائلة وأساليب حياتها ومساراتها المهنية ونماذجها السوسيولوچية المثالية وأساطيرها التى تعتز بها، وكذلك الأنماط المرتبطة بمختلف مراحل العمر، ويظهر هذا كله بوضوح فى الكتب الأربعة عشر التى ألفتها بمفردها والكتب السبعة التى اشتركت فى تأليفها أو تحريرها والفصول الخمسة والعشرين التى نشرتها فى كتب غيرها من العلماء والمقالات التى تربو على الستين والتى نشرتها فى المجلات العلمية، وكذلك فحوصها الإنسانية الجريئة للظواهر المعطاة السوسيولوچية وأحيانا السيكولوچية والتاريخية والسياسية التى تقبل التحدى والتحليل النقدى للأمر الواقع.

وأسلوب چيسى برنارد البسيط الواضح فى كتاباتها، وكذلك فى حياتها الخاصة والمهنية أدى إلى إيجاد واسطة كثيرا ما تكشف عن رسالتها المتحدية والراديكالية دون أن تستثير المقاومة والمعارضة، ويمكن قراءة تاريخها الخاص على أنه خطة محكمة ومطابقة لتمرد لطيف، ولكنه يتصدى للتوقعات التى كانت تفرضها العائلة والمجتمع على الأنثى التى ولدت بعد نهاية القرن التاسع عشر بقليل وشهدت حربين عالميتين وما تلاهما من قلاقل واضطرابات اجتماعية ميزت النصف الثانى من القرن العشرين.

الخلفية المبكرة :

ولدت چيسى فى منياپوليس فى الثامن من يوليو ١٩٠٢ لوالدين من أصول يهودية من رومانيا، وكانت هى الطفل الثالث من بين أربعة أطفال لبيسى كانتر Bessie Kanter وديڤيد سولومون راڤيتش David Solomon Ra-vich. وكانت جدتها لأمها بيتسى كانتر

قـــد أرست نموذجـــا مـــبكرا للريادة النسوية عن النسـاء الأكاديميات ونسـاء الزنوج ونساء التخوم، وذلك حين هاجرت إلى الولايات المتحدة وهى أرملة صغيرة فى أواخر الثمانينيات من القرن التاسع عشر(وهو موضوع أصبح يشغل جانبا مهما فى بحوث چيسى الخاصة فيما بعد). فلقد تركت بيتسى كانتر ولديها البـــالغين فى رومـــانيـــا ورحلت من تراسلڤانيا إلى نيويورك مع ابنتـهـا الصـغـيرة بيسى . وقـد عملت بيسى كـانتـر(التى أصـبـحت فـيـمـا بعـد أم چيسى برنارد) فى شبابها فى منطقة صناعة الملابس فى نيـويورك وأظهـرت قدرتها على الريادة عن طريق المشاركة فى النظاهرات حـول حق الانتـخـاب، وذلك رغم رفض الأم أن تسـمـح لهـا بالانضمام إلى الاتحاد.

بعد ذلك بست سنوات تقريبا حين تمكن الأخوان فى رومـانيـا من ترتيب زيجة مناسبة لشقيقتهما عادت بيسى كانتر وأمها إلى وطنهما الأصلى؛ حيث تزوجت بيسى من ديڤيد سولومون راڤيتش، وكان يعمل فى صناعة الشموع وبعدها بفترة قصيرة رحل الزوجان ومعهما بيتسى كانتر إلى الولايات المتحدة، واستقروا هذه المرة - كما ورد فى سجلات الإحصاء لعام ١٩٠٠ - فى منيابوليس حيث كان يعيش شقيق للزوج (وهذا نمط من الهجرة وصفته چيسى برنارد فى مقال لا يحمل توقيعها بعنوان "An Analysis of Jewish Culture" (1942b) . وحتى بعد أن أنجبت بيسى وديڤيد راڤيتش عائلة من أربعة أطفال ظلت بيتسى كانتر هى المسيطرة باعتبارها الأم الكبرى matriarch السعيدة المجتهدة المتديّنة .

تراث چيسى برنارد الثقافى اليهودى الذى كان يتم التعبير عنه فى الصلوات والشعائر التى تمارسها الجدة يوميا كان يوازنه السلوكيات المتأمركة التى كانت تنقلها إلى البيت من المدرسة أختها الكبرى كلارا - وهذا تأثير آخر مهم . وكانت عملية التثاقف التى خضعت لها چيسى من خلال أختها التى كانت تعتبرها الجيل الثانى -

مقارنة بالجيل الذى تنتسب هى إليه (الجيل الثانى ونصف) قد قام بدور نموذجى فعال فى فهم وتوكيد تجربة التثاقف الأمريكية لأجيال الزنوج فى سنوات ما بعد الرق . وقد كانت كلارا راڤيتش هى التى ارتادت الطريق أمام چيسى التى لم تكن قد بلغت السابعة عشرة، لكى تدخل جامعة منيسوتا فى يناير ١٩٢٠ حيث تتلمذت على بيتيريم سوروكين Pitirim Sorokin وآلڤين هانسون Alvin Hanson وإن. إس.بى. جراس N.S.B. Gras وكارل لاشلى Karl Lashley وذلك قبل أن ينتقلوا جميعهم للتدريس فى جامعة هارڤارد .

الزواج المبكر والوضعية الاجتماعية :

فى سنتها الأولى بالجامعة حضرت چيسى برنارد فصلا آخر كمستمعة فى علم الاجتماع لأستاذ آخر متميز هو لوثر لى برنارد Luther Lee Bernard الذى كان يكبرها بإحدى وعشرين سنة، والتى عملت معه أيضا كباحثة مساعدة ثم تزوجته عام ١٩٢٥ رغم معارضة عائلتها الشديدة؛ نظرا لاختلاف السن والديانة . وخلال السنوات الإحدى والعشرين التى استغرقها الزواج أفلح لوثر لى برنارد فى أن يوفر بيئة شخصية وفكرية تسودها الوضعية الاجتماعية التى كانت چيسى نشأت فيها، ولكنها رفضتها بعد ذلك بغير تردد. وكان لوثر لى برنارد الذى اشترك مع چيسى وهى طالبة فى الدراسات العليا فى تأليف كتاب عن *Sociology and the Study* of International.Relations (1934) وكتابا آخر عن *Origins of American Sociology* (1943) من أتباع مذهب وجيست كونت عن الوضعية الاجتماعية. وقد حصلت چيسى برنارد على الدكتوراه من جامعة واشنطن عام ١٩٣٥ .

على هذا الأساس الفكرى أقام لوثر لى برنارد اعتقاده فى إمكانات العلوم الاجتماعية - بالاعتماد على المناهج العلمية وبوجه أخص الرياضية

– تحديد "أفضل الوسائل لتحقيق الأهداف المجتمعية المرغوبة" بطريقة موضوعية، وبذلك تسربت الوضعية الاجتماعية إلى منظورات جيسى برنارد الشخصية والسوسيولوجية لمدة عقدين تقريبا منذ أيام الدراسات العليا ودراستها المبكرة فى منيسوتا وحتى عملها للدكتوراه من جامعة واشنطن ثم "تدريبها بدقة فى أساليب القياس". ولكن فى أواسط الأربعينيات أفلحت أحداث الهولوكوست النازى فى أن تثير شكوكها وعدم إيمانها ورفضها وهروبها فكريا من النموذج الوضعى الاجتماعى وعاطفيا من زوجها المعلم الذى كان يجسد ذلك الاتجاه .

وبوفاة لوثر لى برنارد عام ١٩٧١ أصبحت جيسى برنارد مسئولة عن أطفالها الثلاثة كما وجدت نفسها – على غير رغبة منها – رائدة فى مجال سوسيولوجى جديد هو العائلة التى ترأسها أنثى . وقد أصبحت هذه العائلة أحد الأنماط الرئيسية لعائلة المستقبل ومحورا أساسيا فى بحوثها. وقد وفرت حياة برنارد كأرملة وربّة أسرة الخلفية التجريبية للفهم الواعى العميق لإحدى المشكلات الاجتماعية الكبرى التى كانت فى سبيلها إلى الظهور .

بداية الحياة المهنية المستقلة :

منذ وصولها مع زوجها العالم المتقدم فى السن إلى جامعة ولاية بنسلڤانيا عام ١٩٤٧ أسهمت جيسى برنارد فى الحياة الأكاديمية كعالمة اجتماع، وكان سث راصل **Seth Russel** رئيسا لقسم الاجتماع ثم تولى فيما بعد منصب العميد المشارك. وتحت رعاية رصل وتوجيهه "ارتقت....السلم الأكاديمى حتى القمة فى زمن قياسى" (1978,p.5). وفى الأيام الأخيرة للوثر لى برنارد ومرضه الأخير أقام راصل علاقة وثيقة مع العائلة وأصبح هو الأب البديل لأصغر الأبناء على وجه الخصوص . وخلال السنتين ونصف السنة التالية اعتمدت جيسى برنارد على مساندة رصل العاطفية والعائلية ، ولكن بقدوم خريف عام ١٩٥٣ غادرت

ومعها ابنها الصغير إلى أوروبا لكى تدرس اتجاهات البحث السوسيولوچى بعد الحرب ولكى تعالج جراحها العاطفية .

وكانت چيسى برنارد قد نشرت قبل مقدمها إلى پنسلڤانيا أول كتبها التى ألفتها منفردة وكان عن American Family Behavior (1942b.). وفى السنوات الأولى لها فى كلية پارك پنسلڤانيا كتبت كتابا عن American Community Behavior (1949a) وفى كلا الكتابين استعرضت مقدما الأشياء التى سوف تحدث وتنبأت بالأعمال التالية فى جهودها المبكرة لقياس درجة إجادة العائلة الأمريكية فى مختلف الوظائف والتوفيق فى الزواج ومدى النجاح فى صياغة معايير الزواج فى شكل نظم اجتماعية، وكلها موضوعات حظيت بكثير من اهتمامها طيلة حياتها .

رفض الوضعية الاجتماعية والهيئة الأكاديمية :

كان أول تحد رئيسى من جانب چيسى برنارد للوضعية الاجتماعية قد أثار شكوكا عميقة ودائمة حول إمكانات العلم الاجتماعى فى تغيير النظام الاجتماعى حسب أى خطة عقلانية. وقد ظهر انصراف برنارد عن فكرة "الخلاص الاجتماعى عن طريق العلم" فى سلسلة من المقالات بين عامى ١٩٤٧ و١٩٥٠ . وقد ذكرت فى كتابها عن elf-Portrait of a SFamily الذى صدر عام ١٩٧٨ انحسار اهتمامها وإعجابها فى إيمانها بهذه الفكرة التى لم يخالجها الشك فهى طيلة أكثر من خمس وعشرين سنة لدرجة أن الأمر استلزم حدوث كارثة فى حجم الهولوكوست النازى لزعزعة هذا الإيمان . فقد تم اقتلاع شبكة كاملة من الجذور الفكرية والعاطفية والأخلاقية وتعريتها تماما فى هذه العملية . فالإيمان الذى بنيت عليه حياة كاملة تعرض للاهتزاز . ولكن على الرغم من أن العقيدة التى كانت تسود

فى القرن التاسع عشر عن طبيعة العلم الخيرة – وهو "اعتقاد بأن العلم خير وطيب بالطبيعة " وكذلك على الرغم من أن إيمانها فى قدرة العلم الاجتماعى على تشكيل النظام الاجتماعى قد انهار فإن اعتمادا على نتائج البحث باعتبارها أفضل دليل متاح ظل هو العلامة المميزة لأعمالها العلمية حول كثير من المسائل مثل: لقاءات المحبين والزواج، والإنجاب، والأمومة، والطلاق، والزواج مرة أخرى والثقافة النسوية .

بعد السنة التى أمضتها چيسى برنارد فى أوروبا عادت إلى ولاية پنسلڤانيا حيث عكفت على العمل فى كتابين جديدين الأول هو كتاب *Remarriage; A Study of Marriage* (1957 a) والثانى هو كتاب *Social Problems at Midcentury; Role, Status and Stress in a Context of Abundance* (1957b). وكانت السنة التى أمضتها كأستاذ زائر بجامعة پرنستون (١٩٥٩/١٩٦٠) تجربة صعبة للغاية عانت فيها من الوحدة والعزلة ، فقد كانت أول سنة يسمح فيها للإناث بالدخول إلى مكتبة الجامعة من بابها الرئيسى. وقد ذكرت فيما بعد فى حديث خاص كيف أن ابتساماتها فى وجه أعضاء هيئة التدريس لم تكن تقابل بابتسامات مماثلة. وقد انتقلت فى السنة التالية إلى واشنطن حيث أمضت سنة التفرغ ، وفى الفترة من ١٩٦٢-١٩٦٤ كانت تنتقل يوميا من واشنطن لإلقاء دروسها فى ولاية پنسلڤانيا، ولكن بقدوم عام ١٩٦٤ شعرت بأن من الضرورى اعتزال ضغوط الحياة الأكاديمية ومراجعة أفكارها "لتتلاءم مع نمط الأفكار المحيطة بها" .

النساء الأكاديميات والاختراق الفكرى الجديد :

اعتزال چيسى برنارد للحياة الأكاديمية جاء متزامنا تقريبا مع نشر أهم عمل لها حتى ذلك الحين وهو كتاب Academic Women (1964) . وهذه

الدراسة للنساء العاملات فى السلك الأكاديمى، والتى حصلت بها على جائزة بل Bell Award من جامعة ولاية بنسلفانيا وبعدها على الجائزة الشرفية Kappa Gamma مهدت لدفعة جديدة فى طاقتها واتجاهاتها الفكرية ، ولكن "المؤسسة الأكاديمية" استقبلت ذلك "بنوع من الخمول الهائل" كما كانت هى نفسها تتوقع ([١٩٦٤]،١٩٧٤).

وقد استكشف كتاب نساء أكاديميات ظروف وأوضاع النساء العاملات فى مجال التدريس والبحث بأسلوب أكاديمى وفحص البيانات الإيجابية والسلبية بحياد تام وبغير تحيز فى دراسة لمشكلات التمييز بين الجنسين، وذلك قبل أن تطفو هذه المشكلة على السطح بالفعل . وقد عززت هذه الدراسة محاولاتها فيما بعد لكى تتوحد وتدرس المشكلات الاجتماعية المهمة مثل: مشكلة، الإجهاض، واضطهاد النساء، وإساءة معاملة الأطفال، وثقافة الفقر، والعائلات التى ترأسها امرأة ومشكلات الجنس، وذلك كله قبل أن تصبح هذه الأمور مشكلات اجتماعية ملتهبة ومسيطرة على الأذهان . ومن بين أعمالها الأكثر تأثيرا على الرغم من – أو ربما بسبب – النقد النسائى الموجه إليها كان كتاب نساء أكاديميات هو العمل الذى اهتم بفحص العوامل الرسمية وغير الرسمية التى أدت إلى تواضع دور النساء فى الوسط الأكاديمى، وذلك قبل أن تنتهى إلى أن الجنس كان أكثر أهمية من الدور فى تحديد المكانة والمركز. ويدور جزء كبير من دراسات برنارد حول وضع المرأة غير المتكافئ فى ضوء ميولها للتدريس فى المدارس الثانوية بدلا من الجامعات وفى القيام بدور حاملات وناقلات المعرفة المؤكدة بدلا من الإبداع والارتياد الجرئ وبدون استقصاء الممارسات التمييزية التى تضطر النساء لمثل هذه الاختيارات.

وتعترف چيسى برنارد بأن الإنتاجية العلمية هى وظيفة وضع الباحث فى نسق التواصل أكثر مما هى وظيفة الجنس الذى ينتمى إليه ذلك

البـــاحث؛ ولذا فـــهى تصف تأثيـــر التحركات الخفية لاستبعاد النساء من نسق التـــواصل اللارســـمى الذى عن طريقه يتم نشر وإذاعة المعرفة العلمية الجديدة . ومع أنها وصفت الإجراءات الصـريحـة المعلنة وعـمليـات التـمـايز الجنسـيـة sexism (وهو مـصطلح لم يكن مـعروفـا فى ذلك الوقت) فإنها لم تصل إلى حد الاعتراف بها كمؤثرات غير رسمية فى التمييز والتفرقة بين الجنسين، وذلك على الرغم من إبرازها الميكانيـزمـات اللارسـمـيـة التى عن طريقها كان يتم منع النساء فى السلك الأكاديمى من تنمية قدراتهن الأكاديمية وانتـهت إلى عدم وجـود أية تميـيزات رسـمـيـة أو بنائيـة للاخـتـيـار . إلا أن تحليلها لتلك التحركات الخفية لإبعاد النساء من شبكة الاتصالات الأكاديمية غـيـر الرسـمـيـة وإدراكـهـا للعـلاقـة بين التـجديد والابتكار ووجود جـمـاعـة من الزمـيلات النسـاء لم يتضـمن اعتـرافـا صريحا بوجود حركات غير مشروعة للتـمـيـيـز. ففى كـتـابهـا عن النسـاء الأكـاديميـات كنت تشـعـر بوجـود – ولكن دون أن تلمس أو تعـــاين كـــمـــا ستفعل فى أعماها التالية – علاقة غير سـوية بين المـــارســـات اللارســـمـــيـــة والاتجـاهـات إزاء الجنسـيـــة والمظاهر البنائية الرسمية للتفرقة بين الجنسين

والواقع أن كتاب نساء أكاديميات لمس ذروة الاهتـــمـــام بوضـع المرأة فى مجتمع كان على حافة التعرض للموجة النسـوية المتنامـيـة. وقـد وقـف أنصـار النسوية الراديكالية موقف المعارضة من النتائج التى توصلت برنارد إليـها حول عدم وجود تمييز أو تفرقة رسمية ضد النسـاء وحـاولوا تحـديد العـمليـات اللارسمية والخفية التى أحست برنارد بها ودرستها دون أن تعترف صراحة بأنـهـا تفـرقـة جنسـيـة . ولكن بعـد أن تحـولت برنـارد إلى المنظور النسـوى وقـفت إلى جـانب نقـادها وأشـادت بانتـقـاداتهم الصـائبـة. ومـع ذلك فـإن كتاب نساء أكاديميات كان مجرد بداية لدافع جـديد لقـوة فكرية لم تسـتطع المؤسسة الأكاديمية التى يهيمن عليها الذكور أن تتجاهلها .

الموضوعات والأنماط الكبرى :

خلال السنوات الأربع عشرة التالية اكتسبت أعمال برنارد أهمية جديدة حيث توغلت فى داخل النموذج الوظيفى (وإن لم يكن النموذج البارسونى) الذى كان يسيطر على علم الاجتماع وامتد إلى التنظيم النسوى . فبدخول چيسى برنارد إلى العقد السادس من عمرها، فإنها بدلا من أن تنحسر لديها القدرة على الإبداع بدأت ترتاد مجالا سوسيولوچيا جديدا أكثر خصوبة وثراء وسيكون هو أقوى اهتماماتها الفكرية وأكثرها تأثيرا.

واستعراض التتابع التاريخى لأعمالها خلال أربعة عقود يكشف عن الأنماط التكرارية المعقدة . فالأفكار الرئيسة الكبرى التى عرضت لها بسرعة فى أعمالها المبكرة تظهر من جديد، ولكن بدرجة أكثر نضوجا وأشد عمقا فى كل مرة، كما أن بذور كتبها المتأخرة يمكن أن نراها مغروسة ربما دون وعى فى ثلاثة او أربعة من كتبها المبكرة . فالأفكار والاستبصارات تظهر أولا مثل ذرات الرمل داخل الصدفة ثم تبدأ فى التمدد والنمو لكى تدلل على وجود مثابر وصامد ينتهى فى آخر الأمر إلى كيان مستقل عبارة عن كتاب جديد .

والمثال على ذلك هو معالجتها للثنائية الثقافية biculturality التى ناقشتها أولا فى كتابتها عن المهاجرين اليهود فى أمريكا (١٩٤٢) ثم توسعت فى دراستها بعد ذلك فى كتابها عن الزواج والعائلة لدى الزنوج *Marriage and Family among Negroes* (1966) من خلال تطوير فكرة وجود ثقافتين زنجيتين هما: الثقافة التى تمارس فى الظاهر، والثقافة المكتسبة ضمن السياق الثقافى الأكبر وهى ثقافة البيض .

وكتابها لعبة الجنس (19698b) *The Sex Game* – وهو مدخل تفاعلى للتواصل بين الجنسين – يرجع إلى فكرة الثنائية الثقافية ، وهنا تجدها تقوم بتطوير المفهوم لكى تبرز الجنسين كتجمعين كبيرين غير متسقين نسبيا ويعيشان فى نوع من الانفصال

الجنسى الذى فرضته الصعوبات المشتركة للتخاطب بين السكان فى مختلف الثقافات . و كتابها **Women and the Public Interest: An Essay on Policy and Protest** يقدم (تنويعة) على الفكرة الأساسية عن الثنائية الثقافية فى عالم النساء . وقد أعيد استكشاف تلك التنويعة مرة أخرى فى العام التالى فى كتابها **The Future of Marriage** وربما كان هذا أوسع كتبها انتشارا وفيه تحاول وضع تصور ذهنى عن أن كل رابطة زواجية تتألف من زيجتين أو عالمين مختلفين وغير متطابقين بحيث تعيش الزوجة فى عالمها الخاص المتميز والمنفصل عن عالم زوجها . ثم تعود بعد ذلك فى كتابها **The Female World** إلى نفس التصور وتعمل على تطويره من خلال تحليل معقد لمكانة المرأة ومحيطها وطبقتها الاجتماعية وثقافتها بحيث تبدو المرأة كما لو كانت تعيش ليس فقط فى زيجات مختلفة علاوة على زيجتها بزوجها، ولكنهما يعيشان فى عائلتين ونظامين تعليميين وطبقتين اجتماعيتين وبناءين مهنيين وعالمين ثقافيين وسياسيين مختلفين أيضا. وباختصار، فإنه منذ اللحظة الأولى التى يدخل فيها الزوجان إلى عالمهما الوردى تعيش المرأة فى عالم أنثوى، وهو مجتمع له بناء شديد الإحكام .

ولا تنكر برنارد أن النساء يعشن أيضا فى عالم الرجال، ولكنهن ببساطة لسن جزءا من ذاك العالم الذكورى تماما مثلما لا يعتبر الأمريكيون الذين يعيشون فى باريس فرنسيين . فتشريح البناء الطبقى الفريد للعالم الأنثوى واضح، كما أن برنارد تذهب إلى أن نفس التصورات التى تكمن تحت المفهوم الشائع عن الطبقة الاجتماعية فى علم الاجتماع السائد – وهو علم ذكورى مقبول فى عالم ذكورى – لا تعكس البناء الطبقى للعالم المعقد الذى تمضى فيه النساء الجانب الأكبر من حياتهن .

وثمة موضوعات أخرى رئيسية تلتحم بنسيج عمل برنارد مثل: موضوع التمييز الرسمى، واللارسمى، وموضوع

القوة، وخضوع المرأة والجماعات العاجزة، وعمليات المداعبة، والتلطف كوحدة أساسية فى الفعل الاجتماعى، والصراع بين أدوار المرأة بالنسبة للعمل والعائلة، والخصائص الجنسية باعتبارها عامل قوة ، والتأثير المتراجع للعمل المنزلى والمسئولية الكلية عن العناية بالأطفال وتأثيرها على صحة المرأة العقلية والعلاقات الاجتماعية المثلية homosociality والفوارق الجنسية بما فى ذلك الفوارق الأساسية المميزة للذكور والإناث والأدوار البيولوجية للجنس sex فى مواجهة الأدوار الاجتماعية للنوع gender والسياسة الاجتماعية كأداة للمحافظة على مكانة المرأة والحيوية التاريخية للعائلة النواة ثم تأثير السلوك العدوانى بين الجنسين.

ومعاودة الارتياد والتركيز على هذه الموضوعات، وبخاصة بعد ظهور كتاب نساء أكاديميات يمثل البحث الدءوب للوصول لفهم جديد حتى حين تتطلب التصورات الأكثر تقدما ترك التشبيهات المريحة والتفسيرات السابقة . وعلى ذلك فإنه فى كتاب النساء والصالح العام: مقال فى السياسة والاحتجاج تقوم برنارد بمناقشة التأثير العام لوظيفة التلطف أو الوظيفة المساندة التى تمارسها الإناث.

ومع أن برنارد تورد الكثير من الأدلة والشواهد على قدرة الذكور والإناث على التلطف، وكذلك على السلوك الأدائى، فإنها تلاحظ أن تخصص النساء فى الملاطفة كسلوك تعبيرى ومساعد يكشف فيه الشخص عن التماسك فإنه يرفع من مكانة الآخرين ويوفر لهم المساندة والاعتراف والموافقة والفهم والقبول السلبى (1971, pp.88-89). وهذا السلوك الذى يعتمد على التلطف لا يتفق فى رأى برنارد ولا يتماشى مع الأدوار المهنية ذات المستوى الرفيع التى كثيرا ما تتطلب السلوك الأدائى الصارم الذى يقوم على التنافس.

ولقد استعارت برنارد مفهوم تأثير السلوك الجنسى العدوانى من وصف

عـالم البـيـولوچيـا لورنتس Lorenz (1963) لسلوك أسـمـاك السـيكليد التى يخمد الدافع الجنسى لدى الذكر أمام خشـيته من عدوان الأنثى، كما تتأثر الرغبة الجنسية عند الأنثى بالمثل لعدم شعورها بالرهبة من الذكر . وتذهب برنارد إلى أن الأنثى قـد تعـمل على كبت رغبتها الجنسية احتراما للرجل، ولكنهـا تتـمـسك بدورها فى التلطف باعتباره عاملا مساندا، وهذا كله يحدث تحت اسم الرغبة الجنسية لدى الذكر والأنثى على السـواء . وتتـابع برنارد أعمال التعويق التى تفرضها المرأة على إنجازاتها وقدراتها الإبداعية وتذهب إلى أن النساء اللاتى يحرزن أعلى قدر من الإنجاز هن أول الضحـايا . ولكن لماذا تقبل المرأة التضحية بإنجازاتها أمـام الرجل الذى لا تربطهـا به أية عـلاقـات جنسـيـة؟ الواقع أن سلوك التلطف ليس هو المسئول الوحيد عن عدم مساواة المرأة بالرجل . وعلى أية حـال فـإن برنارد ترى أن التلطف "إذا أخذ فى علاقـته مع غيره من جوانب عالم النساء فإنه يعتبر وصفة للخضوع recipe" (1971, p.94).

فى السنة التالية مباشرة تحولت برنارد من مـسـألة التـأثيـر الجنسى العدوانى فى تفسيرها لخضوع المرأة وعلاقته بوظيفة التلطف . ففى كتابها عن مـسـتـقـبل الزواج (١٩٧٢) أقـامت تمييزا مهمًا بين"قوة الرجال الفيزيقية واللغز أو الغموض الذكورى الذى يربط بينها وبين القدرة الجنسية ...فإذا كان فى الاستطاعة قياس القوة باعتبارها القـدرة على غـزو المرأة ، وإذا كـانت الذكورة تعنى هذه القوة فإن إخضاع النســاء يكون أمـرا مطلوبا من أجل الفحولة الجنسية . والواقع أن مثل هذا التـعـريف للذكـورة كـان هو الصـفـة الأساسية للغز الذكر عبر القرون ، ولذا كان الجنس منذ قديم الأزل يعنى القوة بالنسـبـة للرجل .... ونفس مـصطلح العجز الجنسى يكشف عن مكون القوة فى لغز الذكر " (pp.168-(69).

التحول نحو النموذج المثالى النسوى :

يعتبـر إحـلال التـعـادل بين القـوة الذكرية وخضـوع المرأة محل مـفـهـوم

التأثير الجنسي العدواني أحد الاستبصارات التى نشأت عن اختراق چيسي برنارد للنموذج المثالى النسوى، وكما تقول هى نفسها فى الملاحظة التى أوردتها عن حياتها الشخصية فى كتاب مستقبل الزواج (١٩٧٢ - التذييل صفحتا ٣٢٩-٣٣٠) - فإنها أثناء تفكيرها العميق لذلك العمل اتجه وعيها وإدراكها بطريقة مؤلمة وإلحاح للمنظور النسائى . ففى أواخر الستينيات بدأ وعى نسوى متنام يجد طريقه إلى الحياة العلمية للنساء الراديكاليات، وهن أنفسهن الأكاديميات والناشطات اللواتى وجهن اللوم لها لفشلها فى أن تتخذ تلك الخطوة المهمة فى كتابها نساء أكاديميات.

وبينما كانت برنارد تتحول بصعوبة ولكن بإصرار من الوضعية الاجتماعية التى سيطرت على تفكيرها خلال السنوات العشرين الأولى من حياتها العلمية أصبحت الآن قادرة على أن تتخذ نقلة مماثلة من المنظور الوظيفى إلى المنظور النسوى ، وبهذا التحول فى النموذج المثالى أصبح فى مقدورها أن تعيد النظر فى كتاب نساء أكاديميات وأن تصفه بأنه دراسة "تم تصورها وإجراء البحوث الخاصة بها وكتابتها من مدخل التقاليد العلمية القديمة الرصينة والمتحفظة" (١٩٦٤) (1974, p.xxvii)

واستعراض الظواهر السوسيولوچية من خلال منظور نسوى يلقى مجموعة من الأضواء المختلفة والأكثر حيوية أكثر ما فعلته برنارد فى السابق . فالموضوعية الصارمة للعلم الاجتماعى أصبح من الممكن الآن النظر إليها بنظرة أكثر موضوعية على أنها تشويه وعقلنة للموقف المحايد عاطفيا من عدم المساواة الأساسى ومن المعضلات الأخلاقية فى الحياة الاجتماعية . فأحكام القيمة التى تتضمنها عملية اختيار موضوعات البحث ظهرت فجأة بوضوح بحيث أصبح من المستحيل على العلماء الاجتماعيين إغفال مشكلة إصلاح التفاوتات الاجتماعية التى تفصل بين الجنسين ، وهذه تنويعة

جديدة على الوضعية الاجتماعية السابقة ونوع من تماسك واندماج المواقف السابقة ، وبذلك أمكن تشخيص العلم الاجتماعى بأنه جزء من المشكلة .فالعلم الذى يتمتع بمكانته العلمية الجادة المحايدة أصبح ببساطة يدرس المشكلات الاجتماعية و يتهم ضمنيا الضحايا بدلا من أن يعمل على مساعدتهم وإنقاذهم .

ولقد كان العلم الاجتماعى لفترة طويلة جدا معقل هيمنة المؤسسة الذكورية التى تنظر إلى دراسة المجتمع من زاوية ذكورية فقط بحيث كان الباحثون من الرجال والنساء على السواء يدرسون المجتمع ويسجلون مشكلاته، ولكنهم ظلوا متباعدين من خلال تلك الرؤية القاصرة التى تفتقر إلى النظرة الأخرى - وهى النظرة النسوية -.لاستكمال الصورة المجسمة التى تعطى الواقع العمق الحقيقى والتعاطف والاندماج، ومنذ ذلك التحول النموذجى المثالى المهم درست چيسى برنارد العالم الأنثوى من خلال المنظور النسوى مع الحرص على أن تكشف للقارئ بطريقة متزنة، ولكنها حاسمة عن الأبنية التى تم إغفالها فى الدراسات السابقة. ولم تكن تلتفت إلى عالم الذكور إلا من حين لآخر وبطريقة عابرة أثناء تسجيلها للاكتشافات النسوية التاريخية كما كانت تتحدث بجرأة وصراحة عن الاختيارات الناشئة التى قد تؤدى إلى رد المرأة إلى علاقات لا معنى لها وإلى حياة تثير الجنون بالفعل . وكتاب *The Female World* دراسة عميقة وواضحة للعوالم التى تعيش فيها المرأة بعيدا عن الرجل مثل: عالم عائلتها وصداقاتها وتعليمها ومهنتها وعالم الولادة والمرض والسياسة والفن بل والوفاة أيضا ، وتنتهى إلى أن الجو العام المحيط بالعالم الأنثوى هو الأسى والكآبة ، ولكنها رغم ذلك لا تقدم أية اعتذارات عن المرأة أو عن الاختلاقات الجنسية التى كات تؤكد دائما - سواء قبل تحولها النسوى أو بعده - أنها غير قابلة للاختزال.

فكتاب The Female World إشادة موثقة جادة بقوة لاختلافات النساء الفريدة التى تقيم عليها برنارد إمكانات الخلاص فى المستقبل بالنسبة للرجال والنساء فى مجتمع ما بعد الصناعة . فتسامى دور الجنس والأدوار المشتركة بين الجنسين يمكن أن تكون هى موجة المستقبل على ما تنبأت بذلك (Lipman-Blumen & 1972;1974;1975; Bernard 1979). ولكن الآن فإن الاحترام التام للعالم الأنثوى بكل بنائه وقيمه سواء فى الماضى أو الحاضر تتم دراسته بطريقة مهذبة راسخة وبنبرات واضحة وصريحة .

منظور انتقائى سابق لعصرها :

فى بداية هذا المقال أشرنا إلى رغبة برنارد العارمة فى إحراز التقدم بحيث تسبق زمنها فى مناقشة المسائل التى سوف تهم العلماء وصناع السياسة . فبحوثها كانت تمهد الطريق ليس فقط أمام تلك المشكلات فى ذاتها، ولكن أيضا أمام الاستراتيجيات التى كانت تتبعها فى معالجة المشكلات . وهنا أيضا نرى خصائص تفكيرها الأساسية التى تتمثل فى التحدى النقدى للأفكار والأساطير الشائعة التقليدية .

والمثال على ذلك كتابها الزواج والعائلة لدى الزنوج الذى كشفت فيه الأغاليط حول "النظام الأمومى عند السود" وفندت فكرة أن بناء العائلة الزنجية بناء منهار تماما . فعن طريق استخدام البيانات الإحصائية بأسلوب علمى دقيق برهنت على أن البناء المنوالى للعائلة الزنجية يقوم على الوحدة الزواجية القوية بين زوجين أصيلين يعيشان مع ذريتهما ويكفلان لهم الرعاية والعناية . وكانت تتقصى التأثير العميق لتاريخ الرق والتمييز العنصرى على العلاقة بين الزنوج من كلا الجنسين . ومع أنها كانت ترى أن الأنثى الزنجية لا تشترك دون قصد أو تعمّد فى كفاح الرجال السود، فإنها كانت ترد عن حق الوضع الذى يواجه الزنوج إلى عامل التحضر بكل ما يحمله

من ازدحام وحراك وانقطاعات، وكذلك إلى البطالة والفقر . وتحليل برنارد المتعاطف مع المجتمع الزنجي في بيئة بيضاء (وهو ما يستدعي إلى الفكر كتابتها المبكرة عن المهاجرين اليهود) ولكن مع بعض التأويلات التي قد ترفضها الآن أدت ببعض قرائها من السود إلى الاعتقاد بأنها كانت هي نفسها زنجية . وكانت تشيد بأهمية نهضة الكبرياء العرقية لدى الزنوج وتتوقع حدوثها وترى أن شعورهم بالتحرر الذاتي هو العلاج الناجع لآلام الرجل الأسود .

والأسطورة الأخرى الكبرى التي فندتها برنارد هي ادعاء أن الزواج والأمومة أمران تهفو إليهما المرأة بقوة . ففي كتاب مستقبل الزواج، وكذلك كتاب مستقبل الأمومة *The future of Maternity* (1974) دللت بالدقة المعهودة في المدرسة الدوركايمية على أن الزواج يفيد الرجل أكثر مما يفيد المرأة، وأن بناء الزواج في العالم الغربي بعد الصناعي وكذلك الأمومة يلحقان كثيرا من الأذى بالصحة العقلية للمرأة .

ويعتبر توقع برنارد لاستراتيچيات منهجية سابقة للاتجاهات السائدة أمرا مماثلا تماما لاستبصاراتها حول تحديد المشكلات الأساسية في الوقت المناسب . فمنذ عام ١٩٦٦ كانت تدعو وتنصح بإجراء بحوث عن الخبرات المختلفة المستجدة لدى الجماعات، والتي تم تطبيقها في فترات زمنية مختلفة ، وهو أسلوب يمكن الارتقاء به إلى مستوى السيطرة الحالية لمنهج تحليل الجماعات . فدعوتها المبكرة للقيام بدراسات طويلة المدى بقصد التغلب على أخطاء البحوث عبر الثقافات كانت دعوة سابقة على انتشار هذا الأسلوب بالفعل. بل إنها كانت منذ عام ١٩٦٤ تستخدم البيانات المتاحة عن المجتمعات الوطنية الكبيرة لإجراء مقارنات أساسية بين النساء الأكاديميات في الاتحاد السوڤييتي وفرنسا وإيطاليا وبريطانيا والولايات المتحدة، وهو أيضا مدخل منهجي اكتسب منذ ذلك الحين كثيرا من الأتباع .

فأسلوب برنارد العلمي أسلوب انتقائي يغطي مجالا واسعا من المناطق

المهمة، ويستخدم مجموعة معقدة من المنهجيات . وانطلاقا من تدريبها فى مجال القياسات فإن أعمالها المبكرة مثل: كتاب سلوك العائلة الأمريكية *American Family Behavior* (1942a) حتى كتابها عن مستقبل الزواج كانت تستخدم البيانات التى تم جمعها من نطاق واسع للغاية يتضمن الإحصاءات العامة الشاملة المستمدة من التعدادات والتقارير الحكومية الأخرى لإجراء المقارنات بين أنماط الجماعات السوسيولوچية المختلفة، وتقيس قوة واتجاهات الظواهر السوسيولوچية . وفى مرحلة تالية تحولت إلى البيانات ذات البعد المحدود مثل: الوثائق الشخصية، والخطابات الخاصة التى كانت تتبادلها مع أولادها لمدة خمسة وعشرين عاما فى محاولة جريئة للكشف من خلال التتبع الزمنى عن البناء التحتى الحميم لحياة العائلة . وفى عملها عن زواج الزنوج وبناء العائلة، وكذلك فى بحوثها الأخيرة عن عالم الأنثى، كانت تركز على الزنوج والنساء مع الاهتمام بوجه خاص وبشكل متعمد على المقارنة مع السكان البيض من ناحية ومع الرجال من الناحية الأخرى. ولذا كانت تتجنب عمدا إجراء قياسات للمقارنة بين الزنوج والبيض وبين النساء والرجال. وفى تحد واضح لقواعد وقوانين العلم الاجتماعى التقليدية حاولت أن تنظر إلى الزنوج كزنوج، وليس كأنماط مغايرة لنمط البيض وإلى النساء كنساء وليس على أساس النظرة فى ضوء الرجال . وفى كتابها لعبة الجنس انتقلت بسهولة إلى المنظور التفاعلى . وقد كان تحولها من الوضعية الاجتماعية إلى الوظيفية غير البارسونية ومنها إلى النسوية يبدو فى آخر الأمر على أنه تكامل إنسانى يقوم على نموذج مثالى .

الجوائز وألقاب التشريف:

صدرت الإشادات بأعمال چيسى برنارد كإسهامات كبرى فى التخصص وكمصدر تعليم للجمهور العام من المستمعين من كل جانب ، ولكن من السخرية أن قدرتها على الحديث فى سلاسة وسهولة ووضوح للجمهور العام وكذلك لزملائها فى العلم الاجتماعى

كانت سببا فى تأخير الاعتراف بها من الأوساط المهنية (وقد حذرت هى نفسها أحد زملائها الذى كان يستشهد بأعماله فى الجرائد بأن يحمى المشاركين معه من هذا الطريق وإلى أى حد يمكن الحكم على الباحث فى علم الاجتماع بالتميز إذا كانت أعماله يشار إليها فى المجلات الشعبية " (فى حديث خاص)

وعلى الرغم من تحدياتها الرقيقة للأعراف والمعايير المهنية فإنها كانت ترفض ترشيحها لرئاسة الرابطة السوسيولوچية الأمريكية ولشغل عدد كبير من المراكز فى المنظمات، فإنها فى السنوات الأخيرة تسلمت جائزة كورت ليڤين Kurt Lewin من جمعية الدراسة السيكولوچية للمشاكل الاجتماعية (١٩٧٦) وأول جائزة تقديرية من جامعة بنسلڤانيا (١٩٧٦) وجائزة التفوق المتميز من الرابطة الأمريكية للنساء الجامعيات (١٩٧٦) وعددا كبيرا من درجات الدكتوراه الشرفية من كلية هوود Hood College وجامعة نورث وسترن وجامعة واشنطن وكلية رادكليف وجائزة ستوارت إيه رايس Stuart A. Rice من الرابطة السوسيولوچية لإقليم كولومبيا (١٩٧٤) والجائزة التقديرية للجمعية السوسيولوچية الشرقية وجائزة بورچس Burgess من المركز الوطنى للعلاقات العائلية (١٩٧٣) .

وقد أنشئت عدة جوائز باسمها وهى جوائز مخصصة لتكريم العلماء الذين يسهمون فكريا ومهنيا وإنسانيا مثلها فى عالم البحوث الأكاديمية والنسوية ، وبذلك فإن جوائز التقدير السنوية من الرابطة السوسيولوچية الأمريكية عام ١٩٧٦ وعلماء الاجتماع بإقليم كولومبيا لدراسات المرأة فى المجتمع عام ١٩٧٨ تعكس مدى التقدير الذى تحظى به إسهاماتها الفكرية والانتقائية وشجاعتها الشخصية وتحدياتها المتزنة وإنسانيتها الصادقة وأخوّتها النسوية .

المؤلفة : Jean Lipman-Blumen

المترجم : أحمد أبوزيد

(×) توفيت چيسى برنارد فى التاسع من أكتوبر عام ١٩٩٦ وهى فى سن الثالثة والتسعين - المترجم

WORKS BY BERNARD

1934 BERNARD, L. L.; and BERNARD, JESSIE *Sociology and the Study of International Relations*. St. Louis, Mo.: Washington University Studies.

(1942*a*) 1973 *American Family Behavior*. New York: Russell. → Includes a new introduction.

1942*b* An Analysis of Jewish Culture. Pages 243–263 in Isacque Graeber and S. H. Britt (editors), *Jews in a Gentile World*. New York: Macmillan. → Published anonymously.

1942*c* Biculturality: A Study in Social Schizophrenia. Pages 264–293 in Isacque Graeber and S. H. Britt (editors), *Jews in a Gentile World*. New York: Macmillan.

1943 BERNARD, L. L.; and BERNARD, JESSIE *Origins of American Sociology: The Social Science Movement in the United States*. New York: Crowell.

1947 Social Salvation Through Science. *South Atlantic Quarterly* 46:44–55.

(1949*a*) 1962 *American Community Behavior: An Analysis of Problems Confronting American Communities Today*. Rev. ed. New York: Holt.

1949*b* The Art of Science: A Reply to Redfield. *American Journal of Sociology* 55:1–9.

1949c A Note on Sociological Research as a Factor in Social Change: The Reception of the Kinsey Report. *Social Forces* 28:188–190.

1949*d* The Power of Science and the Science of Power. *American Sociological Review* 14:575–584.

1949*e* Prescriptions for Peace: Social Science Chimera? *Ethics* 59:244–256.

1950*a* Can Science Transcend Culture? *Science Monthly* 71:268–273.

1950*b* The Validation of Normative Social Theory. *Journal of Philosophy* 47:481–493.

(1957*a*) 1971 *Remarriage: A Study of Marriage.* New York: Russell. → Includes a new introduction.
1957*b* *Social Problems at Midcentury: Role, Status, and Stress in a Context of Abundance.* New York: Dryden.
(1964) 1974 *Academic Women.* New York: Meridian.
1966 *Marriage and Family Among Negroes.* Englewood Cliffs, N.J.: Prentice-Hall.
1968*a* Community: II. Community Disorganization. Volume 3, pages 163–169 in *International Encyclopedia of the Social Sciences.* Edited by David L. Sills. New York: Macmillan and Free Press.
1968*b* *The Sex Game: Communication Between the Sexes.* Englewood Cliffs, N.J.: Prentice-Hall. → A paperback edition was published by Atheneum in 1972.
1971 *Women and the Public Interest: An Essay on Policy and Protest.* Chicago: Aldine-Atherton.
1972 *The Future of Marriage.* Cleveland and New York: World Publishing Company. → A paperback edition was published by Bantam in 1973.
1973 *The Sociology of Community.* Glenview, Ill.: Scott-Foresman.
1974 *The Future of Motherhood.* New York: Dial. → A paperback edition was published by Penguin in 1975.
1975 *Women, Wives, Mothers: Values and Options.* Chicago: Aldine.
1978 *Self-portrait of a Family.* Boston: Beacon Press.
1979 LIPMAN-BLUMEN, JEAN; and BERNARD, JESSIE *Sex Roles and Social Policy.* Beverly Hills, Calif.: Sage.
The Female World. New York: Free Press. → Forthcoming title.

SUPPLEMENTARY BIBLIOGRAPHY

BALES, R. F. 1950 *Interaction Process Analysis: A Method for the Study of Small Groups*. Cambridge, Mass.: Addison-Wesley.

LORENZ, KONRAD 1963 *On Aggression*. New York: Harcourt. → First published as *Das sogenannte Böse: Zur Naturgeschichte der Aggression*. A paperback edition was published in 1970.

بوجاردُس، إيموري س.

BOGARDUS , EMORY S.

يمثل إيموري ستيفن بوجاردُس (١٨٨٢ - ١٩٧٣) الطراز الأصيل لعالم الاجتماع في عصره. كان عالمًا. ومعلماً، وفيلسوفًا، وناشطًا. وكان مرتبطًا بمهنته، وطلابه، وأسرته، وجامعته وبالمجتمعات المحلية العالمية. ولد في بلفدير Belvedere، بولاية إلينوي Illinois، ومنحدرًا من أوائل المستوطنين الألمان والإنجليز في العالم الجديد، وأكمل درجة الماجستير في الفلسفة وعلم النفس من جامعة نورث وسترن Northwestern في عام ١٩٠٩ .

حصل بوجاردُس على منحة الإقامة من جامعة نورث وسترن في عام ١٩٠٨، وفي خلال عمله كمدير أندية الشباب في محل إقامته، قابل إدوارد آ.روس Edward A.Ross الذي كان أستاذًا في جامعة ويسكونسن Wisconsin والذي أثناء حديثه غير الرسمي قدم بوجاردُس لعلم الاجتماع.

وكان لروس كلا التأثيرات المباشرة "المستترة" على اشتغال بوجاردُس بعلم الاجتماع. وكان لبوجاردُس أن يستمر في أن تكون له نظرية خاصة به تركز على الفرد في تحليل الأوضاع الاجتماعية الإنسانية واستمر متمسكًا بتلك النظرية. خلال عمله في المستوطنة تساءل: "هل يستطيع المقيمون من سكان الشوارع الذين لا يعرفون التعب والاستقرار أن يصبحوا مهتمين بالأنشطة العملية المفيدة..؟ (quoted in 1962 P. 42).

وعندما جاء روس لزيارة المستوطنة شرح لبوجاردس "أن علم الاجتماع كان مهتمًا بدراسة الأسباب الكامنة وراء أسباب المشكلات الاجتماعية، وعدم المساواة، والصراع الاجتماعي، وكيف تنشأ هذه المواقف عن العمليات الاجتماعية

(1970b, P. 120). وقد عثر بوجاردُس على الرابطة بين فلسفته الإنسانية وبحثه العقلي عن معلومات صادقة وصحيحة حول السلوك الإنساني.

متأثراً بمقابلته مع روس وتشجيعه له. توجه بوجاردُس لمقابلة ألبيون و. سمول Albion W. Small، رئيس قسم الاجتماع فى جامعة شيكاغو University of Chicago. وقد عرضت عليه منحة تجدد مع تقديم ميزانية له من أجل استكمال دراسة للدكتوراه فى جامعة شيكاغو عام ١٩١١ وقبل ذلك العرض.

وقد يكون من غير المناسب أن نتساءل عما إذا كان بوجاردُس تنبأ بمدى تأثير جامعة شيكاغو عليه، ومع ذلك فإن الحقيقة هى أن سمول Small وجيمس رولاند أنجل James Rowland Angel وروبرت إ بارك Robert E. Park وجورج هربرت ميد George Herbert Mead، وشارلز ر. هندرسون Charles R. Henderson، ودبليو. أى . توماس W. I .Thomas قد أثروا فيه بشدة أثناء تفاعلاتهم معه وإنجازاتهم الشخصية وظنوا أنه لن يستطيع أن يتجنب تأثيراتهم الهائلة بسهولة؛ فمن سمول تعلم النظرية الاجتماعية، ومن توماس تعلم أسلوب تطبيق منهج جمع المعلومات عن تواريخ الحياة، وذلك عن طريق إجراء المقابلة لمعرفة أكثر بتنمية الاتجاهات؛ ومن ميد تعلم الجوانب الاجتماعية والدور الذى تقوم به (١٩٦٢). وبالرغم من أن بارك Park لم يكن من أساتذة بوجاردس، فإنه حثه على أن يقوم بتطوير طريقة موضوعية لقياس التفاعلات الإنسانية فى دراسة العلاقات السلالية، وهذا يعد من أهم إسهامات بوجاردس للعلم الاجتماعى (1967,P.1). وقد استطاعت هذه المجموعة القوية من العلماء فى شيكاغو ومعهم بوجاردُس من أن يجذبوا عدداً من الطلاب والأساتذة ومن أمثال إليورث فارس Ellsworth Fars، ل. ل. برنارد L. L. Bernerd، وليام فيلونج أوجبرن William Fielding Ogburn، وشارلز إ. مريام Charles E. Merriam، لويس ورث Louis Wirth، هربرت بلومر Herbert Blumer، صمويل أ. ستوفر Samnel A. Stouffer، وروبرت ردفيلد Robert Redfield.

استمر اهتمام بوجاردس بعلم النفس فى جامعة شيكاغو، وعمل

بتوجيه من هارفى كار Harvey Carr وتوصل إلى نشر تجارب عن الإحساس باللمس للفأر الأبيض "Experiments on Tactual sensations of the white Rat". (Henke & Bogardus 1911). وكان كل من أنجل وهندرسون عضوين فى لجنة مناقشة رسالة الدكتوراه وعنوانها "علاقة الإجهاد فى حوادث الصناعة *The Relation of Fatigue to Industrial Accidents (1912)*". وقد كانت الرسالة فى كل من علم النفس وبنفس الدرجة منطقيًا فى علم الاجتماع. وقد كانت النظرية والمنهج مهمين فى الدراسات وفى التوصل إلى النتائج التى توصل إليها من سبقوه، ولم يكن يمثل عنوان الرسالة الذى قام بها أى نوع من العقبات أمامه بالرغم من أنه بعد فترة وجوده فى شيكاغو أكد بوجاردس على أنه عالم اجتماع. كما أنه قبل أثناء تقديمه لرسالته وظيفة مدرس Assist. Prof. فى النظام الأمريكى فى جامعة جنوب كاليفورنيا Southern California وظل بها حتى توفى عام ١٩٧٣.

كان لبوجاردُس كعالم اجتماعى أثر واضح فى علم الاجتماع كتخصص ومهنة. وكانت فلسفته أن كل المعلومات مفيدة إذا وضعت فى سياقها الذى يدل على المعنى الصحيح. وقد توازنت فلسفته على أن كل الأشخاص يمكن أن يساهموا فى الخير العام إذا عرف القادة كيفية استنباط الإسهامات المناسبة منهم.

وفى عام ١٩٢٣ بدأ بوجاردس العمل فى كتابة عن البحث الاجتماعى الجديد The New Social Research (1926b) وفيه اهتم بتنظيم منهج سوسيولوجى يستطيع أن ينتج ويحلل قدرًا كبيرًا من البيانات الشخصية. وهذا المدخل يعكس الجمع بين منهج كل من توماس وكار ودوافع كل من روس وبارك، وعلى تأكيد المعنى عند ميد. وفى عام ١٩٢٤ بدأ العمل فى إيجاد التعريف التجريبى للمفاهيم الاجتماعية والسوسيولوجية عن طريق استخدام المقاييس ذات البعد الواحد.

وفى عام ١٩٢٦ توصل بوجاردس إلى مقياس اجتماعى للمسافة الاجتماعية لعينة كبيرة قومية من المستجيبين الذين أجرى عليهم هذا القياس. وكان الهدف الأصلى من هذا القياس تحديد قيمة درجة الفهم المتجانس بين أعضاء من سلالات مختلفة، ولكن بوجاردُس وكثيرين غيره من العلماء السلوكيين وجدوا بسرعة أن هذا المقياس مفيد عند قياس المسافة الاجتماعية بين الأشخاص وكثير من الفئات المتشابهة من البشر سواء أكانت إثنية أو دينية أو مهنية. وأصبح مقياس المسافة الاجتماعية مستخدمًا بطريقة واسعة وقد جذب بوجاردُس الاهتمام عندما أعاد إجراء مسوحه فى عام ١٩٤٦، ١٩٥٦، ١٩٦٦, وكون سلسلة من الدراسات السوسيولوجية ومستخدمًا بين التعريف التجريبى للظواهر التى يمكن ملاحظتها. وقد استخدم المقياس نفسه بطريقة فعلية فى جميع أنحاء الكرة الأرضية حتى يمكن عقد المقارنات من خلال كل من الزمن والمكان.

لاحظ بوجاردُس أن متوسط رد الفعل إزاء الفئات السلالية لدى المستجيبين فى الولايات المتحدة الأمريكية قد تغيرت ببطء خلال الأربعين السنة التالية للدراسة. وأن سلسلة تسجيلات المسافة المحددة قد تقلص بشكل ملحوظ. ومن هذه النتائج استنتج أن الأمريكيين بصفة عامة أصبحوا عن طريق القياس أكثر قبولاً للأشخاص من جميع السلالات، وقد لاحظ بالرغم من ذلك أن نتائجه لم تحدد المسافات العرقية والتى سوف تختصر فى المستقبل المتوقع.

كان بوجاردُس أول رئيس للجمعية السوسيولوجية الأمريكية، يتم اختياره من أى مدرسة غرب جبال روكى. وقد أسس واحداً من أكبر أقسام علم الاجتماع فى العالم حينئذ (وقد أصبح ترتيبه الخامس بين الأكثر إنتاجًا لرسائل الدكتوراه تحت إشرافه)؛ أنشأ الجمعية السوسيولوجية ذات السمعة الحسنة ألفا كابا دلتا Alfa Kappa Delta،

The Sociological; journal, *Sociology and Social Research* وكان أول رئيس للجمعية السوسيولوجية الباسيفيكية، فكتب أكثر من ثلاثمائة كتاب ومقال فى خلال حياته العملية.

وكرئيس للجمعية السوسيولوجية الأمريكية شجع بوجاردُس بطريقة نشطة على قيام العلاقات مع السوسيولوجيين فى كل العالم، وزيادة التبادل مع غير الأوروبيين من السوسيولوجيين بصفة خاصة. ومع أنه قام هو نفسه بزيارة كثير من العلماء الأوروبيين ، وكان صديقًا حميمًا للعديد منهم بمن فى ذلك ليبولد فون فيزا Leo-pold Von Wiese وهنرى برجسون Henri Bergson، وفلوريان زنانيكى Florian Zaniecki، فإنه زار أيضًا السوسيولوجيين فى بقية العالم. كما قام تلاميذه بالتدريس فى معظم أقطار آسيا، وفى إفريقيا، الأوقيانوسية Oceania وفى أمريكا الجنوبية بل وفى أوروبا وأمريكا الشمالية وقد نشر بانتظام "ملاحظات سوسيولوجية أجنبية "Foreign Sociological Notes" فى Sociology and Social Reaserch. والذى وضع لها عنوانًا فرعيًا هو مجلة دولية An International Journal، مع الأمل على أنها ستشجع على تبادل للمعلومات السوسيولوجية على مستوى العالم.

ومن بين تلاميذ بوجاردُس الذين تأثروا به كثيرًا نجد ج. بروملى أوكسنام G. Bromley Oxnam وماير ف نيمكوف Mayer F. Nimkoff وبولين ف . يونج Pauline V. Young، جيه. ماكس بوند Max Bond. لوإدوارد سى. مكدونا Edward C. McDongh.

المؤلف : THOMAS E. LASSWELL
المترجم : فاروق أحمد مصطفى

WORKS BY BOGARDUS

1911 HENKE, FREDERICK W.; and BOGARDUS, EMORY S. Experiments on Tactual Sensations of the White Rat. *Journal of Animal Behavior* 1:125–137.

1912 *The Relation of Fatigue to Industrial Accidents.* Univ. of Chicago Press.

(1913*a*) 1922 *Introduction to the Social Sciences.* 2d ed. Los Angeles: Univ. of Southern California Press.

(1913*b*) 1931 *Introduction to Sociology.* 5th ed. Los Angeles: Miller.

(1918) 1923 *Essentials of Social Psychology.* 4th ed. Los Angeles: Miller.

(1919) 1923 *Essentials of Americanization.* 3d ed., rev. Los Angeles: Miller.

(1922) 1928 *A History of Social Thought.* 2d ed. Los Angeles: Miller.

(1924) 1950 *Fundamentals of Social Psychology.* 4th ed. New York: Appleton. → Reprinted in 1976 by Arno.

1926*a* *The City Boy and His Problems: A Survey of Boy Life in Los Angeles.* Los Angeles: Ralston.

1926*b* *The New Social Research.* Los Angeles: Miller. → An account of the methods of social research used in the Pacific coast race relations survey beginning in 1923 and culminating in a tentative findings conference in 1925.

(1928) 1971 *Immigration and Race Attitudes.* New York: Ozer.

(1931) 1932 *Contemporary Sociology.* Los Angeles: Univ. of Southern California Press. → A companion volume to *History of Social Thought* (1922).

(1933) 1967 AMERICAN SOCIOLOGICAL ASSOCIATION *Social Problems and Social Processes: Selected Papers from the Proceedings of the American Sociological Society, 1932.* Edited by Emory S. Bogardus. Freeport, N.Y.: Books for Libraries Press.

1934*a* *Leaders and Leadership.* New York: Appleton.

(1934*b*) 1970 *The Mexican in the United States.* The American Immigration Collection, Ser. 11; University of Southern California, School of Research Studies, No. 5. New York: Arno.

(1934c) 1964 *Sociology.* 4th ed. New York: Macmillan. → "In preparing this book liberal use has been made of material in the five editions appearing under the title of *Introduction to Sociology*" (preface, 1934 edition).

1936 *Introduction to Social Research.* University of Southern California, School of Research Studies, No. 14. Los Angeles and New York: Suttonhouse.

(1938) 1940 *Southern California, A Center of Culture.* 2d ed., rev. & enl. Los Angeles: Univ. of Southern California Press.

(1940) 1960 *The Development of Social Thought.* 4th ed. New York: Longmans.

(1941) 1952 BOGARDUS, EMORY S.; and BRETHORST, ALICE B. *Sociology Applied to Nursing.* 3d ed. Philadelphia: Saunders.

1942 *Democracy by Discussion.* Washington: American Council on Public Affairs.

1942 BOGARDUS, EMORY S.; and LEWIS, R. H. *Social Life and Personality.* Morristown, N.J.: Silver Burdett.

(1943) 1948 *Dictionary of Cooperation: (Including Encyclopedic Materials)*. 3d ed. Chicago: Cooperative League of the U.S.A.

(1946) 1955 *History of Cooperation: For Discussion Circles*. 2d ed., rev. Chicago: Cooperative League of the U.S.A.

1951 *The Making of Public Opinion*. New York: Association Press.

(1952) 1963 *Principles of Cooperation*. 3d ed. Chicago: Cooperative League of the U.S.A.

1956 *The Traveler*. Los Angeles: Univ. of Southern California Press.

1959 *Social Distance*. Yellow Springs, Ohio: Antioch Press.

1960 *The Explorer*. Los Angeles: Univ. of Southern California Press.

1962 *Much Have I Learned*. Los Angeles: Univ. of Southern California Press.

1964 *Toward a World Community*. Los Angeles: Univ. of Southern California Press.

1967 *A Forty Year Racial Distance Study*. Los Angeles: Univ. of Southern California Press.

1969 *New Concepts for Sociology*. Los Angeles: Univ. of Southern California Press.

1970*a* *A History of Alpha Kappa Delta, Sociology Honor Society*. Los Angeles: Univ. of Southern California Press.

1970*b* *Personal Tributes to Friends*. Los Angeles: Univ. of Southern California Press.

1972 A *History of Sociology at the University of Southern California*. Los Angeles: Univ. of Southern California Press.

بوز، ن. ك

Bose, N.K

ينتمي نيرمال كومار بوز N.K Bose (1901-1972) إلى جيل المثقفين الهنود الذين وحّدوا مسعى أفكارهم مع المشاركة نشطة فى عملية التحول الوطني. ورغم اهتماماته الثقافية الواسعة، فإنه كان بعيدا عن تطورات العلوم الاجتماعية التى سادت المراكز الكبرى فى أوروبا وأمريكا الشمالية، ولم يكن إنجازه المنشور مدوّنًا فى الأعم بنفس أسلوبها.

كان بوز يعتبر نفسه عالما فى الأنثروبولوجيا الثقافية، وعرض إطاره النظرى فى مؤلفه (الأنثروبولوجيا الثقافية) *Cultural Anthropology* عام ١٩٢٩، وقام بحفائر فى مواقع العصر الحجرى القديم، ودرس الثقافة المادية لدى سكان القبائل الهندية الكبرى، وأنجز مسحا حول كلكتا كأكبر مدينة هندية؛ كما غطت كتاباته موضوعات أكاديمية أخرى، بما فى ذلك هندسة المعابد التى أكمل عنها عمل متميزا عام ١٩٣٢ . ولسنوات عديدة، أشرف بمفرده غالبا على تحرير أقدم صحيفة أنثروبولوجية فى الهند *(الإنسان فى الهند)* *Man in India*، ونشر فيها مقالاته بانتظام، وكان يكتب أحيانا ما يقرب من نصف مراجعاتها للكتب.

وقد افتتن بوز طيلة حياته بآراء المهاتما غاندى، وكان قد بدأ بنشر – بالفعل– وبشرح كتاباته حين لقيه عام ١٩٣٤ . ثم أضحى أكثر قربا منه، حين عمل سكرتيراً له، ولوقت قصير بين عامي ١٩٤٦–١٩٤٧، وتلك فترة حاسمة فى حياة غاندى وحياة أمته. ولهذا يبدو صعبا فهم آراء بوز حول المجتمع والثقافة، دون أن نأخذ فى الاعتبار تأثير غاندى عليه. ورغم أن بوز لم يكن متدينا، فإنه كان معجباً بسماحة غاندى وابتعاده عن الآراء القطعية، وخبرته الجذرية تجاه الحياة.

تميزت حياة بوز العلمية بالتنوع، فقد درس الجيولوجيا وحصل على بكالوريوس العلوم عام ١٩٢١، وماجستير الأنثروبولوجيا عام ١٩٢٥

من جامعة كلكتا، ودرّس لبعض الوقت في قسم الأنثروبولوجيا بها، ثم شغل منصب أستاذ مساعد في الجغرافيا البشرية حتى عام ١٩٥٩، وعمل كمدير للمسح الأنثروبولوجي للهند من عام ١٩٥٩حتى١٩٦٤، وفي الفترة ما بين ١٩٦٧-١٩٧٠، تولى موقع المفوض العام لشئون الطوائف والقبائل المسجلة رسميا، وجمع في وقت واحد بين عمله الأكاديمي والوظيفي، وبين المشاركة في الحركة الوطنية التي أدت إلى سجنه، وارتباطه بحركة غاندي قبل وبعد الاستقلال.

كان بوز يعتبر الأنثروبولوجيا علما ميدانيا، ويعتبر نفسه باحثا ميدانيا مثابراً، نظرا لنوع تدريبه من ناحية، وارتباطه بقسم الجغرافيا من ناحية ثانية، وبسبب من شخصية غاندي التي لم تكن الأفكار تعني لديه شيئا إذا لم تمحصها التجربة من ناحية أخرى. ورغم ذلك، فإن عمله الميداني لم يتبع أيا من تقاليد فرانز بواس أو بروني مالينوفسكي، وإنما كان متأثراً بمتطلباته كباحث مهتم بدراسة مجتمعه دراسة عامة شاملة وليست مكثفة. وعلى نحو متواصل، سافر إلى جهات كثيرة، زار خلالها التجمعات القبلية النائية، والقرى متعددة الطوائف، ومراكز الأماكن المقدسة، والأسواق الموسمية، والعديد من المدن الهندية، فقد كان لديه شيء من الروح القلقة التي تمتع بها جوالة العصور الوسطى، الذين كان يُكن لهم إعجابا شديدا.

وقد كتب بوز على نحو واسع باللغتين الإنجليزية والبنغالية، وإن أعْوزت نثره الإنجليزي حنكة العالم الاجتماعي المتمرس، فيما تبدت لغته البنغالية صافية، ونفاذة، وضليعة.

ورغم إدراكه بأن طلب العلم له منطقه الخاص، فقد كان واعيا بأن ثمار العلم ينبغي أن تكون متاحة على نحو واسع، وليست أسيرة حدود مهنية ضيقة. وكان في شبابه يعتبر العمل في تطوير المنظمات الأهلية مسألة جديرة بالفخر. ولهذا كان نادرا ما ينشر بالخارج، ولذا لم تجذب أعماله كثيرا من الانتباه في الوسط الدولي

للأنثروبولوجيين. أما داخل بلده، فقد تواصل، ليس فقط مع المجلات المتخصصة مثل *(الإنسان فى الهند)* ***Man in India***، ومجلة *(الهند الجغرافية)* ***Geographical Review of India***، و*(العلم والثقافة)* ***Science and Culture***، ولكن كذلك مع الدوريات الشعبية وشبه الشعبية التى كانت تصدر باللغة الإنجليزية واللغة البنغالية.

وتجد آراؤه عن المجتمع الهندى وثقافته خير تعبير فى كتابه المنشور باللغة البنغالية *(بناء المجتمع الهندى)* ***The Structure of Hindu Society*** عام ١٩٤٩، والذى نشر لأول مرة بشكل متسلسل فى المجلة الأدبية ***(Desh)***، ومزج فيه منظورات ومنهجيات الاثنوجرافيا مع علم الهنديات الكلاسيكى والتاريخ الاجتماعى. وفى الجزء الأول من هذا الكتاب، وصف مجتمعات القبلية فى الهند، وعلاقاتها بحضارتهم الأوسع، معتمدا فى ذلك على عمله الميدانى وإنجاز إثنوجرافيين آخرين، وبخاصة إس.سى. روى **S.C. Roy**.

وفى الجزء الثانى، أولى اهتمامه للجوانب النظرية والعملية للحياة الاجتماعية الهندية، كما وردت فى العديد من النصوص الكلاسيكية، وبدا صرح الحضارة الهندية كما انعكست فى هذه النصوص، مشابها لما اكتشفه خلال عمله الميدانى المنظم.

وطبقا لبوز، فإن الملمحين المميزين للحضارة الهندية، وهما: التعددية والتراتبية، يمثلان التسامح المتساوى لمختلف أنماط الحياة، والمكانة غير المتساوية لتلك الأنماط على نطاق واسع بدرجة مقبولة، وإن أشار إلى التوتر بين التراتبية (كما مثلها نظام الفارناس ***Varnas***) والمساواة (كما تبدت فى تتابع حركات الباختى ***Bhakti***) فى الحضارة الهندوكية، وكذلك التوتر القائم بين التكوينات الجماعية (كما يمثلها السنيازى ***Sannyasi***).

وجاء الجزء الأخير من الكتاب، بمثابة تمرين فى التاريخ الاجتماعى، حلل فيه طريقة تحول بناء المجتمع الهندوكى الصعبة، عبر آلاف السنين من الحكم الإسلامى. الذى سقط مع

الغـــزو الإمـــبـــريالى البـــريطانى والرأسمالى.

وكان لدى بوز اهتمـامـا خـاصـا بأربعين مليون نسمة من قبائل الهنود، وشملت كتاباته عنهم ثقافتـهم المادية، وتقـاليـدهـم الدينيــة، وتنظيــمــهـم الاجتماعى. وفى بحث مميز قدمه عام ١٩٤١ بعنوان *(المنهج الهندوكى فى الاندماج القبلى) Hindu Method of Tribal Absorption*. استخلص أن القبيلة والحضارة تعاصرتا فى الهند لآلاف من السنين، وذكر كيف أن المجـتـمـعـات القبلية قد تحولت بمجهودها إلى طوائف فى المجـتـمـع الأوسع. وهكذا عـرفت الحضارة الهندوكية كلا من الجاتى Jati (الطائفة) والجانا Jana (القبيلة)، حيث عاشت القبائل فى مناطق منعزلة نسبيا، بتكنولوجيا بسيطة وتقسيم عمل فطرى. وفى أحـيـان، وبسـبب من الضـغط السكانى، كـانوا يـهـجـرون عـزلتـهـم ويكونون عـلاقـات اقـتـصـادية منظمـة، كصناع سلال، وصناع حبال، أو كعمال زراعـيـين، مـع الهندوس الذين كـانوا ينتظمـون بالفعل على أسـاس طائفى. وحـينئـذ، أمكن لهـذه القـبـائل هجْـر لهـجـتـهـم، وتبنِّى لغـة الهندوس الذين عـاشـوا بينهم، ثم ظهروا بمرور الزمن على شكل طائفة أو طائفة فرعيـة من صناع الحـبـال، وصناع السـلال، أو العمـال الزراعيـين. وفى عـام ١٩٦٥ ، نشر بحـثا مـهـمـا حول كلكتا، بين فيه أنهـا ليـست مـدينة صناعـيـة ولا قـبل صناعية، بل نتاج عملية تاريخية فريدة.

وكـان بوز يخطط لدراسة تحليلية عن أسلوب غاندى (الساتياجراها) Satyagraha (الذى يمكن وصفه بشكل عام بالمقـاومـة السلمـيـة لإبراز قـوة الحق)، تعـتـمـد على اخـتـبـار تفـصـيلى ومنظم لسلسلة من الحالات التى جمع مـادتهـا خلال سنوات، لكنه مات بالسرطان فى ١٥ أكتوبر ١٩٧٢، قبل أن يستكمل هذا المشروع الطموح.

المؤلف: A. Beteille

المترجم: محمد حافظ دياب

WORKS BY BOSE

1927 Spring Festival of India. *Man in India* 7, no. 2–3:112–185.

(1929) 1961 *Cultural Anthropology*. Rev. ed. Bombay and New York: Asia Publishing House.

1932 *Canons of Orissan Architecture*. Calcutta: Chatterjee.

1941 Hindu Method of Tribal Absorption. *Science and Culture* 7:188–194.

1948 BOSE, N. K.; and SEN, DHARANI *Excavations at Mayurbhanj*. University of Calcutta, Anthropological Papers, New Series, No. 10.

(1949) 1975 *The Structure of Hindu Society*. Delhi: Orient Longman. → Translated from the Bengali by André Béteille, who also prepared the introduction and notes.

(1953) 1974 *My Days with Ghandi*. Bombay: Orient Longman.

1958 Organization of Services in the Temple of Lingaraj in Bhubaneswar. Asiatic Society, *Journal and Proceedings* 24, no. 2:1–45.

1965 Calcutta: A Premature Metropolis. *Scientific American* 213, no. 3:90–105.

1967 *Culture and Society in India*. Bombay and New York: Asia Publishing House.

1969 *Problems of Indian Nationalism*. Bombay and New York: Allied Publishers.

1971 *Lectures on Ghandism*. Ahmedabad (India): Navajivan Publishing.

بيرك، كنيث

Burke , Kenneth

وُلد كنيث بيرك عام ١٨٩٧، وكان له تأثير فى العديد من الميادين: النقد الأدبى، النظرية الأدبية، علم العلامات، البلاغة، وكذلك فى مجال علم النفس التطبيقى، وعلم الاجتماع، الأنثربولوجيا، الفلسفة والدين. ولقد كان تأثيره الواسع يتم دائمًا بطريقة غير رسمية وغير مباشرة. وبالرغم من أنه دَرَّس وعَلّم فى العديد من الكليات والجامعات فى الولايات المتحدة الأمريكية، فإنه ظل إلى حد ما على هامش العالم الأكاديمى. فلم يُشكل مدرسة واضحة الأتباع فى أى من فروع العلم التى عمل فيها، بالرغم من أن له تأثيرًا واضحًا فى العديد من الكتّاب والمدرسين المهمين. ولقد اعترف به كواحد من أهم المجددين الأمريكيين فى القرن العشرين فى مجال النظريات الأدبية والاجتماعية.

وبالرغم من أن أعمال بيرك غالبًا ما يُنظر إليها على أنها أمريكية فى خصائصها نظرًا لبساطتها وانتقائيتها وتنوعها تبعًا لتراث إميرسون Emerson وتشارلس س. بيرس Charles S. Peirce، ووليم جيمس William James، فإنها كانت لها فى الحقيقة بؤرة محورية ثابتة، وكانت عبارة عن خط تطور متسق باطراد منذ البداية ومنظومة ثابتة من "المصادر" الحاسمة. وهذه المصادر تضم، أرسطو Aristotle، وكولريدج Coleridge، وبنثام Bent-ham، وماركس Marx، وفرويد Freud وعلى قدم المساواة مع هذه المصادر يأتى التراث الأمريكى للبرجماتية والسلوكية. وتتميز كل أعمال بيرك بنوع من المرونة المشاكسة أو المازحة، والرغبة فى رؤية الأشياء بطريقة مختلفة، وقلب الرأى المعتقد فيه أو الافتراضات النظامية. ولقد كان تركيزه ينصب دائمًا على "الإنسان كحيوان ينفرد باستخدام الرموز"، وكان معنى هذا التركيز الاهتمام المبدئى باللغة أو الرموز بشكل عام، وعلاقتها بحركة

الجسم غير الرمزية، من ناحية، ومجال الدوافع الاجتماعية المتعددة من الناحية الأخرى. وكان مركز أبحاث بيرك دائمًا هو اللغة كشكل من "الفعل الرمزي". فاللغة، بالنسبة له، مخصصة دائمًا لفعل شيء ما، أو لتعمل كاستراتيجية "لموقف شمولي". فالنص، كما يذهب بيرك، سواء أكان قصيدة، أم مقالاً فلسفيًا، أم خطابًا تنفيذيًا من مؤسسة لحاملي الأسهم، ليس إلا "انفعالاً نحو اتجاه". ولقد ظل منحنى التطور عند بيرك محصوراً دائمًا في هذا المجال الوحيد، منتقلاً للأمام أو الخلف بين تحليل التنوع الهائل للنصوص الأدبية والاجتماعية والفلسفية، من جانب، والتصنيف الواسع للصيغ النظرية من جانب آخر.

• لقد ولد كنيث بيرك في بتسبرج Pittsburgh وأمضى سنوات حياته الأولى في إحدى ضواحي الطبقة الدنيا هناك. والمفارقة في بتسبرج بين الدخان الكثيف للقوة الصناعية، والتهديد الجمالي/الطبيعي، أعطت بيرك هنا نبوءة فيما بعد لمشاكل الإيكولوجيا. ولقد شكلت سنوات حياته الأولى أيضًا تشككه نحو التكنولوجيا. ولقد درس بيرك في جامعة أوهايو فصلاً دراسيًا عام ١٩١٦، بعد أن أمضى فترة قصيرة في جامعة كولومبيا، ولقد تخلى بيرك عن هذا المجال الأكاديمي الواعد، ليكرس نفسه للكتابة. ولقد انتقل في عام ١٩١٨ من قرية جرينتش في نيويورك، حيث بدأ اتصالاً طويلاً مستمراً مع الكُتاب الطليعيين من أمثال هارت كرين Hart Crane، ووليام كارلوس وليامز William Carlos Williams. وفي عام ١٩٢٢ اشترى بيرك مزرعة قريبة من أنوفر في نيوجيرسي، حيث جعلها مقره الدائم. ولقد عمل بيرك ككاتب ومحرر لبعض المجلات الأدبية المهمة في ذلك الوقت مثل *Dial* و*Secession* و*Broom*. وفي أثناء تلك الفترة نشر قصة قصيرة ورواية، مع البروز المبكر والمهم لاتجاهه النقدي.

ولقد نُشرت أول مجموعة من المقالات النقدية لبيرك عام ١٩٣١ . ولقد

عمل على إبراز متضمنات ذلك العمل الأول فى كتبه العديدة ومقالاته التالية. وكان عمله كمحاضر فى النقد فى المدرسة الجديدة للبحث الاجتماعى عام ١٩٣٧ هو البداية لعمله كمحاضر جامعى. وفى الفترة من عام ١٩٤٣ حتى عام ١٩٦١، مع بعض الانقطاعات، عمل أستاذًا للنقد فى كلية بيننجتون Bennington فى فيرمونت Vermont. ولقد اشتغل بالتعليم أو كزميل باحث فى العديد من الجامعات والكليات ومن بينها جامعات شيكاغو وهارفرد، ووسيليان، وبرنستون، وكاليفورنيا، (سانت باربرا، وايرفين)، وفى بتسبرج، وفى مركز الدراسة المتقدمة فى العلوم السلوكية، وفى معهد بتسبرج للدراسات المتقدمة. ولقد حصل على عدد من المنح والجوائز والأوسمة نظير تفوقه وتميزه فى الدراسات الإنسانية والاجتماعية.

ولقد قدم بيرك بنفسه مسحًا مفيدًا لتطور فكره فى "النقد المنهجى Curriculum Criticism" الذى أعده فى عام ١٩٥٣ وأعيدت طباعته فى كتاب **القضية المضادة** *Counter-Statement* ثم أضيف إليه المزيد فى الطبعة الشعبية التى صدرت عام ١٩٦٨ ورغم ما يبدو من أن كتاب **القضية المضادة** *Counter Statement* مختلف عن كتبه المتأخرة فى اتجاهه الجمالى وتركيزه على كُتّاب دعاة "الفن من أجل الفن" من أمثال: فلوبير Flaubert وباتر Pater وجيد Gide وريمى دو جورمون Remy de Gourmont، فإن هذا الكتاب الأول يعكس خصائص بيرك فى انبثاقه حسب ما يقول من دعوى أن الفعل الدرامى أو الرمزى يشكل الأساس لكل ألوان الأدب؛ وذلك باهتمامه بالكشف عن الدوافع التى قد تكون كامنة تحت السطح البيانى والجمالى لأى عمل؛ وانتقاله من تفسير الأعمال المحددة إلى التعميمات الشكلية والبلاغية والمنهجية. والمثال على ذلك هو المعجم البلاغى *Lexicon Rhetoricae* قرب نهاية كتاب ***(القضية المضادة)*** *Counter Statement*.

ويعد كتاب بيرك التالى **الاستمرار والتغير: تحليل للهدف** (١٩٣٥) ***Permanence and Change: An Analysis of Purpose*** تحولاً "من التأكيد الفردى للمرحلة الجمالية المبكرة" إلى "الجوانب الجمعية والاجتماعية والتوافقية للمعنى": "الاتصال، التفسير، التوجه، التكامل، التعاون، الترجمة، الإيضاح". وهنا يُدخِل بيرك إلى الكتاب واحدة من أهم استراتيجياته المنجزة، والتى أطلق عليها "الرؤية من خلال التعارض" وهذا أسلوب نيتشه فى النظر إلى أى عملية أو علاقة من خلال عدسة المصطلح غير المألوف أو المجاز. والرؤية من خلال التعارض هو تصنيف لغوى رشيق، وهو القدرة على التحول من أحد الرموز إلى الآخر، وهو ترجمة المصطلحات من مصطلح لآخر، وهو دائماً ما يميز طريقة بيرك مع الكلمات. ولقد كان التركيز فى كتابه الاستمرار والتغير على النظم الاجتماعية والعموميات، والاتصال فى الإنسان كحيوان يستخدم الرموز، بينما جاء كتابه التالى "اتجاهات نحو التاريخ" (١٩٣٧) ***Attitudes Toward History*** محاولاً فيه "تمييز الأساليب والأنماط الخاصة بالمؤسسات الإنسانية الواقعية والمثالية". ويحلل هذا الكتاب الطريقة التى قد تكون لها أهداف مثالية، والتى تؤدى إلى نتائج مثالية عندما تتجسد فى الأنظمة أو الأنشطة الإنسانية العملية. ويطلق بيرك على هذا "بيروقراطية التخيل".

هذان الكتابان السوسيولوجيان أعقبهما كتاب يعد من أهم كتابات بيرك فى الدراسة الأدبية وهو: ***فلسفة الشكل الأدبى: دراسات فى الفعل الرمزى*** (١٩٤١) ***Philosophy of Literary Form: Studies in Symbolic Action.*** وهو مجموعة من المقالات والآراء التى توضح دعوى بيرك بأن الأنماط السطحية لأى نص سوف يكشف عن طريق ترجمة مصطلحاتها، عن وجود قضايا الفعل الرمزى كامنة خلف

الحواس. وقد طوّر الخلفية النظرية لهذه المقالات العملية فى التفسير فى كتابين تاليين هما: *قواعد الدوافع* (١٩٤٥) *Grammar of Motives*، و*بلاغة الدوافع* (١٩٥٠) *Rhetoric of Motives.* وكان عليه أن يكمل هذين المؤلفين بكتاب عن "رمزية الدوافع" *A Symbolic of Motives* والذى لم يكتب له النشر رغم أن مخطط هذا العمل كان واضحًا بدرجة كبيرة من كتبه ومقالاته الأخيرة مثل المجلد الضخم لمقالاته التى نشرت فى المجلات مثل: ***اللغة كفعل رمزى: مقالات فى الحياة، والأدب، والمنهج*** (١٩٦٦). ولقد عالج فى كتاب القواعد خمسة مصطلحات درامية رئيسية وهى: الفعل، المشهد، الفاعل، الوسيلة، الهدف. وهذه المصطلحات الخمسة جاءت على افتراض أن أى حكم كامل عن الدوافع سوف يعطى نوعًا ما من الإجابات على هذه الأسئلة الخمسة: ماذا حدث؟ (الفعل)، ومتى وأين تم؟ (المشهد)، ومن الذى قام بالفعل؟ (الفاعل)، وكيف قام بهذا الفعل؟ (الوسيلة)، ولماذا قام بهذا الفعل؟ (الهدف). وكتاب ***بلاغة الدوافع***، يعطى الكثير من الأمثلة، وينتقل من المجال الاجتماعى للإقناع، إلا أنه يعطى الآن اهتمامًا خاصًا بالعلاقات الهرمية والتدرجية بين الأعلى والأدنى ومن فوق إلى تحت وفى أى بيروقراطية أو نظام اجتماعى أو نظام عام.

وأحد تجليات **بيرك** الأساسية كانت دائمًا فى الطريق الذى يأخذ به أى نظام لغوى أو من العلامات الأخرى، حتى أكثرها علمانية، شكلاً بنائيًا كالشكل الذى اتخذه نسق المصطلحات الدينية أو الميتافيزيقية الذى ينفرد بمصطلحاته الخاصة عن الله ومثيلاتها عن السماء والنار، وغيرها. ويغلب كتاب ***بلاغة الدين: دراسات فى علم المصطلح الدينى*** (١٩٦١) *The Rhetoric of Religion: Studies in Logology* هذا المنظور. فهو يحاول بهذا الكتاب أن يظهر من خلال تفسيرات "الفعل اللفظى فى اعترافات القديس أوغسطين"،

والفصول الثلاثة الأولى لسفر التكوين وأن الكلمات عن الله (اللاهوت). يمكن أن تستخدم لتحقيق غاية إمبريقية خالصة، وذلك بفضل الضوء الذى تلقيه على "الكلمات عن الكلمات" (علم المصطلحات اللاهوتية).

وستظل أعمال بيرك متميزة فى قطاع عريض من التخصصات التى أثر فيها. فهو نموذج قوى فى الأمثلة التى قدمها فى كيفية التعامل مع النصوص بطريقته الرائعة والجسارة، وهى تفسيراته الجريئة الحيوية وفى الوضوح الذى غالبًا ما يكتمل فى بناء الأنساق. ولقد كان دائمًا مخلصًا لمبادئه المستمدة من الإحساس بالجمال الدائم فى أى نسق رمزى، وفى الادعاء بأن أى قطعة من اللغة - على سبيل المثال - أى مقال عن قصيدة معينة أو مقال فلسفى - يجب أن يكون لها هدف خاص. وتمثل أعمال بيرك دائمًا استراتيجية لموقف شامل. ولقد حمل العمل الذى قدمه فى الثلاثينيات (من القرن العشرين) نبوءة مدهشة للتطورات التى حدثت فى الإنسانيات والعلوم الاجتماعية فى الستينيات والسبعينيات (من القرن العشرين) البنائية الباريسية Parisian Structuralism على سبيل المثال، أو التحول النموذجى الذى بدأ فى اللغويات، وعلم النفس، واتجاهات فيتجنشتاين Wittgenstein فى الفلسفة. هذا التحول من الثابت أو الوصفى إلى النظرة الأدائيه للغة. لقد كانت وجهة نظر بيرك للغة دائمًا أدائية. وبالرغم من ذلك، فإنه ظل مخلصًا للنزعة السلوكية لرؤيته بأن حركة الأجسام غير الرمزية تكمن حتى فى أكثر الأنساق الرمزية وضوحًا، وتكون متناسقة بنجاح معها. وهذا يعنى، الاعتقاد بأن هناك دائمًا جانبًا مرجعيًا جديرًا بالثقة للكلمات، وذلك مع مشاركتهم فى العمليات الناجحة للفعل الرمزى، والذى يتسامى بالجسد والذى يستطيع أن يتوافق مع الحركة الكلية. وكما وضع بيرك هذا المعنى بطريقة سهلة ومبسطة لتطور

فكره فى السبعينيات (من القرن العشرين): "ففى كل لهجة لأى قبيلة، مهما كانت بدائية، توجد قاعدة كلية ثابتة للتماثل بين الشىء ومسماه؛ وهى أن الاثنين لن يلتقيا أبداً". (١٩٧٨) وبالنسبة لبيرك فإن عبارة "أن الاثنين لن يلتقيا أبدا" تعنى العلاقة المحورية التى لا يمكن حلها بين الرمزية واللارمزية فى مجال الحركة. (المرجع السابق). وبالرغم من ثبات فكر بيرك منذ البداية، فإن حركة عدم الرضى والانتقال من محور لآخر قد أثمرت سلسلة مقالاته وكتبه الخصبة. وبالرغم من غزارة فكره فإن رؤيته لتعارض هذين المحورين، جعلت أعماله معتمة لدرجة ما، بل ومأساوية، وهو ما يتفق تماماً مع شخص كان توجهه دائماً توجهاً دراميا.

المؤلف: Hillis Miller
المترجم: د. محمد أحمد بيومى

WORKS BY BURKE

(1924) 1968 *The Complete White Oxen: Collected Short Fiction.* Augmented ed. Berkeley: Univ. of California Press. → First published as *The White Oxen and Other Stories.*

(1931) 1953 *Counter-statement.* Los Altos, Calif.: Hermes. → A paperback edition was published by the University of California Press in 1968.

(1932) 1966 *Towards a Better Life, Being a Series of Epistles, or Declamations.* Berkeley: Univ. of California Press.

(1935) 1954 *Permanence and Change: An Anatomy of Purpose.* Los Altos, Calif.: Hermes. → A paperback edition was published by Bobbs-Merrill in 1965.

(1937) 1959 *Attitudes Toward History.* Los Altos, Calif.: Hermes. → A paperback edition was published by Beacon Press in 1961.

1941 *Philosophy of Literary Form: Studies in Symbolic Action.* Baton Rouge: Louisiana State Univ. Press. → A paperback edition was published by the University of California Press in 1974.

1945 *A Grammar of Motives.* New York: Prentice-Hall. → A paperback edition was published by the University of California Press in 1969.

1950 *A Rhetoric of Motives.* New York: Prentice-Hall. → A paperback edition was published by the University of California Press in 1970.

1955 *Book of Moments: Poems, 1915–1954.* Los Altos, Calif.: Hermes.

1961 *The Rhetoric of Religion: Studies in Logology.* Boston: Beacon. → A paperback edition was published by the University of California Press in 1970.

1966 *Language as Symbolic Action: Essays on Life, Literature, and Method.* Berkeley: Univ. of California Press. → A paperback edition was published in 1968.

1968*a* *Collected Poems, 1915–1967*. Berkeley: Univ. of California Press.
1968*b* Interaction: III. Dramatism. Volume 7, pages 445–452 in *International Encyclopedia of the Social Sciences*. Edited by David L. Sills. New York: Macmillan and Free Press.
1972 *Dramatism and Development*. Barre, Mass.: Clark Univ. Press.
1978 (Nonsymbolic) Motion/(Symbolic) Action. *Critical Inquiry* 4:809–838.

SUPPLEMENTARY BIBLIOGRAPHY

Brown, Merle Elliott 1969 *Kenneth Burke*. Minneapolis: Univ. of Minnesota Press.
Frank, Armin Paul 1969 *Kenneth Burke*. New York: Twayne.
Rueckert, William H. 1963 *Kenneth Burke and the Drama of Human Relations*. Minneapolis: Univ. of Minnesota Press.
Rueckert, William H. (editor) 1969 *Critical Responses to Kenneth Burke, 1924–1966*. Minneapolis: Univ. of Minnesota Press.

توماس ، دوروثى إس

THOMASM, DOROTHY S.

ولدت دوروثى سوين توماس فى بالتيمور بميريلاند فى عام ١٨٩٩ ، وتوفيت فى عام ١٩٧٧ . وقد دربت كمتخصصة فى الاقتصاد ، وأصبحت من أوائل المتخصصين فى علم السكان وفى علم الاجتماع ، ورائدة فى تنمية الإحصاء الاجتماعى . بيد أن عملها لا يمكن أن يصنف تحت أى من هذه التخصصات ؛ لأنه كان دائما عملا بينيا يربط بين مواد من ميادين مختلفة .

كانت طفولتها طفولة صعبة ، فهى ابنة وحيدة لأب يتصف بقصر النظر ، وعاشت فى معظم الأحيان منفصلة عن أمها . كانت دائما طالبة جيدة ، وقد فازت بمنحة لكلية بارنارد Barnard College، وبدأت دراستها بها فى عام ١٩١٩ .

وفى بارنارد ، واصلت اهتمامها بالإنسانيات ، ولكنها كانت تنجذب – بشكل متزايد – إلى حركات الإصلاح الاجتماعى ، وأصبحت معروفة "كراديكالية شابة" "young radical" . وقد قادتها هذه الاهتمامات نحو العلوم الاجتماعية ، فتقدمت للالتحاق بالقسم المشترك لعلم الاجتماع وعلم الاقتصاد ، الذى تولى رئاسته فيما بعد وليام ف . أوجبرن William F. Ogburn. وقد نشرت – وهى طالبة – ورقتين مع أوجبرن ، وهما : "هل الاختراعات حتمية ؟ "Are Inventions Inevitable?" (1922a)، و"تأثير دورة العمل على بعض الظروف الاجتماعية "The Influence of the Business Cycle on Certain Social Conditions"(1922b) وهكذا، أعدت مسبقا ، وهى طالبة ، المسرح لعقود من العمل المميز . وقد أدى تعاونها الناجح مع أوجبرن إلى قبولها للقيام بدراسات مشتركة مع سلسلة من العلماء البارزين فى ميادين عديدة .

وبتخرجها من بارنارد فى عام ١٩٢٢ ، انتقلت إلى بريطانيا العظمى

الحصول على بيانات أفضل لبحث العلاقة بين التقلبات الاقتصادية والأحداث الاجتماعية . وفى مدرسة لندن لعلم الاقتصاد London School of Economics (L.S.E) ، درست مع الإحصائى أرثر ل . باولى Arthur L. Bowley، ومع وليام بفيريدج William Beveridgeمدير الـ (L.S.E). وفى عام ١٩٢٤ وبجانب حصولها على الدكتوراه ، منحت وسام هتشنسون للبحوث Hutchinson research medal، ونشرت رسالتها بعنوان " الجوانب الاجتماعية لـدورة العمل" (١٩٢٥) Social Aspects of the Business Cycle. وباستخدامها بيانات من الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا ، اكتشفت علاقات الميلاد والوفاة والزواج والطلاق بمعدلات الجريمة ، وكذلك علاقة الفقر المدقع والهجرة بدورة العمل . وهكذا ، استطاعت فى سن الرابعة والعشرين أن تثبت ذاتها كقائدة فى مجال مهم للبحث.

ورغم ذلك ، فقد وجدت أنه من الصعب عليها كامرأة الحصول على وظيفة ملائمة فى جامعة ذات مستوى جيد . وبدلا من أن تستقر فى كلية للنساء للحصول على وظيفة الأستاذية ، أصبحت إحصائية اقتصادية لبنك الاحتياط الفيدرالى Federal Reserve Bank، وظلت تعمل به إلى أن حصلت على منحة لما بعد الدكتوراه فى عام ١٩٢٥ من مجلس بحوث العلم الاجتماعى Social Science Research Council. وعندما عزمت على دراسة العلاقات بين الدورات الاقتصادية والإدانات بارتكاب جرائم convictions فى ولاية نيويورك ، وجدت أن البيانات اللازمة لذلك غير متاحة . ولم يستطع ويليام آى . توماس William I. Thomas – عالم الاجتماع المعروف – الذى لجأت إليه من أجل النصيحة ، أن يساعدها فيما يتعلق بهذا المشروع ، ولكنه عرض عليها العمل فى دراسة عن تنمية الطفل ، والتى كان قد بدأها تحت رعاية روكفلر Rockefeller وهكذا بدأ بينهما ارتباط استمر حتى وفاة توماس فى عام ١٩٤٧ ، وكانا قد تزوجا فى عام ١٩٣٨ .

لقد كان لهما شخصيتان وأسلوبان للعمل متكاملان أكثر منهما متماثلين . كانت دوروثى توماس سريعة ومندفعة ، بينما كان زوجها هادئا ومتأنيا ، ويجد متعة بالغة فى تحليل الوثائق ، ويستمتع بالتفكير ، ويميل إلى النظرية ، بينما كانت هى متشككة دائما إزاء التنظير الذى لا يستند إلى الواقع armchair theorizing، تبحث دائما ببرهان إحصائى ، وتعارض التعميم . وقد كتبا معا "الطفل فى أمريكا : مشكلات السلوك والبرامج " *The Child in America: Behavior Problems and Programs (1928)*، حيث تولت هى إعداد المواد الإحصائية ، بينما اتبع هو المدخل الموقفى Situational Approach الذى اشتهر به . وكان هذا هو العمل الوحيد الذى اشتركا فى تأليفه ، وقد استمر توماس فى ممارسة تأثير قوى على أعمالها فى اختيار الموضوعات من ناحية ، وفى توسيع مدخلها ليشمل مواداً غير قابلة للتكميم من ناحية أخرى.

وفى عام ١٩٢٧، قبلت دوروثى توماس منصبا فى كلية كولومبيا للمعلمين Colombia,s Teachers College، حيث أشرفت على دراسات عن السلوك الخاص بأطفال مدرسة الحضانة ، وهو مشروع واصلت العمل فيه بمعهد العلاقات الإنسانية بجامعة بيل ، والذى انتقلت إليه فى عام ١٩٣١ . وفى حين كانت التكنيكات والمدخل التى قامت هى وزملاؤها بتنميتها لها تأثيراتها على تطور الدراسات الخاصة بالجماعة الصغيرة ، والدراسات التى تعتمد على الملاحظة ، فإنها كانت تشعر دائما بأن المشروع كان محاولة "لتكميم مالا يقبل التكميم" . ولم تعط قيمة كبيرة للكتابين والمقالات التى انبثقت عن هذه الدراسات ، ورحبت بالفرصة للعودة إلى دراسة العلاقات الاقتصادية والاجتماعية .

ومن عام ١٩٣٠ إلى عام ١٩٣٦ ، عمل التومسيان (دوروثى توماس ووليام توماس) مع جانر ميردال وألفا ميردال Gunner and Alva Myrdal فى دراسة

عن الشعب السويدى ، والتى كان المفروض أن تجرى على غرار الفلاح البولندى فى أوروبا وأمريكا . *The Polish Peasant in Europe and America, (W.I. Thomas and Znaniecki 1918-1920)* ولكن مع استخدام – أيضا – البيانات الإحصائية والاقتصادية . ورغم أن التوماسين كانا يمضيان جزءا من كل سنة فى جمع المادة والإشراف على هيئة البحث ، فإن الدراسة كما تصوراها لم تتحقق أبدا ، فقد جذبت السياسة جانر ميردال وألفا ميردال ، بينما استغرق و . آى . توماس فى دراسة وثائق السلوك السويدى . وبذلك تبنت دوروثى توماس الدراسة التى كان جانر ميردال قد بدأها عن حركات السكان والتصنيع فى السويد ، ووسعت من سياقها التاريخى . وبتوافر البيانات المتاحة منذ عام ١٧٥٠ استطاعت أن تربط الحركات الديموجرافية بدورات المحصول فى السنوات المبكرة ، وبدورات العمل من أواخر القرن التاسع عشر وما بعده (١٩٤١) .

وبالتزامن مع عملها فى السويد ، كان مسحها عن حالة المعرفة عن الهجرة فى "مذكرة بحث عن تباينات الهجرة" **Memorandum on Migration Differcn-tials (1938).** وقد أدرك الدارسون **Scholars** على الفور قيمة كلا العملين .

وفى عام ١٩٤٠ ، أصبحت دوروثى توماس أستاذا ثابتا فى جامعة كاليفورنيا ببركلى – وهو طموح كان يراودها طيلة حياتها– ولأول مرة أصبح لديها طلاب تدرس لهم . وقد بدأت برنامجا تدريبيا للبحوث ، أثمر – خلال السنة الأولى – منشورات مشتركة مع الطلاب . ومع الهجوم على بيرل هاربر ، وما تلاه من اعتقال اليابانيين المقيمين فى الساحل الغربى ، بدأت سلسلة من الدراسات التى تكوّن السجل الرئيسى لهذا الجزء من التاريخ الأمريكى . واستطاعت – بعملها مع الطلاب والمعتقلين – أن تجمع ، يوما بيوم ، عددا كبيرا من السجلات عن الحياة فى المعسكرات ، بجانب تواريخ حياة المعتقلين . وهى

تذكر فضل و. آى. توماس ؛ فى أنه كان الموجه فى جمع وتفسير الوثائق الخاصة بالسلوك ، وأنه حماها من التكميم المبتسر . وقد نشر فى عام ١٩٤٦ أول مجلد من هذه الدراسة بالاشتراك مع ريتشارد س . نيشيموتو Richard S. Nishimoto، بعنوان "اليابانى – الأمريكى الإخلاء وإعادة التوطين : الخسائر" *Japanese- American, Evacuation and Reseltlement: The Spoilage*

وقبل أن يتم الانتهاء من المجلد الثانى بعنوان *"اليابانى – الأمريكى ، الإخلاء وإعادة التوطين : التعويض"* *Japanese -American, Evacuation and Resettlement: The Salvage. (Thomas, Kikuchi, & Sakoda1952)* توفى و . آى . توماس ، وفى عام ١٩٤٨ أصبحت دوروثى توماس عضوا بكلية علم الاجتماع بجامعة بنسلفانيا . ورغم أنها كانت ساخطة على المعاملة التى لقيها اليابانيون ، فإن كلا من كتابىّ الخسائر The Spoilage والتعويض The Salavage كانا يقدمان تقارير محاسبة accounts متحفظة عن مأساة إنسانية كبرى ، وعن مجهودات أناس مرفوضين لكى يعيدوا إثبات ذواتهم كأمريكيين وطنيين . وكان هذان الكتابان مدعمين بالوثائق بدقة بالغة ، وكان السجل الإحصائى كاملا على قدر المستطاع . وللمرة الثانية ، أنجزت دراسة نموذجية ، ولكنها تجاوزت ما هو قابل للتكميم . لقد أوصلتها علاقتها بتوماس إلى عمل أضخم وأكثر استبصارا مما كان يمكن أن تقوم به بشكل مختلف . وكان قبول هذين الكتابين من المحكمة العليا للولايات المتحدة ، كدليل على الأخطاء التى ارتكبت فى حق اليابانيين ، أكبر وسام بالنسبة لها .

وفى جامعة بنسلفانيا ، قامت مع سايمون كزنتس Simon Kuznets بسلسلة من الدراسات عن إعادة توزيع السكان والنمو الاقتصادى والتى شغلتها لبقية مسيرتها العلمية . وقد أشرفت مع كزنتس على جمع بيانات

ضخمة من التعدادات القديمة ، ومن مصادر إحصائية أخرى تعتبر أساسية بالنسبة للتاريخ الاقتصادى والديموجرافى للولايات المتحدة . وبمجرد جمعها أتيحت البيانات للدارسين ، ومن ثم أصبحت الأساس للعديد من الدراسات التالية . فقد نشرت هى وكزنتس مع مجموعة موهوبة من الدارسين الأصغر سنا ثلاثة مجلدات : إعادة توزيع السكان والنمو الاقتصادى : الولايات المتحدة ، ١٨٧٠-١٩٥٠، ١٩٥٧-١٩٦٤ *Population Redistribution and Economic Growth*، كما أشرفت على البحث لإصدار عدد من المقالات والتقارير ومجموعات البيانات . وعندما تقاعدت من جامعة بنسلفانيا فى عام ١٩٧٠ ، كان قد تم جمع البيانات الأساسية لتاريخ اقتصادى ديموجرافى للولايات المتحدة الأمريكية منذ الحرب الأهلية ، وبيان تطورها الأساسى . وقد أدركت دوروثى توماس أن التحليلات الاقتصادية والاجتماعية لم تتكامل تماما ، فعكفت على إعداد مجلد رابع ومتكامل لهذه السلسلة ، إلى أن توقف بحثها بسبب إصابتها بسكتة دماغية Stroke فى صيف عام ١٩٧٤ .

وبعد تقاعدها من جامعة بنسلفانيا ، أصبحت محاضرا فى مرتبة الأستاذية professorial Lecturer بجامعة جورج تاون Georgetown University وهناك ، كما فى بركلى وبنسلفانيا ، جذبت إليها أفضل الطلاب. ومع عدم ميلها للتدريس اهتمت كثيرا بالبحث ، وكانت تدرس إما بالتعليمات by precept، أو بطريقة التعليم العملى . apprentice method وكانت عطوفة على الطلبة، بل وحامية لهم ، ولكنها كانت تتطلب لتحقيق الأفضل أعلى المستويات ، وتخضعهم لنقد قاس .

وكانت عاداتها الخاصة بالعمل تتصف بعدم الانتظام ، فكانت تعمل على نحو متقطع ، وعلى فترات متعاقبة من التوقف والنشاط الشديد . وكانت تراجع بدقة ، ولأكثر من مرة كل التقديرات calculation. وكل البيانات

التقريرية Statement وكانت تعبيراتها في الكتابة قصيرة ورشيقة ، وعندما يكون مزاجها معتدلا ، كان يمكنها كتابة صفحات عديدة في ساعات قليلة . ولكنها قادرة على التأجيل والتسويف ، وتأسف دائما على الأشياء الكثيرة التي بدأتها ولم تنهها .

وكانت لها قدرة هائلة على إدراك وتبين المشكلات المهمة ، ثم العثور على المواد المتعلقة بها ، والتي لم يلتفت إليها ، وتنظيم تلك المواد . وكانت التحليلات التالية لذلك مباشرة وبسيطة . ولكن في نفس الوقت ، فإن أهم أوجه القصور في عملها كانت تنشأ من عدم رغبتها في التعميم والتأمل فيما وراء البيانات . ورغم ذلك فإن عملها ظل أساسيا للمزيد من الدراسات وفقا للخطوط التي كان لها السبق في وضعها .

المؤلف : Everett Lee

المترجم : ناهد صالح

1922*a* THOMAS, DOROTHY S.; and OGBURN, WILLIAM F. Are Inventions Inevitable? A Note on Social Evolution. *Political Science Quarterly* 37:83–98.

1922*b* THOMAS, DOROTHY S.; and OGBURN, WILLIAM F. The Influence of the Business Cycle on Certain Social Conditions. *Journal of the American Statistical Association* 18:324–340.

(1925) 1927 *Social Aspects of the Business Cycle.* New York: Knopf.

1926 An Index of British Business Cycles. *Journal of the American Statistical Association* 21:60–63.

1928 THOMAS, W. I.; and THOMAS, DOROTHY S. *The Child in America: Behavior Problems and Programs.* New York: Knopf.

1929 Statistics in Social Research. *American Journal of Sociology* 35:1–17.

1930 THOMAS, DOROTHY S.; CLARK, WILLIAM; and DOUGLAS, W. O. The Business Failures Project: A Problem in Methodology. *Yale Law Journal* 39:1013–1024.

1930 THOMAS, DOROTHY S.; and DOUGLAS, W. O. The Business Failures Project, II: An Analysis of Methods of Investigation. *Yale Law Journal* 40:1034–1054.

1933 THOMAS, DOROTHY S.; LOOMIS, A. M.; and ARRINGTON, R. E. *Observational Studies of Social Behavior.* New Haven: Yale University, Institute of Human Relations.

1935 Economic and Social Aspects of Internal Migrations: An Exploratory Study of Selected Swedish Communities. Pages 447–476 in *Economic Essays in Honor of Wesley Clair Mitchell.* New York: Columbia Univ. Press.

1936*a* Internal Migrations in Sweden: A Note on Their Extensiveness as Compared With Net Migration Gain or Loss. *American Journal of Sociology* 42:345–355.

1936*b* The Swedish Census of 1935–6. *Journal of the American Statistical Association* 31:541–544.

1937*a* The Analysis of Internal Migration in the Swedish Census of 1930. *Journal of the American Statistical Association* 32:124–130.

1937*b* Streams of Internal Migration: A Further Exploration With Swedish Data. *Rural Sociology* 2:148–166.

1938 *Research Memorandum on Migration Differentials*. Social Science Research Council, Bulletin 43. New York: The Council.

1941 *Social and Economic Aspects of Swedish Population Movements: 1750–1933*. New York: Macmillan.

(1946) 1973 THOMAS, DOROTHY S.; and NISHIMOTO, RICHARD S. *Japanese-American Evacuation and Resettlement: The Spoilage*. Berkeley: Univ. of California Press. → A paperback edition was published in 1969.

(1952) 1975 THOMAS, DOROTHY S.; KIKUCHI, CHARLES; and SAKODA, JAMES *Japanese-Amercan Evacuation and Resettlement: The Salvage*. Berkeley: Univ. of California Press.

1957–1964 KUZNETS, SIMON; and THOMAS, DOROTHY S. (editors) *Population Redistribution and Economic Growth: United States, 1870–1950*. 3 vols. Philadelphia: American Philosophical Society. → Volumes 45, 51, and 61 of the *Memoirs* of the American Philosophical Society.

1958 International Migration. Pages 137–161 in Philip Hauser (editor), *Population and World Politics*. Glencoe, Ill.: Free Press.

1963 THOMAS, DOROTHY S.; LAZARUS, JUDITH; and LOCKE, BEN Z. Migration Differentials in Mental Disease: State Patterns in First Admissions to Mental Hospitals for All Disorders and for Schizophrenia, New York, Ohio, and California, as of 1950. *Milbank Memorial Fund Quarterly* 41:25–42.

1963 THOMAS, DOROTHY S.; and LOCKE, BEN Z. Marital Status, Education and Occupational Differentials in Mental Disease: State Patterns in First Admissions to Mental Hospitals for All Disorders and for Schizophrenia, New York and Ohio, as of 1950. *Milbank Memorial Fund Quarterly* 41:145–160.

1967 Prefatory Note to Symposium on Population Problems. American Philosophical Society, *Proceedings* 3:133–135.

SUPPLEMENTARY BIBLIOGRAPHY

THOMAS, W. I.; and ZNANIECKI, FLORIAN (1918–1920) 1958 *The Polish Peasant in Europe and America*. 2d ed. 2 vols. New York: Dover.

جوريى ، جى ، إس

GHURYE, G. S.

ولد جوفيند ساداشيف جوريى Govind Sadashiv Ghurye فى عائلة من البراهمة السارسوات "Saraswat Brahmin" الطبقة العليا المثقفة فى مالفين بالهند عام ١٨٩٣، وقد أتم تعليمه الثانوى والجامعى فى بومباى ، حيث درس اللغة الإنجليزية والسانسكريتية Sanskrit. وقد كان جوريى من الطلبة النابغين ، حيث فاز بميدالية رئيس الجامعة الذهبية كأحسن طالب فى امتحان الماچستير M . A عام ١٩١٨ . وقد رشحه باتريك جيدز Patrick Geddes – الذى أسس قسما لعلم الاجتماع فى جامعة بومباى – لمنحة دراسية فى لندن بعد قراءته للمقال غير المنشور الذى كتبه عن "بومباى كمركز حضرى Bombay as an Urban Center". ولكن عدم ارتياح جوريى للمناخ العام فى مدرسة الاقتصاد بلندن ، وعدم تأثره بالأستاذ إل . تى. هوبهاوس L . T. Hobhouse دفعاه إلى التسجيل فى برنامج الدكتوراه فى جامعة كمبردج ، حيث خطط للدراسة مع و . هـ . ر . ريفرز W. H. R. Rivers . ولكن لسوء الحظ توفى ريفرز عام ١٩٢٢ ، فأكمل الدراسة تحت رعاية ألفريد كورت هادون Alfred Cort Haddon . وعاد إلى وطنه فى عام ١٩٢٣ .

وعين مدرسا فى قسم الاجتماع فى بومباى ، ثم رئيسا للقسم عام ١٩٢٤ ، ثم أستاذا بالقسم عام ١٩٣٤ . وقد لقب بعد تقاعده عند بلوغ سن الخامسة والستين بالأستاذ الفخرى الأول للجامعة First professor emeritus . ويرجع الفضل فى شهرة جوريى وسمعته إلى الكتاب الأول الذى أصدره عن الطائفة والعرق فى الهند *Caste & Race in India* عام ١٩٣٢ ، إذ استطاع – بنجاح – المزج بين الأبعاد التاريخية (والأيديولوچية) والأنثروبولوچية والاجتماعية . وكان اهتمامه الأساسى بالأصل التاريخى

والانتشار الجغرافى للنظام الطائفى بمعالمه العصرية وبما تضمنه من تأثير الحكم البريطانى . فقد سجل - برؤية واضحة - التغيرات والمعالم الطارئة على هذا النظام المعقد . ورغم معارضته الشديدة لنظام الطوائف ، وأمله فى ضعفه فى البيئة الحضرية ، فإنه لاحظ مع أسفه الشديد نمو الوعى الطائفى Caste consciousness وتحول الطائفة إلى مجتمع محلى Community . وقد طور جوريى - فى طبعة تالية للكتاب - هذه القضايا باعتبارها الدور الذى تلعبه الطائفة فى السياسة . وقد صنف هذا الكتاب على أنه أكثر الإسهامات الخالدة التى قدمها جوريى فى علم الاجتماع الهندى .

ورغم وصوله إلى قمة التفوق الذهنى والفكرى ، فإن جوريى لم ينشر خلال عشر سنوات أى عمل آخر . وفى عام ١٩٤٣ نشر كتابا عن "سكان البلاد الأصليين - كما يطلق عليهم - ومستقبلهم" -Aborigines-"socalled" and Their Future؛ لدحض وتفنيد رسالة فيريير إلوين Verrier Elwin عن الهوية المنفصلة (المستقلة) للجماعات القبلية وأهمية الإبقاء عليها والدفاع عنها من خلال التأكيد على استمرارية عزلتها . وقد جادل جوريى لصالح اندماجهم فى المجتمع الأكبر والأوسع ، خاصة وأنه كان قد وجه اهتمامه للمشكلة الأساسية لبناء الأمة فى مجتمع غير متجانس ، وهى القضية التى تكررت باستمرار فى كتاباته الأخيرة . ففى كتابه "التوترات الاجتماعية فى الهند" Social"(1968b) Tensions in India اختبر فى - سياق تاريخى - الدور الثقافى المتسبب فى الخلاف والانشقاق ، واللغة والدين فى الهند . وفى إطار اهتمامه بالتماسك القومى عبر عن المناورات التى حدثت تدريجيا ، والانزلاق والانحراف الأخلاقى فى السياسة الهندية ، وذلك فى كتابه الذى أصدره عام ١٩٧٤ عن "الهند إلى أين ؟" "Whither India?، وفى عام ١٩٧٨ أصدر كتابا عن "الهند تعيد بناء الديموقراطية"India *Recreates Democracy*، رغم أن الهند

احتفلت باستعادة الديموقراطية عام ١٩٧٧ . وقد أوضحت هذه الأعمال مدى اهتمام جوريى الدائم بالمشكلات فى مجتمعه.

وخلال هذه السنوات ، عرض جوريى فى كتاباته وأعماله عدة قضايا عن الثقافة ، واتجاه علم الاجتماع نحو "الكوزموبوليتانية". ففى كتاب "الثقافة والمجتمع" *Culture and Society* عام ١٩٤٧، تناول قضية عالمية ، ألا وهى ، ماذا يجعل الثقافة عظيمة ؟ وطالب الجامعات بدور أساسى فى المحافظة على الثقافة وتعزيزها ونشرها. وفى عمل آخر عن "الحضارة الغربية" *Occidental Civilization* عام ١٩٤٨، ركز على الأسباب الداعمة للنشاط الإبداعى عندما يحقق أعلى المستويات والتجمعات. وقد ظهر ولع جوريى بالمدن طوال حياته ، فى كتابه عن "المدن والحضارة" *Cities and Civilization* عام ١٩٦٢ ، وقد أوضحت هذه الأعمال مدى إلمامه الواسع ومعرفته بالتراث الأدبى الغربى.

وقد سيطرت قضايا الهند على باقى أعماله ، فقد حاول فى كتابه "الأزياء الهندية" *Indian Costume* الصادر عام ١٥٩١ التوصل – من خلال مسح تاريخى – إلى موقف حول مشكلة الزى الوطنى : وهو مشروع ميئوس منه فى بلد على هذا القدر من الاتساع والتنوع. ومرة أخرى ، وكان الهدف من المحاولة هو الوصول إلى التجانس فى وضع يمثل أقصى صور اللاتجانس . وقد عبر عن اهتماماته الشديدة بالتحضر فى عدة كتابات ، منها – على سبيل المثال – مناقشة تأثير عملية التحضر على منطقة ريفية داخلية (1963.a) معتمدا على مونوجراف عن القرية الهندية وضع عام ١٨١٩ واتخذه أساسا للدراسة. ثم قام جوريى بإعادة دراسة المنطقة وقام بتحليل تطورها وتنميتها (1960.a)، كما قام باختبار التراث الأدبى بهدف الوصول إلى شواهد ودلائل عن التغير

الاجتماعى فى الولاية التى ينتمى إليها (1952.b:1954.a)

وفى إطار اهتماماته الفكرية الأساسية ، اهتم بعلم الاجتماع الدينى . ففى كتابه عن : "اتباع الديانة الهندوسية المقدسة فى الهند "Indian Sadhus" (1962.b) تتبع دور نظام إنكار الذات . وقام بإعداد دراستين عن الآلهة الهندية عام(1962.b.,1977)، وقدم تحليلا عن الدور التاريخى للدين فى حضارات بلاد ما بين النهرين ، ومصر ، والهند (1965.a) وكتب دراسة موثقة عن القرابة (١٩٥٥) . وقد تعددت أوراقه العلمية وتنوعت وغطت موضوعات كثيرة ، مثل : التنظيم الثنائى فى الهند ، والزواج المتقاطع بين أبناء العمومة والخؤولة cross-cousin، والعمر عند الزواج ، والزواج والترمل ، والتشابه فى الممارسات الجنائزية بين المصريين والهنود ، والتخلص من المشيمة البشرية ، وأجور وظروف العمل لرجال الدين ، والصداقة ، والأحجار الضخمة غير المنحوتة لكثير من الآثار الراقية التى تعود إلى ما قبل التاريخ، والتى مازالت موجودة فى الهند ، والنمو السكانى وعادات الطبقة المتوسطة فى الهند ذات العلاقة بالنوع ، وتنظيم النسل فى بومباى، وعدم الملامسة untouchability، واكتشافات ماقبل التاريخ وبعده ، والثقافة السندية Sindh، وغيرها من الموضوعات . ومن بين أعماله الأخرى ذات الأهمية ذلك العمل عن الأرامل "v idyas" (1957b) الذى أشار فيه إلى الذكرى المئوية لوفاة كونت Comte، وأعلن ولاءه له وأنه من أتباعه . ويعتبر التفكير فى الاحتفال بهذه المناسبة من عالم اجتماع هندى أمرا جديرا بالتسجيل ، حيث اعترف جوريى بكونت كعالم فى علم اجتماع المعرفة . وبدون شك ، فإن محاكاة جوريى لكونت دعته إلى اقتراح مسمى جديد لعلم الاجتماع ، ألا وهو الإنسانيات ، وهو مفهوم استعاره من روجر وليامز Roger Williams برغبته هو الخاصة.

واستطاع جوريي أن يكون مدرسا ناجحا إلى جانب انشغاله بالبحث . فقد أشرف على حوالى ٨٠ رسالة علمية (٢٥ للحصول على درجة الماجستير ، و٥٥ للحصول على درجة الدكتوراه) عام ١٩٧٣ ، ولازال الطلاب الذين تتلمذوا عليه يقومون بالتدريس فى جامعات الهند المتعددة . وذلك رغم قيامه بالتدريس فى وقت كانت المنح الدراسية التى تعطى للدكتوراه قليلة ، ومنظمات التمويل نادرة ، ومستقبل العمل المهنى المتخصص غامضا ومظلما (Srinivas 1973)، ولكنه استطاع - بفضل المنزلة العلمية الرفيعة التى يتمتع بها - جذب كثير من الطلاب وتشجيعهم وحثهم على مواصلة عملية البحث الاجتماعى التى تتطلب الكد والمثابرة . وقد تناولوا موضوعات جديدة فى البحوث ، مثل : دراسات ريفية ، ودراسات حضرية ، ودراسات عن القرابة ، ودراسات عن المجتمعات المحلية ، ودراسات إقليمية وقومية. وقد أعطى لكل من الطلبة والطالبات الحرية فى تناول الموضوع الذى يستهويه مظهرا قدرا كبيرا من التسامح ، كما أعطاهم فرصة اختيار نوع البحث والموضوع والمنهج فى إطار مجموعة المعايير التى وضعها، وكان موجها ومرشدا دون فرض وجهة نظره . وقد استطاع بعضهم - وهم قلة - الوصول إلى مكانته العلمية، ولكن أحدا لم يتفوق عليه فى هذا المجال فى الهند .

وفى عام ١٩٥٢، أسس جوريي الجمعية الهندية لعلم الاجتماع "Indian Sociological Society"، وأصدرت الجمعية " الدورية الاجتماعية" " Sociolgical Bulletin" وشغل منصب الرئيس الأول للجمعية حتى عام ١٩٦٦ . ورغم وجود كثير من الرواد ، فإن أحدا لم يقدم إلى علم الاجتماع فى الهند مثلما قدم جوريي .

وباعتباره تلميذا لريفرز فإنه تأثر بأفكاره عن انتشار الثقافة ، وانعكس ذلك على كثير من أعماله المبكرة ، وقد أشار إلى ذلك اثنان من طلبة الدكتوراه اللذان تتلمذا على يده ، وهما: ك . م . كاباديا K. M. Kapadia

عام ١٩٥٤، وم . ن سرينيفاس M. N. Srinivas عام ١٩٧٣ . لكن فى الفترة الأخيرة من حياته ، ترفع عن تلك الأفكار أو رفضها . فهل استغل تلك السنوات العشر – التى لم يعمل فيها – لتأمين استقلاله الفكرى ؟ إذا كان الأمر كذلك ، فإنه لم يتنازل عن ذلك الاستقلال مرة أخرى ، وأصبح متحكما ومالكا لزمام نفسه ، فانغماسه الشديد فى الثقافة الهندية لم يعط الفرصة لأى شىء لكى يهزمه . وقد اختار الانعزال عن العالم كى يحافظ على حريته وأداء ما يراه الأفضل لذاته . والدرس الأساسى الذى تعلمه من كمبردج والذى حاول أن ينقله إلى تلاميذه هو ضرورة احترام الحقائق ، فعندما بدأ مسيرته العلمية ، لم يكن هناك أعمال كثيرة قد تمت فى علم الاجتماع فى الهند ، وكان من المفيد التأكيد على أهمية الحقائق Facts . والتزام جوريى بالحقائق له جانبان : أحدهما إيجابى ، والآخر سلبى . فمن الناحية الإيجابية ، وفر ذلك الالتزام له ولتلاميذه قاعدة وأساسا إمبريقيا رصينا ، ووضع حدا للانصياع للميول التأملية النظرية التى تغرى الباحثين حين لا توجد معلومات واقعية (Srinivas 1973). وقد امتدحه سيرينفاس على إجرائه – منفردا– مسحا إثنوجرافيا عن الهند من موقعه فى بومباى . أما الجانب الآخر السلبى ، فإن تجاهل جوريى الموضوعات النظرية حرم كتاباته من قوة الضغط المتواصل . ولكن المحير أن مثل هذا العقل الذى يتمتع بالوعى والمملوء بالحيوية ، يظل غير مكترث بما يدور فى العالم الغربى من متناقضات عنيفة . فهل عدم الاكتراث هذا (لم يكن جهلا) يعتبر ميكانيزما لحماية ذاته من ممارسات مطولة وغير مفيدة ؟ إذا كان الأمر كذلك ، فإن إنجازاته قد تشهد على قيمة الاستراتيجية التى اتبعها .

المؤلف DHIRENDRA NARAIN
المترجم : هدى مجاهد

(1932) 1969 *Class, Caste and Occupation*. 5th ed. Bombay: Popular Prakashan. → First published as *Caste and Race in India*.
(1943) 1963 *The Scheduled Tribes*. 3d ed. Bombay: Popular Prakashan. → First published as *The Aborigines—"So-called"—and Their Future*.
1947 *Culture and Society*. Oxford Univ. Press.
1948 *Occidental Civilization*. Indian Institute for Educational and Cultural Co-operation, Publications, No. 1. Bombay: The Institute.
(1951) 1966 *Indian Costume*. 2d ed. Bombay: Popular Prakashan.
1952*a* *Race Relations in Negro Africa*. Bombay: Asia Publishing House.
1952*b* Social Change in Maharashtra (I). *Sociological Bulletin* 1, no. 1:71–86.
1952*c* Ascetic Origins. *Sociological Bulletin* 1, no. 2:162–184.
1953*a* Cities of India. *Sociological Bulletin* 2, no. 1:47–80.
(1953*b*) 1964 *Indian Sadhus*. 2d ed. Bombay: Popular Prakashan; New York: Humanities Press.
1954*a* Social Change in Maharashtra (II). *Sociological Bulletin* 3, no. 1:42–60.
1954*b* Sexual Behaviour of the American Female. *Sociological Bulletin* 3, no. 2:158–183.
(1955) 1962 *Family and Kin in Indo-European Culture*. 2d ed. Bombay: Popular Prakashan; New York: Humanities Press.
1956*a* Cities: Their Natural History. *Sociological Bulletin* 5, no. 1:51–78.
1956*b* *Sexual Behaviour of the American Female*. Bombay: Current Book House.
1957*a* *The Mahadev Kolis*. Bombay: Popular Book Depot.
1957*b* *Vidyas: A Homage to Comte and a Contribution to Sociology of Knowledge*. Bombay: Indian Sociological Society.

1958 *Bharatanatya and Its Costume*. Bombay: Popular Book Depot.
1960*a* *After a Century and a Quarter: Lonikand Then and Now*. Bombay: Popular Book Depot.
1960*b* Prolegomena to Town and Country Planning. *Sociological Bulletin* 9, no. 2:73–91.
1962*a* *Cities and Civilization*. Bombay: Popular Prakashan.
1962*b* *Gods and Men*. Bombay: Popular Book Depot.
1963*a* *Anatomy of a Rururban Community*. Bombay: Popular Prakashan.
1963*b* *Anthropo-sociological Papers*. Bombay: Popular Prakashan.
1964 Bombay Suburbanites: Some Aspects of Their Working Life. *Sociological Bulletin* 13, no. 2:73–83.
1965*a* *Religious Consciousness*. Bombay: Popular Prakashan.
1965*b* *Shakespeare on Conscience and Justice*. Bombay: Popular Prakashan.
1965*c* Bombay Suburbanites: Some Aspects of Their Working Life (II). *Sociological Bulletin* 14, no. 2:1–8.
1968a *Rajput Architecture*. Bombay: Popular Prakashan.
1968*b* *Social Tensions in India*. Bombay: Popular Prakashan.
1972 *Two Brahminical Institutions: Gotra and Charana*. Bombay: Popular Prakashan.
1973 *I and Other Explorations*. Bombay: Popular Prakashan.
1974 *Whither India?* Bombay: Popular Prakashan.
1977 *Indian Acculturation*. Bombay: Popular Prakashan.
1978 *India Recreates Democracy*. Bombay: Popular Prakashan.

KAPADIA, K. M. (editor) 1954 *Professor Ghurye Felicitation Volume*. Bombay: Popular Book Depot.

KARVE, IRAWATI 1960 Anthropology and Sociology. Volume 2, pages 125–127 in G. B. Sardar (editor), *Maharastra jivan: Parampara, pragati ani samasya* (Life in Maharashtra: Tradition, Progress and Problems). Poona (India): Joshi & Lokhande Prakashan.

MUKHERJEE, RAMKRISHNA 1977 Trends in Indian Sociology. *Current Sociology* 25, no. 3: 31, 37, 39–41.

PILLAI, S. DEVADAS (editor) 1976 *Aspects of Changing India: Studies in Honour of Prof. G. S. Ghurye*. Bombay: Popular Prakashan.

SRINIVAS, M. N. 1973 Itineraries of an Indian Social Anthropologist. *International Social Science Journal* 25, nos. 1–2: 129–148.

دود: ستيوارت سى

DODD. STUART C.

منذ أن بدأ ستيوارت كارتر دود جهوده المشتركة مع جورج لندبرج، وحتى وفاته فى نهاية عام ١٩٧٥، كان يرمز بالنسبة للعديد من السوسيولوجيين كالذى يسعى وراء "كأس مقدسة" *Holy Grail* بعيدة المنال: فى سعيه لإنجاز علم اجتماعى يضاهى الفيزياء فى دقتها وقدرتها التنبؤية.

ولد دود فى عام ١٩٠٠ فى مدينة طالاس بتركيا، وهو ابن طبيب تبشيرى. وبعد أن عمل لمدة كأخصائى نفسى فى دار رعاية للفتيان فى مدينة جيمسبرج بولاية نيوجرسى، وبعد أن حصل على درجة البكالوريوس بتقدير جيد عام ١٩٢٢، ثم على الماجستير عام ١٩٢٤، وعلى الدكتوراه فى علم النفس فى عام ١٩٢٦، وكلها من جامعة برينستون، ثم تلقى بعد ذلك منحة بحثية من المجلس الوطنى للبحوث والدراسات بلندن *The National Research Council* . وتابع دراساته فى لندن. وخلال الفترة من ١٩٢٧ حتى ١٩٤٧ عمل مدرسا لعلم الاجتماع بالجامعة الأمريكية ببيروت، حيث قام بتطوير وإدارة قسم البحوث الاجتماعية، ولم ينقطع عن التدريس بهذه الجامعة إلا لفترة محدودة عندما اضطر هو وعائلته إلى النزوح من بيروت أثناء الحرب العالمية الثانية، عمل خلالها مديرا للمسوح فى الجيش الأمريكى فى جزيرة صقلية. وقد منح دود وسام الجمهورية اللبنانية تقديرا لخدماته الإنسانية. وفيما بعد أصبح نجله الأكبر مدرسا للسوسيولوجيا ببيروت.

واعتبارا من عام ١٩٤٧ عمل كأستاذ باحث *research professor* فى علم الاجتماع بجامعة واشنطن. وخلال الفترة من ١٩٤٧ حتى ١٩٦١، أدار "مرصد الرأى العام بواشنطن *The Washington Public Opinion Laboratory*" بالإضافة إلى قيامه بالمحاضرة فى الحلقات الدراسية بالمرصد، فى الموضوعات المتعلقة بالمناهج، وحتى

أصبح دود أستاذا متفرغا فى عام ١٩٧١ . وفى السنوات الأربع التالية لتقاعده واصل الكتابة لعرض رؤيته للعلم. وقد نشر خلال حياته ما يقرب من ١٥٠ ورقة بحث فى عدد كبير من المجالات.

سخر دود حياته العلمية لمشروع حاول فيه تطوير نسق من الرموز، وتأسيس نمط لاستخدام اللغة، كان يعتقد أنه كفيل بأن يجعل العلوم الاجتماعية أكثر علمية. إلى جانب هذا المشروع، تابع دود مجموعة من القضايا الأخرى، التى ترتبط كلها، من وجهة نظره، ترتبط بهدفه الأساسى. فى العام الأخير من الحرب العالمية الثانية، دعا دود إلى تأسيس " وكالة دولية للانتخابات" تعمل على توفير ما أسماه "مقياس للأمن الدول" barometer of international security" هدفها دعم الجهود التى تبذلها الأمم المتحدة للحفاظ على السلام وتعزيز التقدم البشرى. فى عام ١٩٥٣، وبصفته رئيسا لـ" الجمعية السوسيولوجية للباسيفيكى"The Pacific Sociological Association قدم دود رؤيته لدعم البحث الاجتماعى التطبيقى فى خطابه الرئاسى، الذى جعل له عنوانا استفهاميا هو:" هل يمكن للعَالِم الاجتماعى أن يخدم سيدين؟" "Can the Social Scientist Serve Two Masters? ". اختير دود فيما بين عامى ١٩٦٠-١٩٦١ نائبا لرئيس" الرابطة الأمريكية للإنسانيات" The American Humanist Association، وقد دعا ، من خلال دوريات الرابطة، إلى أهمية وجود علم للقيم، وأكد على اعتقاده بأن عملية قياس سعى الإنسان لتحقيق الأهداف، من شأنه أن يجعل التطور عملية هادفة على نحو أفضل" ، وفى عام ١٩٦٦ تحمس دود ، وبذل جهدا كبيرا لمساعدة مجموعة من الطلاب تحاول ابتكار أدوات لقياس السلوك داخل الحرم الجامعى.

لفت دود انتباه لندبرج عندما نشر فى عام ١٩٣٤ كتابا بعنوان "تجربة مقننة على الصحة الريفية فى سورية" *A Controlled Experiment on Rural*

Hygiene in Syria والذى استشهد به لندبرج، فى الطبعة الثانية من كتابه المدرسى عن مناهج البحث [(١٩٢٩ط١)، ط٢ ١٩٤٢]، وقد وصف لندبرج أول ٣٨ صفحة من هذه الدراسة بأنها " تعد نموذجا للعرض المنهجى الواضح والمنظم فى مشروع بحث". وقد التقى الرجلان حين كان لندبرج فى زيارة للشرق الأوسط، ومن ثمرة المناقشات التى دارت بينهما، قدم لندبرج فى عام ١٩٣٩ مؤلفه " أسس علم الاجتماع *Foundations of Sociol-ogy*، وقدم دود مؤلفه " أبعاد المجتمع" *Dimensions of society* الذى تأخر نشره إلى عام ١٩٤٢ بسبب الحرب.

فى عام ١٩٣٩ نشر دود ورقتين مهمتين قبل ظهور مؤلفه "أبعاد المجتمع"، الورقة الأولى بعنوان" نظرية التوتر فى الفعل المجتمعى *A Tension theory of Societal Action*، والتى لا تزال واحدة من أفضل الأمثلة على محاولة دود الجادة لإعادة الصياغة المفاهيمية لعلم الاجتماع. وتقدم الورقة توضيحا فريدا لعمليات مثل :" الصراع والمنافسة والتكيف، وتوضح العلاقات والارتباطات بين هذه العمليات، كما تقدم تحليلا استثنائيا لنظرية مالتوس، ومقارنة واعية بين فلسفة نيتشة، والبوذية، والفلسفات الغربية. وباستثناء استخدام الرموز الرياضية السفلية القبلية *pre sub-scripts* (بالإضافة إلى استخدام أكثر تقليدية للرموز الرياضية البعدية *post subscripts* (فى معادلات دود، فلا توجد صعوبة فى هذا المقال، حتى إن الجزء الأكثر صعوبة فى المقال والخاص بـ "عمليات النظام الثانى" كانت واضحة. و فى الورقة الثانية:" نحو نسق محدد للمفاهيم الإجرائية فى علم الاجتماع" *A System of Operational-ly Defined Concepts for Sociology*، ابتعد دود كثيرا عن طرق التفكير السوسيولوجى المعتادة. وتعد هذه الورقة مخططا محكما فى النظرية، والذى توسع فيه بعد ذلك فى مؤلفه "أبعاد المجتمع" وهذه الورقة تعد أكثر أفكاره استساغة ، والتى تبرز ، من

وجهة نظره، محاولة لإعادة بناء مفردات عالم الاجتماع.

اعتقد دود، أن بإمكانه أن يجمع بين وصف وتحليل المواقف الاجتماعية،باستخدام معادلة واحدة هى: S=T:L:P:I حيث تشير (S) إلى الموقف situation، ويشير الحرف (T) إلى الزمن time، بينما يشير الحرف (L) إلى المسافة الطولية linear distance، يشير الحرف (P) إلى قطاع من السكان population، وأخيرا فإن الحرف (I) يشير إلى المؤشرات indicators التى تدل على خصائص هؤلاء الناس، وخصائص البيئة المحيطة. وهذه الصيغة التناسبية، تقبل أى إضافة رياضية، وتصلح لمختلف التطبيقات. بالإضافة إلى أن كل "بعْد" فى هذه الصيغة يمكن أن يحمل أسا رياضيا an exponent. فى حالة (L) مثلا، إذا كان الأس= (١)، فإن (L) سوف ترمز إلى المسافة (الطول): وإذا كان الأس= (٢) فإن (L) سوف ترمز إلى المساحة، وإذا كان الأس=(٣)، فإن (L) سوف ترمز إلى الحجم. فمثلا كثافة السكان، تساوى نسبة الناس فى وحدة مساحة، و يعبر عنها بالصيغة P^1/L^2، ويمكن أن تكتب بصيغة أخرى هى P^1/L^{-2} . وكل "بعد" يمكن تعيينه باستخدام العناصر الثلاثة الأخرى فى المعادلة، العلاقة الأخيرة P^1/L^{-2} ترمز إلى الطبقة، والعلاقة التى قبلها P^1/L^2 ترمز إلى الحدود الطبقية، أى تشير إلى حالة معينة.

تعد حسابات الأسس *The exponents*، على أية حال، هى الأكثر أهمية فى تحديد عناصر المعادلة. فمثلا عملية تتضمن خصائص متغيرة خلال الزمن يمكن تمثيلها كالتالى: I^1T^{-1} . بينما يجب أن تتضمن العمليات المختلفة مقادير متفاوتة من الخصائص المتباينة، غير أنها جميعا يجب أن تشترك فى الأس (١) على الزمن (T)، بحيث تبدو كما لو كانت نوعا من السرعة الاتجاهية. وبالمثل، فإن معدل الزيادة الطبيعية فى عدد السكان يمكن تصورها كسرعة، عندما تكتب P^1T^{-1}،

والتغير فى معدل الزيادة الطبيعية P^1T^{-2} (الفترة الزمنية للزيادة مضروبا فى نسبة الزيادة السكانية مقسوما على الفترة الزمنية مرة أخرى)، وبالتالى، فإن أى صيغة رياضية تحتوى المتغير T^{-2} تعبر عن التسارع .

ويعتقد دود أن علماء الاجتماع سيجدون أن جهودهم لتصنيف الظاهرة الاجتماعية قد تصبح أكثر علمية، إذا قاموا بتصنيف المواقف، بالنظر فيما كانت المعادلات الخاصة بهذه المواقف تشترك في نفس تسلسل الأسس من عدمه. حتى إنه أخذ المتغيرات الكيفية فى الحساب، وذلك بأن اعتبرها تمثل الأس (صفر)، (وعليه يمكن أن تتحول إلى متغيرات كمية، مثلما أن الأس (١) لا يحدد أى ناتج، من تلك التى يدخل فيها كوسيط).

المراجعات التى تناولت مشروع دود، تتسم بالتفاوت، ولكنها بصفة عامة ، جاءت سلبية الطابع، ولم تكن كل الانتقادات مقنعة: ولو كان الأمر كذلك، لأثر ذلك فى كتاباته اللاحقة، والشيء الوحيد المؤثر فى كتاباته التالية، هو ما تبقى بالنسبة للسوسيولوجيين من قضايا ومقولات. وقد حذرت العديد من المراجعات، من أنه من غير المستحسن بالنسبة للسوسيولوجيين عامة، محاكاة دود أو محاولة مجاراة أسلوبه الرمزى. وقد أشار أحد النقاد إلى أن استخدام لندبرج مدخل العلم الطبيعى على علم الاجتماع، يمكن إغفاله إذا كان مساويا لنظرية دود عن المواقف الاجتماعية (Calhoun 1942, p. 504)، ويرفض البعض الآخر من النقاد مقولة النظام الاجتماعى التام، التى يدعيها دود (Parsons 1942; Shanas 1942)، بينما كتب أحد المراجعين: أن نظرية دود لجعل علم الاجتماع أكثر علمية، هى الأفضل من غيرها على أية حال (Robinson 1942, p.454)، ويذهب ناقد آخر، إلى أنه من المفيد لأى سوسيولوجى أن يقرأ ويقيم كتاب (أبعاد المجتمع) (Calhoun 1942, p. 504) أما الرياضيون الذين راجعوا كتاب دود "النظرية الاجتماعية" فإنهم يصفونه بأنه:" دعابة رياضية ساذجة"

(Bell 1942, p. 709)، كـمـا أن أحـد مـؤلفى الكتب المدرسـيـة فى النظرية الاجتماعية، وصف نظرية دود، "بأنها تقريبا لم تقرأ" ولكنه يقر لدود بالبراعة "a tour de force" فى اسـتـخـدام الأس (صـفـر) (Timasheff 1955, pp. 308-309) وأشـار آخـر، إلى أن كـتـاب " أبعـاد المجتمع، مثال على الخطر الذى يواجه الوضـعـيـة المجـردة بشكل دائم، وهو تحللها إلى صـيـغـة خالية من المعنى (Martindale 1960, p. 119). وقـد نـشـر هوارد بى. ولستون، مراجعة للكتاب فى حوليات الأكاديمية الأميركية، وذهب إلى أن كـتـيـبًا يقدم مـشـكلات وحلولا نموذجية ربما يكون أفضل وأكثر فائدة للطلاب، ويوفر أساسا واضحا لتجارب الباحثين (Howard B. Woolston, 1942)، وكانت مقاربة دود لمثل هذا النموذج، فى عـام ١٩٤٧ فى كـتـيـب بعنوان: العلم الاجتماعى النسقى Systematic Social Science، وظهر أولا فى طبعة منسوخة على الآلة الكاتبة، ثم أعيد طبعه مؤقتا بنظام الأوفست، ضمن مطبوعات كلية العلوم والآداب بالجامعة الأمريكية ببيروت.

واقتناعا منه، بأن اللغة العلمية يمكن أن تصبح أكثر قبولا وانتشارا لو قدمت، وعرضت فى صورة متدرجة. عقد العزم، عندما عمل فى جامعة واشنطن، على أن يقضى العشرين سنة التالية فى نشر نظريته على أجزاء فى شكل مقالات بالدوريات. وفى سياق متصل، أشرف على العديد من مشاريع البحث، فى جامعة واشنطن، منها مشروع يعد: أكبر وأكثر البحوث قيمة، وهو عبارة عن دراسة استمرت لمدة ثلاث سنوات وأجريت على سلاح الجو الأمريكى، فى محاولة لكشف الجوانب المختلفة للاتصال من خلال تحليل التقارير الجوية أثناء الحرب الكورية. وقد تدرب العديد من طلاب الدراسات العليا على يد دود، ونشرت العديد من أوراق البحث سواء بواسطتهم، أو عن طريقه، ولكن أمله لم يتحقق فى نشر عمل مؤلف من عدة مجلدات تضم هذه الدراسات، يعرض فيها نظريته بشكل

متدرج ، بالاستفادة من النتائج السوسيولوجية الأساسية التى حصلوا عليها من بحث السلاح الجوى (الذى كان يرجو أن يكون شبيهاً، بسلسلة الدراسات التى نشرت عن الحرب العالمية الثانية، التى أشرف عليها صمويل ستوفر وآخرون ، بعنوان *"الجندى الأمريكى"* عام ١٩٥٠ ولكن ذلك لم يتحقق) .

فى عام ١٩٦١ تحول مرصد واشنطن للرأى العام إلى معهد البحوث الاجتماعية The Institute for Socio-logical Research، وتخلى دود عن منصبه كمدير. وتحول مباشرة إلى تكريس جهوده لتطوير مجموعة الأفكار التى افتتن بها مبكرا (1944;1950b) ومن ذلك الحين، تجاوزت اهتماماته حدود العلوم السلوكية، وبدأ فى تطبيق تحليلاته الرمزية على المشكلات الكونية، فى مشروع أسماه "Project Epicosm" كتب فى مذكرة غير منشورة فى عام ١٩٦٧ ، ذهب إلى أن كل البحوث تهدف إلى: " البحث عن أعلى درجات الرمزية" ، وألمح إلى أن الصيغ التى تصف ذلك بأنها تفسر وتتنبأ بكل أجزاء الكون.

إن أسلوب دود فى التفكير، وطريقة مقاربته للعلم، نشأت - جزئيا- من أيام طفولته فى تركيا، التى وفرت له الجمع بين لغتين، كما أن الولع بالتصنيف، المصحوب بتمييز وتحديد المقولات، وخصوصا المنطقية، استمدها من معرفته الشخصية وإدراكه للفروق بين لغة مغرية جدا، ولغة تحليلية إلى حد بعيد. وقد تعزز هذا الولع مرة أخرى بحبه وسعيه إلى دراسة اللغة الفرنسية واللاتينية فى المدرسة ، ومحاوراته المتواضعة مع اليونانيين والألمان والإيطاليين والعرب، والإسبيرانتو Esperanto. وفى مرحلة لاحقة ، وبوصفه دارسا لعلم النفس، تبنى مفهوم كارل بيرسون Karl Pearson عن أن الإحصاء، هو قواعد (نحو) العلم ، "grammar of science" وكان من السهل عليه بالتالى أن يعتبر الرياضيات بأكملها ما هى إلا لغة.

لقد أكدت رؤيته للعالم على مجموعة من العناصر المتفاعلة فى مركبات عشوائية. والمؤكد أنها رؤية متأثرة بسعيه فى شبابه، للتآليف بين مدخلى سى. إى. سبيرمان وجودفرى طمسون المختلفين فى التحليل العاملى للفكر الإنسانى. وقد تجذرت رؤيته الدينية للعلم، من خلال تراثه التبشيرى، وكذلك من خلال أفكار هنرى نيلسون فيمان Henry Nelson Wieman، والتى تعززت أكثر باتصاله بكتابات هارلو شابلى Harlow Shapley الكونية.

ويعتبر عمل بيرسى بريجمان Percy W. Bridgman هو أساس ولع دود بالتعريفات الإجرائية. أما إيمانه الراسخ بأن الفيزياء قدمت نماذج واعدة للعلم الاجتماعى، فإنه مستمد من إعجابه بأعمال كل من ستيوارت وجورج زيبف J. Q. Stewart and George K. Zipf . إلا أن التأثير الأكبر فى فكر دود يرجع إلى مؤلفات ونصائح جورج لندبرج، الذى ظل حتى وفاته مناصرا قويا وصديقا مقربا، وصاحب النقد البناء لأعمال دود.

المؤلف: WILLIAM R. CATTON. JR.

المترجم: محمد حافظ دياب

1934 *A Controlled Experiment on Rural Hygiene in Syria: A Study in the Measurement of Rural Culture Patterns and of Social Forces*. Beirut: American University of Beirut.

1936 A Theory for the Measurement of Some Social Forces. *Scientific Monthly* 43:58–62.

1939*a* A Tension Theory of Societal Action. *American Sociological Review* 4:56–77.

1939*b* A System of Operationally Defined Concepts for Sociology. *American Sociological Review* 4:619–634.

1942 *Dimensions of Society: A Quantitative Systematics for the Social Sciences*. New York: Macmillan.

1943 Of What Use Is Dimensional Sociology? A Report of Further Research Upon the Utility, Precision and Parsimony of Dimensional Analysis. *Social Forces* 22:169–182.

1944 A Mass-Time Triangle. *Philosophy of Science* 11:233–244.

1947 *Systematic Social Science*. American University of Beirut, Social Science Series, No. 16. Seattle: University of Washington Bookstore.

1950*a* The Interactance Hypothesis: A Gravity Model Fitting Physical Masses and Human Groups. *American Sociological Review* 15:245–256.

1950*b* An Isosceles Distribution of Material Entities. *Main Currents in Modern Thought* 7:122–126.

1951 The Religion of a Social Scientist. *Educational Theory* 1:87–96.

1953 Can the Social Scientist Serve Two Masters?—An Answer Through Experimental Sociology. *Research Studies of the State College of Washington* 21:195–213.

1954 The Scientific Measurement of Fitness for Self-government. *Scientific Monthly* 78:94–99.

1955*a* Diffusion is Predictable: Testing Probability Models for Laws of Interaction. *American Sociological Review* 20:392–401.

1955*b* The Transact Model: A Predictable and Testable Theory of Social Action, Interaction and Role-action. *Sociometry* 18:432–447.

1957 The Counteractance Model. *American Journal of Sociology* 63:273–284.

1959 An Alphabet of Meanings for the Oncoming Revolution in Man's Thinking. *Educational Theory* 9:174–192.

1962 How Momental Laws Can Be Developed in Sociology by Deducing Testable and Predictive "Actance" Models From Transacts. *Synthese* 14:277–299.

1968 DODD, STUART C.; and CHRISTOPHER, STEFAN G. The Reactants Models. Pages 143–179 in Alfred de Grazia, Rollo Handy, E. C. Harwood, and Paul Kurtz (editors), *THe Behavioral Sciences: Essays in Honor of George A. Lundberg*. Great Barrington, Mass.: The Behavioral Research Council.

SUPPLEMENTARY BIBLIOGRAPHY

BELL, E. T. 1942 Review of Dodd's *Dimensions of Society*. *American Sociological Review* 7:707–709.

CALHOUN, DONALD W. 1942 With the Operationalists. *Social Forces* 20:498–504.

CATTON, WILLIAM R., JR. 1966 *From Animistic to Naturalistic Sociology*. New York: McGraw-Hill.

DEFLEUR, MELVIN L.; and LARSEN, OTTO N. 1958 *The Flow of Information: An Experiment in Mass Communication*. New York: Harper.

LUNDBERG, GEORGE A. (1929) 1942 *Social Research: A Study in Methods of Gathering Data.* 2d ed. New York: Longmans, Green.

LUNDBERG, GEORGE A. 1939 *Foundations of Sociology.* New York: Macmillan.

MARTINDALE, DON 1960 *The Nature and Types of Sociological Theory.* Boston: Houghton Mifflin.

PARSONS, TALCOTT 1942 Review of Dodd's *Dimensions of Society. American Sociological Review* 7:709–714.

ROBINSON, WILLIAM S. 1942 Review of Dodd's *Dimensions of Society. Political Science Quarterly* 57:453–455.

SHANAS, ETHEL 1942 A Critique of Dodd's *Dimensions of Society. American Journal of Sociology* 48:214–230.

STOUFFER, SAMUEL A.; GUTTMAN, LOUIS; SUCHMAN, EDWARD A.; LAZARSFELD, PAUL F.; STAR, SHIRLEY A.; and CLAUSEN, JOHN A. 1950 *Measurement and Prediction.* Princeton, N.J.: Princeton Univ. Press. → Volume 4 of *Studies in Social Psychology in World War II.*

TIMASHEFF, NICHOLAS S. (1955) 1967 *Sociological Theory: Its Nature and Growth.* 3d ed. New York: Random House.

WOOLSTON, HOWARD B. 1942 Review of Dodd's *Dimensions of Society.* American Academy of Political and Social Science, *Annals* 221:230–231.

ديفيز: كنجزلى

Davis, Kingsley

ولد كنجزلى ديفيز فى عام ١٩٠٨، وكان ديموجرافيا، وعالم اجتماع، وتربويا ومحللا للظواهر الحضرية، ومتخصصاً فى أمريكا اللاتينية، ولعل أفضل ما يُوصف به هو أنه ديموجرافى اجتماعى. وفى أى وقت ينكشف كلية المجال الضيق النسبى للديموجرافيا الصورية، فإنه من الحتمى أن مجالها سوف يتسع ليشتمل الأسباب والنتائج للظواهر السكانية فى سياقها الثقافى والاجتماعى والاقتصادى الكلى . ولعل الفضل فى وضع هذا المنظور الواسع لا يمكن نسبه لأى شخص أو أمة ، ولكن فى قائمة الرواد كان ديفيز قريباً من القمة. ولقد احتوى كتابه ***السكان فى الهند وباكستان*** *The Population of India and Pakistan (1951b)* كل التحليلات عن الخصوبة، الوفيات، الهجرة، وعنوان هذا الكتاب يؤدى إلى توقع هذا، ولكن هذا الكتاب يحتوى أيضًا على فصول عن الطبقة، الدين، التعليم، والأمية، خصائص المدن، والسياسة السكانية. وبكلمات ديفيز فإن هذا الكتاب هو محاولة "لتحليل التنظيم الاجتماعى والتغير الاجتماعى ... ويعتبر مساهمة فى علم الاجتماع والاقتصاد، وكذلك بالنسبة لديموجرافيا هذين البلدين [الهند وباكستان] ولعل العناصر غير الديموجرافية، برغم كونها تحولاً من الخط الرئيسى، فإنها أجزاء متكاملة من الكتاب ينظر إليها بروح أنه يعبر عن تخصص جديد - الديموجرافيا الاجتماعية.

إن الآخرين الذين حاولوا الجمع بين التحليل الاجتماعى والديموجرافى فإنهم يبدءون نموذجيًا بالسكان ويجدون أن المجال المظلم لعلم الاجتماع من الصعوبة فهمه. ولكن دافيز صار فى الاتجاه المعاكس. فلقد كانت دراسته فى مرحلة البكالوريوس فى **جامعة تكساس** فى تخصص اللغة الإنجليزية، ولقد انجذب بشدة إلى دراسة الأدب؛

ولقد انضم إلى نادى اسكريبليرز Scrib-blers Club وحرر مجلتين أدبيتين لمجتمع الجامعة. ولقد كان له أسلوب واضح متميز ليس بعيدًا عن اللهجة البسيطة، فوسائل الاتصال فى مجالها الواسع للموضوعات لكل من النظراء المتخصصين والجمهور العام. ولعل ديفيز هو الذى صاغ مصطلحات مثل "الانفجار السكانى"، "التحول الديموجرافى"، "نقطة الصفر فى النمو السكانى" – ولكونها مصطلحات حية ومناسبة فإنها أصبحت شيئًا مألوفًا فى التحليلات على كافة المستويات.

استمر ديفيز بعد حصوله على درجة البكالوريوس (١٩٣٠) فى دراسته العليا فى جامعة تكساس فى الفلسفة، والاقتصاد (تحت إشراف إيفيرت هول Everett Hall وكلارنس افرس Clar-ence E. Avres)، وعلم الاجتماع تحت (إشراف كارل ريزنكيست Carl Resen-quist، وورنر جلتيس Warner Gelltys)، وبحصوله على درجة الماجستير فى الفلسفة (١٩٣٢)، دخل جامعة هارفارد باهتمام أولى بالنظرية السوسيولوجية تحت إشراف تالكوت بارسونز Tallcott Parsons، ودراسة الأسرة تحت إشراف لويد وورنر W. Lloyd Warner، وبكونه طالبًا للدراسات العليا ولاحقًا كعضو حديث فى كليات جامعة كلية سمث وجامعة كلارك، فإن دافيز شارك فى الجماعة النقاشية المشهورة لتالكوت بارسونز، فتعرف هناك على علماء الاجتماع المتأخرين البارزين من أمثال: إميل بنوا – سمولیان Emile Benoit-Smullyan، روبرت بيرستد Robert Bi-erstedt، وإدوار ديفروكس Eduard De-vereaux، روبرت مرتون Robert K. Merton ولوجان ولسون Logan Wilson. وعندما ظهر كتاب بارسونز بناء الفعل الاجتماعى *The Structure of Social Action* (عام ١٩٣٧) كان دافيز قد حصل على درجة الدكتوراه عام ١٩٣٦، ولكنه استخدم هذا الكتاب فى سمنارات الجامعة الخاصة بالدراسات العليا. وبهذا طور قدرته فى النظرية الاجتماعية. وبعد أن عمل كرئيس لقسم الاجتماع فى جامعة بنسلفانيا الحكومية

(١٩٣٧ - ١٩٤٤)، حصل على درجة الزمالة لما بعد الدكتوراه من المجلس البحثي للعلم الاجتماعي لدراسة الإحصاءات، الرياضيات، والديموجرافيا، تحت إشراف صموئيل استوفر Samuel A. Stouffer في جامعة شيكاغو من جانب ومكتب الإحصاء السكاني من جانب آخر. وقام بعمل دراسة ميدانية في المنطقة المحيطة بالمدينة الجبلية لليرز Lares في برتوريكو.

بهذا الإعداد المتنوع والفني، توجه ديفيز إلى جامعة برينستون، فالتحق في بداية الأمر بمكتب البحث السكاني، ثم بعد ذلك كباحث نصف الوقت في مدرسة ولسون للشئون العامة، وانتهى به الأمر في قسم الاقتصاد كأستاذ مشارك في الأنثروبولوجيا وعلم الاجتماع، وقد عهد إليه البدء في برنامج في هذين المجالين. واستقدم ديفيز إلى جامعة برنستون كلا من ويلبرت مور Wilbert E. Moore، وبول هات Paul K. Hatt وملفين تومين Melvin Tumin وإدوار ديفروكس Edward Devereaux وماريون ليفي Marion J. Levy وهاري برميير Jr. Harry Bredemeier، الذين سرعان ما جعلوا ذلك القسم واحداً من أفضل الأقسام في أمريكا. وبعد ذلك انتقل ديفيز إلى جامعة كولومبيا (١٩٤٨ - ١٩٥٠) ثم إلى جامعة كاليفورنيا في بركلي (١٩٥٥ - ١٩٧٧)، وقد ميز منظوره الواسع للديموجرافيا الاجتماعية من نطاق تدريسه في حجرات الدراسة. والمثال على ذلك أنه قبل أن تصبح الإيكولوجيا (موضة) بعقدين كان قد جعل حوالي عُشر القراءات المقررة عن مادته الأساسية تدور حول العلاقات الأيكولوچية المعقدة التي تؤثر على نوعية الحياة. وفي تدريسه كما في كتاباته، كانت بحوثه الديموجرافية وسيلة لفهم أعمق للسلوك الإنساني والبناء الاجتماعي، ومعياراً لتقييم السياسات الهادفة لتحسين الرفاهية الإنسانية.

كانت موضوعات أولى الأوراق البحثية المنشورة لديفيز تدور حول

السلوك الجنسى، والأسرة، وعلاقات الطفل بالوالدين، وبالتالى (وإن يكن بطريق العرض) الخصوبة - وقد تم تحليل ذلك كله بأسلوب **البارسونزية الجديدة**. وهذا معناه أنه كان يتناول موضوعات تتم مناقشتها فى العامة عاطفيًا وأخلاقيًا، ويحاول أن يبين لماذا تستمر كل هذه الممارسات المرفوضة. فإحدى "وظائف" البغايا، على سبيل المثال، هى تقديم منفذ جنسى للرجال الذين يفتقدون العلاقة الشرعية. وعدم الشرعية، بالمماثلة، ليست "مشكلة اجتماعية" فحسب، ولكنها غياب الشرعية، وهو المبدأ (متبعًا فى ذلك **برونيسلاف مالينوفسكى** Bronislaw Malinowski) الذى عرفه بالرابطة الضرورية الوظيفية التى تربط الأب مع الطفل فى مؤسسة تربوية، الأسرة الكاملة، والتى وجد بعض زملائه أن هذه الأجزاء مثيرة وغريبة، بينما رفض البعض الآخر ما كتبه **ديفيز وألبرت مور** عن التمايز لأنه فى هذه الحالة كانت المعتقدات الراسخة لدى الأكاديميين الليبراليين هى موضع للتحليل القاسى. وعلى الرغم من التساؤلات المتكررة خلال القرون عن المساواة الاجتماعية، والأسباب التى تؤدى إلى استمرار البناء الطبقى رغم كل الجهود للقضاء عليها. ذهب ديفيز ومور، إلى أن ذلك يرجع إلى أن الذين يحملون الأعباء المهمة هم أهم العناصر لاستمرار "الحياة المجتمعية" خاصة إذا كانت تلك الأعمال تتطلب ذكاءً عاليًا وتدريبًا طويلاً يستوجب المكافأة باحتلال مكانة عالية، ودخل مرتفع، ورفاهية عريضة وما إلى ذلك (**دافيز ومور**، ١٩٤٥). وخلال المناقشة التى يبدو أنه ليس لها نهاية كان المعارضون يتشككون فيما إذا كانت القيم فى المجتمعات الواقعية، تتوزع حقًا طبقًا لمبدأ العدالة ، وكان رد الفعل الفظ هو الرفض المهين لأسطورة المساواة.

وكانت ذروة الإنتاج فى هذه المرحلة المبكرة هى كتابه الفذ ***المجتمع الإنسانى*** *Human Society (1949)*؛ الذى اعتمد اعتمادًا شديدًا على البيانات الإثنوجرافية لتوضيح المبادئ

العامة للتحليل المجتمعي. ولقد كانت مهارة ديفيز في هذا العرض هي – كما يجب أن تكون – دائمًا غير ظاهرة، كما أن النظرية الوظيفية التي تحدد محتويات المجلد كانت هي أيضًا كامنة تحت السطح. وبتطوير مهاراته في التحليل الإحصائي والديموجرافي، أصبح ديفيز أقل افتتانًا بالنظرية اللفظية الخالصة، وأقل اقتناعًا بأن الأنماط الثقافية تحدد السلوك، وأكثر اهتمامًا بالنظريات الديموجرافية والاقتصادية/الاجتماعية التي يمكن إبرازها وتوثيقها واختبارها بالبيانات الرقمية.

وتتركز أحد اهتمامات ديفيز الثابتة على المدن. فكتب في عام ١٩٤٦ مع أنا كاسيس Ana Casis،مقالاً عن *"التحضر في أمريكا اللاتينية"* ولقد نظم ديفيز في **بركلي وحدة البحث الحضري والسكان العالمية**، التي تولت على سبيل المثال رعاية عدد كبير من المؤتمرات، ثم نشر مجموعة الأبحاث فيما بعد تحت عنوان **مستقبل الحياة الحضرية في الهند** (سمنار... ١٩٦٢)، كما نشرت سلسلة من سبع عشرة دراسة. والأكثر أهمية من ذلك هو إصداره مع زملائه المشاركين مجموعة متميزة من الإحصاءات عن مدن العالم. ولقد تم تنقيح مهم لهذه الأعمال التي نشرت من قبل الأمم المتحدة الغنية، كما استعان في **المجلد الثاني** بالأشكال التوضيحية لتحليل التحضر العالمي ١٩٥٠ – ١٩٧٩ (١٩٦٩ – ١٩٧٢). وفي عام ١٩٧١ أصبح **ديفيز** أستاذ كرسي Ford لعلم الاجتماع والدراسات المقارنة في **جامعة كالفورنيا** في بركلي، كما عُين في عام ١٩٧٧ أستاذًا مميزًا لعلم الاجتماع في جامعة **كاليفورنيا الجنوبية**.

وبينما كان يعمل على نشر قائمة طويلة من أعماله المتميزة، والتدريس للعديد من التلاميذ، الذين يدينون لأسلوبه التربوي وجد ديفيز الوقت لتطوير مجال تخصصه في تولي وظائف تستهلك كثيراً من الوقت. فقد كان عضواً ثم رئيسًا لشعبة العلوم السلوكية في **مجلس البحث الوطني**

حين بدأ هذا المجلس توسيع مجاله من العلوم الفيزيقية إلى العلوم الاجتماعية. وكما كان أول سوسيولوجي ينتخب عضواً في **الأكاديمية القومية للعلوم**، وتطلب ذلك منه بذل الجهد المضني حتى لا يكون هو آخر سوسيولوجي يدخل الأكاديمية. ولقد أصبح بعد ذلك رئيساً **للجمعية السوسيولوجية الأمريكية والجمعية الأمريكية للسكان**، ولقد عمل في ترادفية مريحة مع الأنثربولوجيين والاقتصاديين. وقد توجت جهوده المستمرة لشرح الاتجاهات الاجتماعية للجمهور العادي إلى قيام علاقة مثمرة جداً مع الناشرين لمجلة Scientific American.

ولقد كان **لكنجزلي ديفيز** العديد من المجالات المهنية المتداخلة، فلا تزال أعماله عن **الهند**، حتى بعد سنوات من نشرها، تعتبر مصدراً موثوقاً بها. ومن أول بحث ميداني له في **بورتريكو**، أفلح في تطوير معرفة متزايدة عن **أمريكا اللاتينية**. وقد ترجم العديد من كتبه ومقالاته إلى الإسبانية، كما كتب مقالين من أفضل مقالاته الأخيرة بالإسبانية وهما:

"A preciacion critica de Malthus" (1951b) and "Las causas efcctes del fen?neno de primacia urbana" (1962).

وقد أبدى كفاءة عالية في كل المجال الاجتماعي باستثناء علم النفس. ولكن جهود حياته العلمية لم تكن متناثرة، وإنما تؤلف وحدة متميزة وتتبع خطاً واضحاً لتطورها، مرتبطاً باهتماماته الحثيثة ونظرته البحثية الواضحة لتحقيق التميز المطرد.

المؤلف: William Peterson

المترجم: محمد أحمد بيومي

1937*a* Reproductive Institutions and the Pressure for Population. *Sociological Review* 29:1–18.

1937*b* The Sociology of Prostitution. *American Sociological Review*. 2:744–755.

1939 Illegitimacy and the Social Structure. *American Journal of Sociology* 45:215–233.

1940 Extreme Social Isolation of a Child. *American Journal of Sociology* 45:554–565.

1941 Intermarriage in Caste Societies. *American Anthropologist* 43:376–395.

1942 A Conceptual Analysis of Stratification. *American Sociological Review* 7:309–321.

1944 Children of Divorced Parents: A Sociological and Statistical Analysis. *Law and Contemporary Problems* 10:700–720.

1945 DAVIS, KINGSLEY; and MOORE, WILBERT E. Some Principles of Stratification. *American Sociological Review* 10:242–249.

1945 'AMERICAN ACADEMY OF POLITICAL AND SOCIAL SCIENCE, PHILADELPHIA. *World Population in Transition*. Edited by Kingsley Davis. Philadelphia: The Academy. → Its *Annals*, volume 237.

1946 DAVIS, KINGSLEY; and CASIS, ANA Urbanization in Latin America. *Milbank Memorial Fund Quarterly* 24:186–207, 292–314.

1947 Final Note on a Case of Extreme Isolation. *American Journal of Sociology* 52:432–437.

1949 *Human Society*. New York: Macmillan.

1951*a* Apreciación crítica de Malthus. Introduction to T. R. Malthus, *Ensayo sobre el Principio de la Población*. Mexico City: Fondo de Cultura Económia.

(1951*b*) 1968 *The Population of India and Pakistan*. New York: Russell.

1955 The Origin and Growth of Urbanization in the World. *American Journal of Sociology* 60:429–437.
1956 The Amazing Decline of Mortality in Underdeveloped Areas. *American Economic Review* 46: 305–318.
1956 DAVIS, KINGSLEY; and BLAKE, JUDITH Social Structure and Fertility: An Analytic Framework. *Economic Development and Cultural Change* 4:211–235.
1959 The Myth of Functional Analysis as a Special Method in Sociology and Anthropology. *American Sociological Review* 24:757–772.
1962 Las causas y efectos del fenómeno de primacía urbana con referencia especial a America Latina. Berkeley: University of California, Institute of International Studies, *Reprint* 144:361–379.
1963 DAVIS, KINGSLEY; and LANGLOIS, ELEANOR *The Future Demographic Growth in the San Francisco Bay Area*. Berkeley: University of California, Institute of Governmental Studies.
1967 Population Policy: Will Current Programs Succeed? *Science* 158:730–739.
1969–1972 *World Urbanization: 1950–1970*. 2 vols. Berkeley: University of California, Institute of International Studies. → Volume 1: *Basic Data for Cities, Countries, and Regions*. Volume 2: *Analysis of Trends, Relationships, and Development*.
1975 Asia's Cities: Problems and Options. *Population and Development Review* 1:71–86.
1976 Population Policy and the Theory of Reproductive Motivation. *Economic Development and Cultural Change* 24, Special Supplement.

KUMAR, JOGINDER 1973 *Population and Land in World Agriculture: Recent Trends and Relationships.* Berkeley: University of California, Institute of International Studies. → Companion study to the two-volume work, *World Urbanization* (1969–1972) by Kingsley Davis.

PARSONS, TALCOTT (1937) 1949 *The Structure of Social Action: A Study in Social Theory With Special Reference to a Group of Recent European Writers.* Glencoe, Ill.: Free Press.

SEMINAR ON URBANIZATION IN INDIA, BERKELEY, CALIFORNIA. *1960* 1962 *India's Urban Future.* Edited by Roy Turner. Berkeley: Univ. of California Press. →Selected studies from an international conference sponsored by Kingsley Davis et al.

شتال ، هنرى إتش

STAHL , Henry H.

ولد هنرى إتش شتال فى بوخارست برومانيا عام ١٩٠١ وتحول فى عام ١٩٢٦ إلى دراسة العلم الاجتماعى فى جامعة بوخارست بعد أن كان درس القانون واشتغل بالمحاماة لفترة قصيرة . وقد كانت العشرينيات ومعظم الثلاثينيات فترة ذهبية بالنسبة لتاريخ حرية التفكير فى رومانيا، كما شهدت مناقشات ومجادلات حيوية ومستمرة حول فوائد الأيديولوچيات المعارضة للسلطة فى أوروبا . وقد ربطت تلك المناقشات بين الأيديولوچيا والنظرية الاجتماعية فى محاولة لتقييم طبيعة تاريخ رومانيا وأسباب التخلف النسبى للأوضاع السائدة هناك . وقد لجأ شتال إلى الاشتراكية والتحليل الماركسى لتاريخ رومانيا الاجتماعى وذلك قبل أن يصبح ذلك المنحى أداة مطلوبة سياسيا بوقت طويل .

ولقد تعرض تفكير شتال فى جامعة بوخارست لتأثير المؤرخ القومى المحافظ نيقولاى إيورجا Nicolai Iorga وعالم الاجتماع المصلح الليبرالى المعتدل ديمترى جوستى Dimitrie Gusti واكتسب من العمل معهما منظورا فريدا للتاريخ الزراعى فى رومانيا وربط بين البحث الميدانى الموسع فى القرى التى كانت لاتزال أبعد القرى الأوروبية عن التحديث وبين المعرفة التفصيلية بالمصادر الوثائقية عن تاريخ رومانيا ، كما شارك فى المناقشات الأيديولوچية المعاصرة وفى فريق جوستى لصياغة برامج الإصلاح لمساعدة الفلاحين .

وقد بدأ شتال التدريس بجامعة بوخارست عام ١٩٢٨ تم تولى منصب الأستاذية عام ١٩٣٩ وهى السنة التى حصل فيها على الدكتوراه فى علم الاجتماع . وأهم أعماله التى ساعدت على منحه هذه الدرجة العلمية كانت إشرافه على فرق البحث فى جبال ڤرانشيا Vrancea وهى إحدى آخر المناطق فى أوروبا التى كانت تحتفظ

بالقرى الجماعية (١٩٤٠) ، وكذلك إشرافه على إجراء البحوث فى القرى التى خضع سكانها للسخرة ، وتلك التى كانت تتمتع بالحرية ولكن كانت تتبع نظم الملكية الخاصة وليس الملكية الجماعية . وقد أدت المقارنة بين هذه النماذج من المجتمعات الريفية التى تتباين فى أشكال حقولها والنظم الاجتماعية والظروف الإيكولوچية إلى أن يعيد البناء النظرى لتاريخ رومانيا الزراعى ، وانتهى من خلال تدعيم رسالته بالأدلة الوثائقية إلى أن رومانيا لم تعرف أبدا نظام الإقطاع وإنما انتقلت مباشرة من مرحلة أشبه بالكوميونالية communalism التى تقوم على المساواة إلى الاستغلال الرأسمالى . وعلى أية حال فإن الرأسمالية حولت فلاحى رومانيا إلى عبيد وأوجدت اقتصادا ريفيا راكدا ومتخلفا .

وقد طور شتال بدون مشاركة من الآخرين منهجا للبحث التاريخى يشبه المنهج الذى استحدثه مارك بلوخ Marc Bloch فى فرنسا فى فترة ما بين الحربين العالميتين، وهو منهج يعتمد على "قراءة التاريخ بالبدء من الحاضر والرجوع به إلى الماضى" انطلاقا من البيانات المادية والثقافية والاجتماعية المتعلقة بالحاضر. وكانت هذه هى المرة الأولى التى استخدم فيها هذا المنظور فى رومانيا . وقد أثار ذلك المنظور كثيرا من الشكوك حول كل الكتابات السابقة عن الماضى ""الاقتصادى" المزعوم لرومانيا . وفى عام ١٩٤٧ قام شتال بتلخيص بعض النتائج التى توصل إليها فى عمله عن "سوسيولوچيا القرية الجماعية فى رومانيا" *The Sociology of the Romanian Communal Village*

فى عام ١٩٤٨ قرر الحزب الشيوعى فى رومانيا حظر تدريس علم الاجتماع باعتباره "علما برچوازيا" وبذلك فقد شتال وظيفته فى الجامعة وحقه فى النشر، وإن كان سمح له بمواصلة العمل على المصادر الوثائقية. وفى عام ١٩٥٨ منح حق نشر المجلد الأول من عمله الكبير *"إسهامات فى دراسة القرى الجماعية فى رومانيا"* **Contributions to the Study of Roma-**

"nian Communal Villages"، ونشـــر المجلد الثانى عام ١٩٥٩ ، ولكن أفكاره وبخـاصـة نظريتـه عن عـدم وجـود استعباد أو حتى إقطاع فى رومانيا قبل الرأسمالية كانت تعتبر أفكارا خارجة لأنها تتحدى التفسير الدوجماطيقى السائد فى العالم الشيوعى للتاريخ . ولم ينشـر المجلد الثـالث إلا فى عـام ١٩٦٥ .

وتؤلف هذه الأعمال مع عشرات المقالات وبحوث المؤتمرات واحدة من أهم الدراسات الإمبيريقية فى أوروبا عن أحوال الإنتاج قبل الإقطاعى وقبل تدخل الدولة ، كما أنها تفسر بكثير من التفصيل التغيرات التى طرأت على هذه الأشكال من الإنتـاج بعـد اتصـالها بالرأسمالية . وقد عرض أثناء محاولته التدليل على قصور التفسيرات السائدة للإقطاع بعض النتـائج التى قـد تكون مفيدة فى تحليل المجتمعات الأخرى فى شرق أوروبا وكثير من مجتمعات العالم الثـالث . وإذا كـانت تلك التفسـيرات سـببت له بعض المتاعب من حين لآخر مع السلطات فـإنها سـاعـدته على أن يسهم إسهامات أصيلة فى التأريخ his-toriography الماركسى (كـمـثـال عن أهمية هذه الموضوعات انظر على وجه الخصوص مقدمة هوبزبوم Hobs-bawm للترجمة التى ظهرت عام ١٩٦٥ لبعض أعمال ماركس فى الفترة ١٨٥٧ - ١٨٥٨) .

فى عـام ١٩٦٩ توسع شـتـال فى آرائه فى عـمله "Controversies of Ro-man History" وفى سلسلة مقالات عن التـاريخ الزراعى لرومـانيـا القـديمة (ڤالاشيا ومولدوڤيا) وقارنه بتاريخ ترانسلڤـانيـا التى اتبـعت تحت الحكم الهنغارى نموذج التطور الغربى . وفى عام ١٩٧٢ نشر عمله "دراسات فى علم الاجتمـاع التـاريخى " الذى واجه فيه مشكلة الشكل الأسيوى للإنتاج وانتهى إلى أنه على الرغم من فـائدة ذلك التصور فلا بد من تعديله ليتناسب مع حالة رومانيا . فالتجارة والضرائب وليس الرى والطغيان كانتا هما المكونين الاسـاسـيين ، كـمـا أنه تحت الأبنيـة

الزائفة للدولة فى رومانيا القرتين الثالث عشر والرابع عشر ظلت القرى محتفظة بطابعها الريفى الحر الجماعى إلى حد كبير .

بعد عام ١٩٤٨ تبين لشتال أنه بات من المستحيل عليه أن يستمر فى ممارسة أنشطته الاجتماعية فى القرى، ولكن نظرا لحالة الاسترخاء الأيديولوچى التى بدأت فى أوائل الستينيات أعيد الاعتراف بعلم الاجتماع كما أعيد لشتال كرسى أستاذية علم الاجتماع عام ١٩٦٦ وبدأ يتولى بالتالى تدريب جيل جديد تماما من الباحثين السوسيولوچيين وتوجيههم توجيها عمليا حرص فيه على أن يدربهم على طريقة وضع الأسئلة ذات الأهمية الخاصة وتعريفهم بالنظرية الكلاسيكية فى علم الاجتماع ، بل وإرشاد بعضهم إلى طريقة الكتابة . وكان أهم ما نتج عن هذه الجهود المجلدات التى أشرك فى تأليفها بعض تلاميذه لتدريبهم على أسلوب العمل الميدانى فظهر كتاب "قريتان *Two Villages*" عام ١٩٧٠ الذى شارك فيه ميهايل سرنيا **Mihail Cernea** وتشيبس **Gh. Chepes** وفيه مقارنة بين إحدى المزارع الجماعية الناجحة ومزرعة أخرى فاشلة . وبينما عجز المؤلفون عن تفسير ذلك التباين فإن الكتاب نفسه يضم قدرا هائلا من المعلومات والبيانات عن المزارع الجماعية . أما العمل الثانى الذى اشترك فى تحريره مع ميرون كونستانتينسكو **Miron Constantinescu** فإنه يشتمل على تفاصيل النمو الهائل لمدينة صناعية نموذجية فى رومانيا (١٩٧٠) كما يشتمل على تحليل لبعض المشكلات الخاصة وفوائد هذا النوع من النمو السريع المتفرع . وقد ألف شتال بعد ذلك كتابا للطلاب استعان به فى تدريس مناهج البحث الاجتماعى (١٩٧٤ – ١٩٧٥)

وخلال حياته المهنية الطويلة تولى شتال تعليم عدة أجيال من طلاب العلم الاجتماعى الذين خضعوا لتأثيره الشديد. وقد أصبح بعضهم مثل ميرون كونستانتينسكو أعضاء مؤثرين فى

الحزب الشيوعي بينما تمكن البعض الآخر من الهرب إلى الغرب حيث أصبحوا من علماء الاجتماع البارزين كما هو حال ماتاى دوجان Mattei Dogan. أما فى رومانيا ذاتها فإن أهم عمل ظهر بعد عام ١٩٤٨ فى علم الاجتماع (Cernea 1971) يعترف بالفضل الكبير لشتال. بل إنه حتى فى الخارج - فى فرنسا والولايات المتحدة - (e.g. Chirot 1976) أثرت أعمال شتال وتعليمه فى المؤرخين الاجتماعيين . وقد واصل بعض تلاميذه الذين ظلوا فى رومانيا الكتابة والدراسة والمحافظة على تقاليد البحث الاجتماعى والتاريخى المتميزة التى أرسى شتال قواعدها. ولكن مما يؤسف له أن البيئة الكوزموبوليتانية التى أنجبت شتال انحسرت عن رومانيا التى لم تعد تعرف التسامح مع نوع البحث الحر الذى كان شتال يقوم به ، وهذه خسارة فادحة بالنسبة لرومانيا إذ كانت تلك البحوث مثمرة ومفيدة فى مجال التاريخ الاجتماعى وكان يمكن أن تكون مثمرة ومفيدة بالمثل فى حل المشكلات العسيرة المعاصرة .

المؤلف : Daniel Chirot

المترجم : أحمد أبوزيد

× توفى هنرى إتش. شتال فى التاسع من سبتمبر عام ١٩٩١ (المترجم)

1940 *Nerej: Un village d'une région archaique.* 3 vols. Bucharest: Institut de Sciences Sociales de Roumanie.

1947 *Sociologia satului devălmaş românesc* (The Sociology of the Romanian Communal Village). Bucharest: Editura Institutului Social Român.

1958–1965 *Contribuţii la studiul satelor devalmăşe romănesti* (Contributions to the Study of Romanian Communal Villages). 3 vols. Bucharest: Editura Academiei Republicii Socialiste România. → A summary of these volumes, under the title *Les anciennes communautés villageoises roumaines: Asservissement et pénétration capitaliste*, was published in Paris in 1969 by the Centre National de la Recherche Scientifique. The French work was translated into Italian in 1976.

1969 *Controverse de istorie socială românească* (Controversies of Romanian History). Bucharest: Editura Ştiinţifică.

1970 STAHL, HENRI H.; CERNEA, MIHAIL; and CHEPEŞ, GH. *Doua sate: Structuri sociale şi progres technic* (Two Villages: Social Structures and Technical Progress). Bucharest: Editura Politică.

1970 STAHL, HENRI H.; and CONSTANTINESCU, MIRON (editors) *Procesul de urbanizare în R. S. România, zona Slatina-Olt* (The Process of Urbanization in the Socialist Republic of Romania: The Slatina-Olt Area). Bucharest: Editura Academiei Republicii Socialiste România.

1972 *Studii de sociologie istorică* (Studies in Historical Sociology) Bucharest: Editura Ştiinţifică.

1974–1975 *Teoria şi practica investigaţiilor sociale* (The Theory and Practice of Social Investigations).

2 vols. Bucharest: Editura Ştiinţifică. → Volume 1 is subtitled *Metode şi tehnici* (Methods and Techniques). Volume 2 is subtitled *Cercetările interdisciplinare zonale* (Interdisciplinary Area Research).

SUPPLEMENTARY BIBLIOGRAPHY

CERNEA, MIHAIL 1974 *Sociologia Cooperativei Agricole* (The Sociology of Agricultural Cooperatives). Bucharest: Editura Academiei Republicii Socialiste România.

CHIROT, DANIEL 1976 *Social Change in a Peripheral Society: The Creation of a Balkan Colony.* New York: Academic Press.

MARX, KARL (1857–1858) 1953 *Grundrisse der Kritik der politischen Ökonomie.* Berlin: Dietz. → Written in 1857–1858; first published posthumously by the Marx-Engels-Lenin Institute, Moscow, in 1939–1941. A partial English translation, with an introduction by Eric J. Hobsbawm, was published in 1965 as *Pre-capitalist Economic Formations* by International Publishers.

BIBLIOGRAPHY

The author has occasionally quoted, with permission, from a memorial resolution written by George B. Tindall for presentation to the faculty of the University of North Carolina at Chapel Hill. He also has benefited from John Shelton Reed's introduction to a forthcoming collection of Vance's writings.

ڤانس ، روبرت بى .

Vance, Rupert B.

عرف روبرت بايليس ڤانس Rupert Bayless Vance بعـد وفـاته (١٨٩٩-١٩٧٥) بالأستاذ الفخرى لعلم الاجتماع فى جامعة نورث كارولينا فى تشاپل هيل North Carolina at Chapell Hill، فقد نشأ كمزارع فى قرية بلمر فيل ، أركانساس Plumer-ville, Arkansas، كان والده يدير المزرعة ويملك مخزنا فى المدينة ، بينما كانت والدته تعمل بالتدريس . وقد تعرض فانس فى الثالثة من عمره لفيروس شلل الأطفال أدى إلى إعاقته وتحركه بكرسى متحرك بقية حياته. كان يقرأ بنهم منذ الطفولة المبكرة ، ويهتم بالكتب وبالأحداث المحيطة اهتماما تميز بالتحليل والدقة. ولم يعزل نفسه عن سائر أقرانه ، رغم عجزه عن أداء كثير من الأشياء التى يقوم بها معظم الأولاد .

أمضى ڤانس مشوار حياته فى الجنوب ، وتوحد – بشدة – مع المنطقة ، وبدأ أعماله السوسيولوچية فى مركز دراسات المنطقة الجنوبية الذى أسسه وطوره هوارد. دابليو . أودم Howard W. Odum فى تشابل هيل ، وعاصر فى هذا المركز بعض الأكاديميين أمثال : هاريت . وال . هيرنج Harriet L. Herring، وكاثريان چوشير Katharine Jocher، وجاى بى. چونسون Guy B.Johnson. وقد اقترنت السنوات الأولى لحياة فانس بالكساد العظيم فى الثلاثينيات .

اكتسب شهرته بفضل كتاباته المبكرة التى اتسمت بالقدرة على المزج بين حالة الكساد العظيم وتوحده مع الريف فى الجنوب . ففى رسالته التى أعدها تحت إشراف أودم Odum والمعنونة "العوامل الإنسانية فى ثقافة القطن" Human Factors in Cotton Culture (1929)، درس مشاكل الجنوب ، وكانت رسالة متميزة جمعت بين تحليل زراعة القطن

باعتباره نسقا اجتماعيا Social System وبين وصف ملموس لحياة صغار المزارعين والمساهمين . أما كتابه الآخر "الجغرافيا البشرية للجنوب" . Human Geography of the South (1932، فكان بحثا متميزا استند إلى الچيولوچيا ، والجغرافيا ، والإيكولوچيا ، والاجتماع ، والاقتصاد ، عند شرح طرق الحياة المختلفة فى المناطق الفرعية للجنوب . وقد تناولت معظم مؤلفات ڤانس - خلال فترة الثلاثينيات - ما كان يطلق عليه - آنذاك - مشاكل "الإنسانية" فى الجنوب Human Problems of the South. مثل : (العوامل الإنسانية لإعادة التكيف فى الجنوب الزراعى) . Human Factors in the Souths Agricultural Readjustment (1934 وكتاب كيف يسكن النصف الآخر : سجل مصور لمساكن ما تحت الخط الأدنى فى مزارع الجنوب *How the Other Half is Housed: A Pictorial Record of Subminimum farm Housing in the South (1936)* وكتاب "مزارعون بلا أرض" *Farmers Without Land (1937)* . وكان علم الاجتماع فى شابل هيل عام ١٩٣٠ يركز على البحوث ذات التوجه السياسى فى الجنوب . وكان أودم يحث معظم أعضاء القسم على الأخذ بهذا المنحى ، ولكن ڤانس حاول تطوير أفكاره واتجاهاته الخاصة ، ولم يعد مجرد تابع لأفكار أودم .

كان ڤانس عالما فى مجال العلوم الاجتماعية والإنسانية ، ولم يكن محدودا فى مجال علم الاجتماع . فقراءاته فى مرحلة الطفولة تركزت أساسا فى مجال التراث الأدبى الإنجليزى والأمريكى ، وحصل على درجة البكالوريوس A. B عام ١٩٢٠ من كلية هندرسون براون Henderson-Brown College فى أركانساس تخصص لغة إنجليزية وعلوم اجتماعية ، ثم التحق بعد ذلك بجامعة ڤاندربت Vanderbit، وحصل على درجة الماچستير فى الاقتصاد ، ثم قام بتدريس اللغة الإنجليزية لمدة سنتين فى مدرسة ثانوية فى تاليهينا Talihina فى

أوكلاهوما ، وسنتين كمشرف فى كلية جورجيا الجنوبية (١٩٢١-١٩٢٥) .

درس ڤانس - خلال هذه السنوات الأولى - الظروف الاجتماعية فى مناطق مختلفة فى الجنوب. وقد شاهد الفقر ، والبلاجرا (نقص فيتامين ب) والإنكلستوما ، وأحوال الناس الكاشفة عن فقرهم والمعبرة عن الأرض المستنزفة . رغم هذا المشهد الكئيب الذى يثير الإحباط لدى أصحاب المشاعر الرقيقة ، فإن ڤانس كان متفائلا إلى حد اقتناعه بأن علم الاجتماع يمكن أن يكون قاطرة لتحسين أحوال المنطقة ، وعندئذ قرر أن يكون عالما اجتماعيا. وقد علم بوجود قسم للاجتماع أسسه أودم Odum عام ١٩٢٠ فى : تشابل هيل وكذلك مؤسسة أودم للبحث فى العلوم الاجتماعية التى أسسها عام ١٩٢٤ ، إلى جانب مجلة أودم "القوى الاجتماعية" Social Forces التى بدأت النشر عام ١٩٢٢ وتخصصت فى مشكلات الجنوب (فى ذلك الوقت) وذهب ڤانس إلى نورث كارولينا North Carolinaعام ١٩٢٦، وحصل على درجة الدكتوراه PH. D. وعلى درجة أستاذ مساعد عام ١٩٢٨ ، واستمر فى تشابل هيل طيلة حياته الأكاديمية .

لم يكف ڤانس أبدا عن اعترافه العميق بفضل أودم عليه فكريا ، إلا أنه بعد عام ١٩٣٠ ساوره الشك فى جدوى مفهوم "الإقليمية" Regionalism الذى وضعه أودم باعتباره وسيلة وأداة للتخطيط فى العلوم الاجتماعية . فالإقليمية لا تعتبر مفهوما تحليليا أو نظرية ، وإنما هى قاعدة إمبيريقية انتقائية ، اعتمد عليها علماء العلوم الاجتماعية فى توضيح الحقائق وسبر أغوار النظم التى يرون ملاءمتها لتقديم الحلول وفهم المشاكل . والإقليمية بالنسبة لڤانس قد تكون مقدمة مفيدة ، ولكنها أقرب إلى قراءة "الجغرافيا البشرية للجنوب" . وقد أعطت كتابات ڤانس المستمرة - خلال فترة ازدهار مفهوم الإقليمية الذى وضعه أودم Odum - الانطباع بأنه

كان سيكتب عن الإقليمية بصرف النظر عن خضوعه لهذا المفهوم أو عدمه . وفى السنوات الأخيرة ، نظر فانس إلى الإقليمية من الزاوية السياسية باعتبارها إطارا مرجعيا لتنظيم برامج الإصلاح ، والتى لم تعد تمثل أهمية أساسية فى الجنوب بعد الحرب العالمية الثانية . وعلى حد قوله "إن المهمة الجديدة قد تمت" *The New Deal has been Dealt*

وتحول اهتمام فانس - منذ حوالى عام ١٩٤٠ - من بحوث الفقر فى الجنوب إلى الاهتمام بالبحوث فى مجال الديموجرافيا ، والإيكولوچيا البشرية ، رغم استمرار كتاباته عن الجنوب. وقد اعتبر الديموجرافيون عمله الأساسى الثالث : "كل هؤلاء البشر ؛ الموارد البشرية للدولة فى الجنوب *All These People: The Nations Human Resources in the South (1945)* النموذج فى ذلك الميدان . فقد بذل الكثير من الجهد فى إجراء المسح عن التركيب السكانى والعمليات الإحصائية فى التعامل مع سكان الجنوب وعرضها فى ١٤٦ جدولا ، و٢٨ رسما بيانيا ، ومجلد يحتوى على ٥٠٣ صفحات . وفى مجال الإيكولوچيا البشرية ، كانت أهم إسهاماته الورقة المشتركة مع سارا سميث Sara Smith عن "سيطرة الميتروبوليتان والتكامل" Metropolitan Dominance and Integration عام (١٩٥٤) ، التى عرضت تحليلا للشبكات الحضرية البازغة فى الجنوب. واستعانت بدراسة إمبيريقية لتوضح أن الإيكولوچيا البشرية هى مسألة تنظيم اجتماعى وليست مجرد إجراءات تنظيمية للفراغات ، خاصة فى عصر التواصل الفورى .

ويعتبر فانس - بصورة ما - متخصصا فى شئون الجنوب ، ولكنه بالتأكيد ليس محدودا بالإقليمية أو الرومانسية الزراعية ، إذ كان مقتنعا تماما بأن الجنوب مصيره الحتمى الدخول فى مسار المجتمع الحضرى القومى . ولكنة كان يعتقد أيضا أن

الإقليم يستطيع الإبقاء والاحتفاظ ببعض طابعه الريفي وبنوعية حياة المدن الصغيرة ، وتجنب مشاكل المدن الكبرى التي كانت مصدر إزعاج لمناطق أخرى (١٩٥٤). وكانت هذه الآمال بمثابة تنبؤات لكل من الجنوب والشمال. فالتصنيع في الجنوب استمر في المدن الصغيرة بصفة مستمرة ، وفي البلاد الصغيرة ، والمناطق الريفية countryside. وحين وفاة فانس ، كانت الصناعات قد انتقلت من المدن المركزية إلى المناطق الخضراء ، الأقل تكدسا (والأقل تعرضا للضرائب) . وقد خطا الجنوب خطوات سريعة خلال حياة فانس المهنية ، والتي أشار إليها في كتاباته . ففي أعماله الأولى المتميزة قام بإجراء مسح لمناطق أقطان كنج التي يسودها القمع والاستبداد . وقبل تقاعده كتب مقالا بعنوان "مابعد الملاهي المترفة "Beyond Fleshpots (1965)، حيث أشار إلى أن خط إنتاج ماسون - ديكسون لم يعد الستار الحديدي ضد مجتمع الوفرة" ، ونادى بضرورة انتقال المنطقة إلى الثقافة العليا.

وقد تعدى تأثير فانس حدود كتاباته . فقد عمل كمستشار للهيئة القومية لتخطيط الموارد National Resources Planning Board، ومجلس بحوث العلوم الاجتماعية Social Science Research Council، ومؤسسة الصحة القومية National Institute of Health، ومكتب الإحصاء ، وفي الأمم المتحدة ، أثرت دراساته - بطريقة مباشرة - في برامج استئجار المزارع عند إبرام العقود الجديدة . وكان محررا لمجلة القوى الاجتماعية Social Forces لمدة ٢١ عاما ، ثماني سنوات منها بالاشتراك مع جاى . بى . جونسون Guy B . Johnson، وأشرف على عدة رسائل علمية ، وعاون الطلبة الخريجين في شق طريقهم العلمي من خلال نشر بحوثهم ، وذلك قبل ذيوع استخدام هذا الأسلوب . وقد أثر في مكتب الإحصاء بطريقة غير مباشرة من خلال تقلد تلاميذه مناصب مهمة فيه ، وأيضا من خلال الدراسات التي قام بها .

لم يكن ڤانس من الملتزمين دائما بالتفكير النظرى systematic theorist، إذ كانت معظم كتاباته تهدف إلى تقديم حلول للمشكلات الاجتماعية . كما كانت كتاباته - ذات الصبغة الأكاديمية البحتة - ترمى إلى تمكين القارئ من رؤية الحياة الاجتماعية ككل . وفى هذين المجالين كان انتقائيا فى اختيار اتجاهاته العلمية ، إذ كان مهتما بفهم المواقف المحددة فهما شاملا ، أكثر من انشغاله بتطوير نظرية . وقد استطاع الجمع بين ما يراه من أفكار وحقائق دون اختصارها فى نظرية مجردة والتضحية بثراء التفاصيل . لذلك فإن منطقه السوسيولوچى كان إمبيريقيا أكثر من كونه نظريا . ولذا فإنه يتعين على كل من يريد فهم صراع الجنوب تحت لواء الاقتصاد الأوحد القائم على المحصول الواحد فى الزراعة ، والذين عانوا من الركود والكساد العظيم ، ثم انتقلوا إلى الازدهار والوفرة والتحضر ، أن يعودوا إلى أعمال ڤانس . فقد مزج - بمهارة ونجاح - بين البيانات التاريخية والإحصائية ، وتوغل بعمق وبصيرة إلى دفء الحياة الإنسانية لدى الناس العاديين .

المؤلف RICHARDL. SIMPSON

المترجم : هدى مجاهد

WORKS BY VANCE

1929 *Human Factors in Cotton Culture: A Study in the Social Geography of the American South.* Chapel Hill: Univ. of North Carolina Press.

(1932) 1968 *Human Geography of the South: A Study in Regional Resources and Human Adequacy.* 2d ed. New York: Russell.

1934 Human Factors in the South's Agricultural Readjustment. *Law and Contemporary Problems* 1: 259–274.

1936 *How the Other Half Is Housed: A Pictorial Record of Subminimum Farm Housing in the South.* Chapel Hill: Univ. of North Carolina Press.

(1937) 1938 *Farmers Without Land. . . .* Rev. ed. New York: Public Affairs Committee.

1945 *All These People: The Nation's Human Resources in the South.* Chapel Hill: Univ. of North Carolina Press.

1954 VANCE, RUPERT B.; and SMITH, SARA Metropolitan Dominance and Integration. Pages 111–134 in Rupert B. Vance and Nicholas J. Demerath (editors), *The Urban South.* Chapel Hill: Univ. of North Carolina Press.

1965 Beyond the Fleshpots: The Coming Culture Crisis in the South. *Virginia Quarterly Review* 41: 217–230.

1968*a* Odum, Howard W. Volume 11, pages 270–272 in *International Encyclopedia of the Social Sciences.* Edited by David L. Sills. New York: Macmillan and Free Press.

1968*b* Region. Volume 13, pages 377–382 in *International Encyclopedia of the Social Sciences.* Edited by David L. Sills. New York: Macmillan and Free Press.

فريدمان، چورج

Friedmann, Georges

كان عمر جورج فريدمان (١٩٠٢-١٩٧٧) ٢١ عامًا عندما التحق بمدرسة المعلمين العليا فى عام ١٩٢٣ . وذلك قبل انقسام الحزب الاشتراكى الفرنسى فى مؤتمر تور Tours. ولم يقم الحزبان الاشتراكى والشيوعى بأية محاولة للاتحاد والتحالف بينهما من جديد إلا بعد خمسين عامًا من هذا الانقسام ، وفى أواخر أيام فريدمان وقبل وفاته كان يظهر مؤشر من حين لآخر على أن التحالف بين الحزبين قد يشكل الحكومة القادمة فى فرنسا . وخلال فترة الخمسين عامًا هذه ازدهرت الشيوعية فى الاتحاد السوفيتى . وكان قدر النخبة المثقفة الأوروبية فى البداية الوقوع فى شرك الشيوعية ثم التحرر من هذا الوهم . وكان فريدمان عضوًا بارزًا فى هذه النخبة المثقفة .

وقد قام بدور الأخ الأكبر والزميل المعروف والصديق الوفى لكل من جان بول سارتر وكلود ليفى ستروس فى مدرسة المعلمين العليا ، ولقد صورت سيمون دى بوفوار فى كتابها The Mandarins، هذه الشخصية المضطربة القلقة الحذرة بطريقة نابضة بالحياة . وكان الأدب هو الإغراء الأول ، لهذا الابن المنحدر من أبوين يهوديين ينتميان إلى الطبقة الوسطى الراسخة ماليًا ، وقد نشر خلال ثلاث سنوات (١٩٣٠-١٩٣٢) ثلاث روايات (والتى لم يسمح أبدًا بإعادة طبعها) تتبع خلالها وصف شخصية مراهق يبحث عن طريقه فى الحياة . ولقد تعلم كيف يكتب ، وتتميز كل أعماله السوسيولوجية بالجودة والوضوح فى التعبير ، وهاتان سمتان قلما نجدهما بين علماء الاجتماع . وبعدما اجتاز الامتحان النهائى فى الفلسفة ، دَرَّس فى ليسيه بورج Bourges فى العام الدراسى ١٩٢٩/١٩٣٠ ، ثم أصبح باحثًا مساعدًا فى مركز التوثيق الاجتماعى فى مدرسة المعلمين العليا ، وهو صورة

مبدئية لشعبة العلوم الاجتماعية فى المركز القومى للبحث العلمى (CNR.S).

وكان ذلك هو العهد الذى تميز فيه الفكر الفرنسى بثلاثة تيارات : السريالية ، والوجودية ، والماركسية ، وقد انتمى فريدمان إلى التيار الأخير . ولقد تعاون مع بيير مورانج Pierre Morhange، ونوربر جوترمان Norbert Guterman، وهنرى لوفيفر Henri Lefebvre، وجورج بوليتزر Georges Politzer، على صفحات مجلات كلارتيه Clareté، وأوروبا Europe، ولاسبرى L'Esprit (1926/1927) . ولقد أثارت هذه الجماعة الصغيرة العدد جدلاً فكرياً حول الماركسية فى فرنسا- ولازال هذا الجدل مستمراً حتى الآن . وقد صدر له فى تلك الفترة كتابان أثارا جدلاً واسعاً عنيفاً ، الأول هو مشكلات النزعة الآلية فى الاتحاد السوفيتى و فى البلدان الرأسمالية *Problèmes du machinisme en U.R.S.S et dans les pays capitalistes (1934)* والكتاب الآخر أزمة التقدم *La crise du progrès (1936)*. وقد أرسى هذان الكتابان أساس كل تفكير فريدمان .

وفى الكتاب الأول ، بين النتائج المترتبة على تقسيم العمل واستخدام الآلات على حياة العمال . وقد سمح الاتحاد السوفيتى للعمال بعد طرح الخطة الخمسية للنقاش فى المصانع والمزارع الجماعية للعمال ، بالتغلب على الآثار الفادحة التى تترتب على توزيع وتقسيم أعمال معينة . وقد أدى ذلك إلى ارتفاع مستوى المعيشة. وقد بدا للشريحة المثقفة فى الغرب ، أن ثمة عدداً غير قليل من الظلال المظلمة على الطرف البعيد عن أوروبا ، بينما بدا كل شيء كئيباً فى البلدان الرأسمالية ، التى انغمست فى أزمات كثيرة . ولقد نشر فى فرنسا فى عام ١٩٣٠ ترجمة كتاب هنرى فورد عن التقدم *Progress*. أثبت فيه صحة دراسات فردريك تايلور عن نظام الوقت ، ودراسات كفاءة الحركة ، فى الارتقاع بمستوى الإدارة العلمية ، وقدمت رؤية لمستقبل زاهر لمجتمعات العمل الحر . وقد تجاوب

فريدمان مع هذا الكتاب ، ومع كتب أخرى انتهجت نفس الفلسفة فى كتابه أزمة التقدم *La crise du progrès*، ووصف وصفًا قاسيًا موثقًا أحسن توثيق الكوارث السبع التى هاجمت مملكة الفضة . وفى هذا الكتاب لم يبد المؤلف اهتمامه بالعمل فقط بل وأيضًا بكل البناء المالى والاقتصادى للرأسمالية .

وفى غضون ذلك ، شغل فريدمان وظيفة معلم فى مدرسة مهنية حيث تدرس بعض الحرف مثل: النجارة وصناعة الأثاث ، وكبداية درب نفسه على تعلم الأدوات الآلية . وفى الوقت نفسه ، أشرف على إجراء أبحاث عن تطور العمل ، وتعلم اللغة الروسية ، وسافر عدة مرات إلى الاتحاد السوفيتى . واستفاد من هذه الأسفار، وكتب كتابًا اكتسب على الفور شهرة واسعة عنوانه *De La Sainte Russie 'a l'U R.S.S (1938)*. وأظهر فى هذا الكتاب موقفًا حياديًا متحفظًا من الاتحاد السوفيتى ، حيث رسم صورة تتميز بالدقة النادرة وحسن التمييز والبصيرة والتحديد ولكن أصدقاءه من الماركسيين الفرنسيين مثل: بوليتزر *Politzer* ولوفيفر *Lefebvre* لم يتقبلوا انتقاداته للاتحاد السوفيتى ولم يصفحوا عنه رغم ما تتضمنه انتقاداته من تقدير عظيم ، وقد ذكر ذلك فى حاشية كتابه الأخير . *La puissance et la sagesse (1970)*. «القوة والحكمة» .

ثم جاءت الحرب ، وجُند ضابط فى عامى ١٩٣٩/١٩٤٠ ، وعاد بعد الهدنة إلى مدينة تولوز ، والتحق بشبكة سرية للمقاومة . وعن تلك الفترة ، وبعدما شاهد عديدًا من أصدقائه يموتون موتًا مأساويًا ، (خاصة مارك بلوخ *Marc Bloch*، وموريس هالفاكس *Maurice Halbwachs*) كتب يقول :

«الحرب والاحتلال حطما الحدود المنظمة لوجودى البرجوازى باعتبارى أكاديميًا، وأثارا لدى أسئلة حول حياة جديدة يشوبها عدم الأمان والخطر أحيانًا ، فى فترة زمانية مخيفة ومرعبة ، وتتميز هذه الحياة الجديدة بأسوأ

انحطاط فكرى وحرمان ؛ ولكن الحرب والاحتلال جعلانى أكتشف فى أناس لا أعرفهم ؛ ومن خلال تجارب لا تنسى ، الشجاعة ، والتواضع ، ونزعة عمل الخير لدى الآخرين ، والحب الإيجابى للجار . وخلال فترات التوقف و التأمل أثناء الانسحاب اشتعل النشاط الذهنى فجأة . وأستطيع أن أقول إن السنوات الأربع المظلمة ، كانت سنوات مهمة فى حياتى ، بحيث لو محيت هذه السنوات ، فربما أفتقد إلى الأبد جانبًا رائعًا من تلك الحياة» . (P363 . 1970).

وبعد تحرير فرنسا ، عُين مفتشًا عامًا للتعليم الفنى . وفى عام ١٩٤٦ نشر عمله الأكبر ، «المشكلات الإنسانية للآلية الصناعية *Probirèmas humaines du mechinisme industriel*. وقد نشر هذا العمل الموجز الوافى قبل نشر كتاب العمل فى أمريكا *Work in America (1973)* بعشرين عامًا تقريبًا ، وقد أثار فريدمان فى هذا الكتاب مسائل ومشكلات محورية أساسية فى علم اجتماع العمل ، لمدة عقدين من الزمان . وقد لخص مناقشاته للنزعة التيلورية والنزعة الفوردية ، وقد أثرت وعمقت هذه المناقشات فترة من التأمل والملاحظة ، استمرت قرابة عشرين عامًا ، بالإضافة إلى المعرفة الواسعة الوثيقة والاطلاع على كل ما حدث ونشر فى كل البلدان الصناعية . وفى هذا الكتاب عرف الأوروبيين بأغلب الأعمال المعاصرة فى علم النفس الاجتماعى الأمريكى ، يضاف إلى ذلك دراسة نقدية لماحة دائمًا إلى الفروق بينها . ويبدو للبعض أنه يعيد للأذهان أن «العلاقات الإنسانية» و«العلاقات الصناعية» تلعبان دورهما داخل أبنية اجتماعية عالمية ، بينما يرى البعض الآخر أن كل تلك المسائل تتغير على مستوى البناء الكبير الحجم ، وقد أكد أن هذه المسائل قد تضعف وتتراجع إذا ما عجزت الكائنات الحيوية الصغيرة التى تسبب التغير عن أداء وظائفها .

وفى الفترة من (١٩٤٦ إلى ١٩٦٠) شغل فريدمان كرسى تاريخ العمل فى كونسرفتوار الفنون الجميلة والتطبيقية

فى باريس ، وهو مدرسة هندسية مشهورة ، حيث كان يدرس مقررات مسائية ، إذ كان يسمح للعمال والفنيين الإلمام ليس فقط بالتاريخ، ولكن أيضا بعلم الاجتماع المعاصر . وفى الفترة من (١٩٤٩ حتى ١٩٥١) كان مديراً لمركز الدراسات السوسيولوجية وهو فرع من المركز القومى للبحث العلمى . وقد جذب فريدمان إليه الباحثين الشبان الذين لم يتوقف أبداً عن تقديم النصيحة والدعم لهم ، وبذلك أصبح واحداً من الرعاة العظام لعلم الاجتماع فى فرنسا، وقد أدرج فى القائمة التى تضم أسماء المشتغلين ببحوث مشكلات المجتمع الصناعى الذين تعاون معهم أسماء ، ف. وإف. إيسامبرت V. & F. Isambert وج. ر. تريانيون J.R. Treanton وج. د. رينود J.D. Reynaud، ور. باجيه R. Pages، وألين تورين A. Touraine، وم. كروزييه M. Crozier، وأ.ف. مورين E & V Morin، وج. دومازيدييه J. Dumazedier، وس. موسكوفيتش S. Moscovici، وب. موتيز B. Mottez، وج. فريش-جوتييه J. Frisch-Gauthir، ول. برامز L. Brams، وهـ. مندراس H. Mendras، ور. بارت R. Barthes، ومارى تريز باس Marie Therese Basse، وجاك دوفنى Gaques Dofny. وقد ذهبوا جميعًا فى البداية مع فريدمان إلى مركز الدراسات السوسيولوجية وبعدها إلى المدرسة العملية للدراسات العليا ، وقد أصبح هو نفسه رئيسًا لمركز البحث الجامعى فى عام ١٩٤٨ . وأيضًا كون بمساعدة فرنان برودل وشارل موراز هيئة تحرير مجلة الحوليات المشهورة Les Annales .

وخلال حياته المهنية نشر كتابين حول مشكلات الصناعة ، الأول Où va le travail humain? 1950 أين يذهب العمل الصناعى ؟ والآخر العمل فى الورش Le travail en miettes (1956) وقد تابع فى هذين الكتابين فى استكشاف ودراسة الأفكار نفسها . وابتداءً من عام ١٩٥٠ ركز على عملية انتقال العمال من موضع لآخر على خط التجميع ، وكفاءة العمال العاملين مع الآلات ، وتوسيع المهام التى يضطلعون

بها . وقد نظر فريدمان إلى كل تجاربه – سواء كانت فى المصنع أو المطعم أو المكتب – بعين كلها حماس وفضول ، تحث على البحث . وقد ترجمت كتبه إلى الإنجليزية ، والإيطالية ، والألمانية ، والإسبانية ، والبولندية ، والصربية – الكرواتية ، والتشيكية ، والسلوفاكية ، والهولندية ، والبرتغالية ، واليابانية . ولم يكن فى الأمر غرابة ، عندما انتخبته الجمعية العالمية لعلم الاجتماع ، والتى كان عضواً فيها ، والرئيس الثالث لها أثناء انعقاد المؤتمر فى مدينة أمستردام عام ١٩٥٦ . وبإيجاز وفيما بعد أسندت إليه المنظمة الدولية للتربية والعلوم والثقافة (اليونسكو) منصب رئيس كلية أمريكا اللاتينية للعلوم الاجتماعية فى مدينة سان دييجو . وفى الفترة من ١٩٥٩ إلى ١٩٦١ نشر جزئين من كتابه مشكلات أمريكا اللاتينية *Proble'mes d'Ame'rique latine*.

ثم نشر فى عام ١٩٦١ وعام ١٩٦٢ مقدمة فى علم اجتماع العمل *Traité de sociologie du travail* (١٩٥٩) واشترك معه فى تحرير هذا الكتاب بيير نافيل وجان رينيه تريانتون . وقد تضمن هذا الكتاب الجهود الجمعية التى قام بها طلابه الذين جلسوا معه فى حلقات البحث فى مرحلة الدراسات العليا لمدة عشر سنوات وأصبحوا أصدقاء له . والكتاب خلاصة وافية فى البحث تتبع فيه صور المجتمع الصناعى الفرنسى على وجه الخصوص وفى الفترة نفسها أشرف على تأسيس مجلة علم اجتماع العمل *Sociologie du travail (1959)*.

وبعد عام ١٩٦٠ ، هجر مجال العمل ، وساعد على تأسيس مركز دراسات الاتصالات بالاشتراك مع أى وفى موران وورلان بارت باعتبارهما مساعديه الرئيسيين . وقام المركز بإصدار مجلة اتصالات *Communication* التى تحولت بسرعة إلى مجلة موثوق بها جديرة بالاحترام فى هذا المجال .

ويعد جورج فريدمان من أصل يهودى ولكنه لا أدرى من الناحية الواقعية . وقد كتب كتاباً مؤثراً عن

نهاية الشعب اليهودى Fin du people Juif ? 1956 وكتب فى المقدمة :

"فى عام ١٩٤٠ ، تلقيت أول صدمة لى عندما اكتشفت حقيقة مقلقة ، وهى أن يتم تصنيفك «كيهودى» ، ولقد احتفظت بالورقة التى تحمل عنوان سكرتارية التعليم العام لحكومة فيشى ، والتى تخطرنى فيها بإعفائى بمقتضى بعض القوانين الخاصة ابتداءً من تاريخه ، وذكروا أننى لن أستطيع أن أمارس مهنتى كأستاذ ؛ إلا إذا تقدمت بطلب ألتمس فيه معاملة خاصة . وكنت حتى ذلك الوقت واحداً من الذين اعتبرهم اليهود المتشددون هامشيين أو يهوداً يعيشون على أطراف العقيدة . وقد ولدت فى باريس فى أسرة لا تراعى الشعائر التقليدية ، ولا يؤدى الزواج المختلط فيها إلى أية مشكلة ، وأشعر بانتمائى العميق لفرنسا ، كما تمثلت طريقة الحياة الفرنسية ، وثقافتها ، وتحيط بى مجموعة من الأصدقاء والزملاء ، الذين لم يطرح أى واحد منهم مسألة أصولى العرقية أو معتقداتى الدينية . ولم أوصف أبداً بأننى يهودى من مجرد اسمى ، كما لم أعان من مشاعر اللاسامية . كما لم أشعر أبداً حتى فى المدرسة ، بالتمييز العنصرى فى المجتمع الفرنسى . ولم أشارك أبداً فى أية طقوس بأى معبد يهودى ، وأعتقد مخلصاً بأننى لم أقابل أبداً أى حاخام" .

وتكمن فكرة الكتاب فى التساؤل عن تاريخ الشعب اليهودى وتأسيس دولة حديثة لهم . وهل يضع تاريخ تلك الدولة والذى كان فى بدايته ، نهاية لتاريخ شعب فى الشتات . ويعرف الذين عرفوا فريدمان أنه كان يشعر بالتضامن مع قدر هذا الشعب . وقد أنهى المقدمة بتأكيده : «إننى أشعر أن كل ما أمتلكه وأرغب فى دفعه هو جزء من الدين الذى علىَّ».

وقد انتهى فى عام ١٩٧٠ ، من كتابه الأخير الذى يعتبر نوعاً من الوصية ، وكان عنوانه القدرة والحكمة *La puissance et la sagesse* . وهو كتابٌ معقدٌ يثير الفضول ، ولافت للنظر

لغرابته ، ويضم صفحات عن سيرة حياته ، وإعادة النظر فى الأفكار الأساسية فى أعماله ، مثل مفهوم الحضارة التكنولوجية ، وتدمير البيئة الطبيعية ، والعلم ، والثورة الروحية . وأعقب ذلك تأمل طويل فى المسيحية واليهودية ، والروحانية الهندوسية ، وماركس والمتغيرات اللاحقة التى طرأت على الماركسية والشيوعية . ولم يتوقف أبداً عن تكرار ما قاله ، بأن «أى ثورة على الأبنية لن تنجح إذا لم يصاحبها ما أسماه تعليماً حقيقياً فالإنسان يتولى أمر نفسه» .

وقد توفى فريدمان فجأة ، فى منزله ، أثناء قراءته حكم شامفور **Chamfort** . وهو فيلسوف فرنسى أخلاقى من رجال القرن الثامن عشر ، عصر التنوير ، الذى يدين له فريدمان بالكثير ، مثلما كان يدين بالفضل إلى ليبنز **Leibniz** وإسبينوزا **Spinoza**، اللذين كرس لهما رسالته للدكتوراه **[1946b]**.

وفى مقدمة لكتاب يضم مجموعة مقالات تحت عنوان حضارة جديدة *Une nouvelle civilization (1973)*، والذى يعكس تقديراً خاصاً لفريدمان ، يمكن أن نقرأ هذه الكلمات «لقد تراجعت مدرسة دوركايم فى فترة ما بين الحربين ، وبعد الحرب العالمية الثانية ، نشأ ما يطلق عليها اسم علم اجتماع لا صاحب له . ولكن بعد تأسيس مركز الدراسات السوسيولوجية ، حقق علم الاجتماع أعلى إنجازاته تحت قيادة فريدمان .

وكان فريدمان رائداً متقدماً على عدد كبير من علماء الاجتماع والاقتصاد ، وقد رفض كل مذهب تقليدى جامد يربط ربطاً كلياً شاملاً المشكلات الإنسانية للعمل الصناعى بأى نسق من الأنساق الاقتصادية . أو السياسية الكبرى السائدة فى زمانه . وقد تحدث حتى قبل الحرب عن «الحضارة التكنولوجية» . واكتشف قبل استخدام المفهوم المشكلة الإيكولوجية

التى تفرضها «البيئة التكنولوجية» وتدهور «البيئة الطبيعية» .

وقد عرفت أعماله بأنها تربط بين ملاحظات مؤرخ للعصر الحالى وتساؤلات مفكر أخلاقى يهتم بكل العصور . ونادراً ما نصادف عقلاً على مثل هذه الدرجة من الثراء والاتساع دون أن يتوقف أبدًا عن التساؤل ، حتى اليوم الأخير من حياته ، وإعادة طرح التساؤلات عن قيمه الخاصة ، ونتائج أعماله ، ومثله العليا . وقد درس وتجاوز الحواجز الفاصلة بين المجتمعات القديمة والحديثة ، ورفض كل ما هو غامض وتقليدى مثير للجدل ، وكان يسعده دومًا أن يرى هؤلاء الذين اقتفوا أثره يقومون بإجراء بحوث جديدة تحمل الروح التى دعا إليها .

المؤلف : Jacques Dofny

ترجمها من الفرنسية إلى الإنجليزية : Richard Koffler

المترجم : سعيد فرح

WORKS BY FRIEDMANN

1930 *Votre tour viendra*. Paris: Gallimard.

1931 *Ville qui n'a pas de fin!* Paris: Gallimard.

1932 *L'adieu*. Paris: Gallimard.

1934 *Problèmes du machinisme en U.R.S.S. et dans les pays capitalistes*. Paris: Editions sociales internationales.

1936 *La crise du progrès*. Paris: Gallimard.

1938 *De la Sainte Russie à l'U.R.S.S.* Paris: Gallimard.

(1946*a*) 1961 *Problèmes humaines du machinisme industriel*. New ed. Paris: Gallimard. → A translation of the first edition was published by the Free Press in 1955 with the title *Industrial Society*.

(1946*b*) 1975 *Leibniz et Spinoza*. New ed. Paris: Gallimard.

(1950) 1963 *Où va le travail humain?* New ed. Paris: Gallimard.

(1953) 1971 *Villes et campagnes: Civilisation urbaine et civilisation rurale en France*. Prepared under the direction of and with an introduction by Georges Friedmann. New ed. Paris: Colin.

(1956) 1961 *Anatomy of Work*. Glencoe, Ill.: Free Press. → First published in French.

1959–1961 *Problèmes d'Amérique latine*. 2 vols. Paris: Gallimard.

1961–1962 *Traité de sociologie du travail*. 2 vols. Paris: Colin. → With the collaboration of Pierre Naville and the advice of Jean René Tréanton.

(1965) 1967 *End of the Jewish People?* New York: Doubleday. → First published in French.

1966 *7 études sur l'homme et la technique*. Paris: Gonthier.

1968 Halbwachs, Maurice. Volume 6, pages 304–306 in *International Encyclopedia of the Social Sciences.* Edited by David L. Sills. New York: Macmillan and Free Press.
1970 *La puissance et la sagesse.* Paris: Gallimard.
1979 *Ces merveilleux instruments.* Paris: Denoel/Gonthier.

SUPPLEMENTARY BIBLIOGRAPHY

Une nouvelle civilisation: Hommage à Georges Friedmann. Paris: Gallimard, 1973.

SPECIAL TASK FORCE TO THE SECRETARY OF HEALTH, EDUCATION, AND WELFARE 1973 *Work in America.* Washington: Government Printing Office.

BIBLIOGRAPHY

Neurath 1979 *is a topical bibliography of the writings of Lazarsfeld.* J. S. Barton 1977 *is a bibliography of the Bureau of Applied Social Research, Columbia University, listing hundreds of published and unpublished reports by Lazarsfeld and his students and associates during the years 1937–1977.* Sills 1979 *lists publications about Lazarsfeld. The Bureau's archives, containing much unpublished material, are located in the Lehman Library of the School of International Affairs, Columbia University.*

لازارسفلد. پول ف .

Lazarsfeld, Paul F.

ولد بول فيلكس لازارسفلد Paul Felix Lazarsfeld فى فيينا فى ١٣ فبراير عام ١٩٠١ . وفى عام ١٩٣٣ ذهب إلى الولايات المتحدة الأمريكية فى منحه من مؤسسة روكفلر ، وقد عاش فى أمريكا بعد انتهاء مدة المنحة ، وحصوله على المواطنة الأمريكية . وقد ظل لمدة ثلاثة عقود أستاذا لعلم الاجتماع بجامعة كولومبيا . وقد توفى فى مدينة نيويورك فى ٣٠ أغسطس عام ١٩٧٦ .

وقد تدرب فى مجال الرياضيات ، وكان يعتبر نفسه فى أول الأمر متخصصا فى علم النفس ، وفى منتصف حياته فقط أصبح يعرف بأنه عالم اجتماع . وكانت مجالات اهتمامه الأساسية تتركز فى مناهج البحث فى علم الاجتماع ، وتطوير مؤسسات البحث والتدريب فى مجال العلوم الاجتماعية . وبفضل الجد والابتكار والتنوع فى أفكاره ، وأيضا نشاطه ومقوماته الشخصية ، وأسلوبه الفريد فى تلاحمه مع تلاميذه وزملائه ، وفى غزارة إنتاج المؤسسات البحثية التى أسسها ... أصبح تأثيره على علم الاجتماع والبحث الاجتماعى متميزاً وغير عادى فى كل من الولايات المتحدة الأمريكية وأوروبا على حد سواء .

سنوات ڤيينا جاء لازارسفلد من أسرة مهنية نشطة فى مجالات الموسيقى والثقافة والحياة السياسية ، وذلك فى نهاية القرن فى ڤيينا . وكان والده روبرت Robert محاميا حراً ، وقد ألف ونشر كتاباً عن الإجراءات القانونية فى عام ١٩٠٨ . واشتهر بأنه كثيرا ما كان يدافع عن الشباب من النشطاء السياسيين بغير أجر. أما والدته صوفى Sofie فقد تدربت على التحليل النفسى على يد ألفريد أدلر Alfred Adler. وقد كتبت كتاباً عن تحرير النساء ، كما مارست التحليل النفسى الفردى بأسلوب أدلر خلال معظم سنوات حياتها . وقد ظلت

تعالج مرضاها حتى وفاتها فى مدينة نيويورك وهى فى أوائل التسعينيات من العمر ، وذلك بعد أسابيع قليلة من وفاة ابنها . وقد توفى والد لازارسفيلد فى باريس عام ١٩٤٠ ، إذ كانت شقيقته قد رحلت إلى باريس عندما استولى النازيون على السلطة فى النمسا، وقد منحت الجنسية الفرنسية نتيجة لعملها مع حركات المقاومة الفرنسية ضد الألمان خلال الحرب .

وقد تزوج لازارسفلد ثلاث مرات متتالية من مارى ياهودا Marie Jahoda، وهيرتا هرتزوج Herta Herzog، وباترشيا كيندال Patricia Kendall، وكلهن من تلامذته ومساعديه ، ولهن إنجازاتهن فى علم الاجتماع . أما ابنته لوتى بيلين Lottie Bailyn فقد تخصصت فى علم النفس الاجتماعى ، كما تخصص ابنه روبرت Robert فى الرياضيات .

الشباب الاشتراكى ، كان لارتباط صوفى لازارسفلد بشخص آخر هو أدلر – فردريش Adler Friedrich تأثير على ابنها أقوى من ارتباطها بألفريد أدلر . وقد كان فريدريش متخصصا فى الرياضيات والطبيعة . وخلال سنوات الحرب كان بيت صوفى بمثابة مركز اجتماعى للقادة الاشتراكيين فى فيينا ، وأصبح فريدريش صديقًا مقربا من أسرة لازارسفيلد ، وكان يعد بطلا وأبًا بديلاً بالنسبة للازارسفلد لوجود أبيه فى الجبهة . (وقد كان أدلر هو المسئول إلى حد كبير عن اهتمام لازارسفلد طوال حياته بالرياضيات) وكان أدلر هو القائد للجناح الرافض للحرب فى الحزب الاشتراكى . وحينما تم إيقاف البرلمان ، وفرض رقابة شديدة حالت دون وصول الحقائق للرأى العام ، قام أدلر باغتيال رئيس الوزراء الكونت كارل سترخك Count Karl Sturghk وذلك فى أغسطس ١٩١٦ ، بهدف إيصال صوته ومطالبه وقت المحاكمة . وقد زاره لازارسفلد وكان على اتصال به طوال وجوده فى السجن فى انتظار محاكمته . وبعد ذلك حضر المحاكمة وتم القبض عليه بتهمة اشتراكه فى التظاهر داخل المحكمة عندما أدين أدلر .

ولم تكن الاشتراكية النمساوية فى ذلك الوقت مجرد حركة سياسية أخرى ، وبخاصة بالنسبة لعائلة لازارسفلد وأصدقائها. وباستدعاء ذلك الوقت والمكان ، فإن هانز زايسيل Hanz Zeisel صديق الصبا للازارسفلد ذكر "أنه فى لحظة قصيرة من التاريخ ، نجد أن المثل الإنسانية الاشتراكية الديموقراطية تحققت فى مدينة فيينا وأعطت صورة جديدة من الكرامة والكبرياء للطبقة العاملة وللمثقفين الذين حققوها (1979b). وقد كانت الاشتراكية هى البيئة الطبيعية والاجتماعية والثقافية والسياسية للازارسفلد ، حتى إنه قال فى إحدى المرات إنه اشتراكى مثلما كما هو من أهل فيينا أى بالميلاد وبدون تردد . وقد كان نشطا كقائد فى المنظمات الاشتراكية للطلاب ، وقد أسس جريدة شهرية للطلبة الاشتراكيين ، وساعد فى تأسيس ما أطلق عليه زايسيل "الكباريه السياسى الذى لعب دورا إبداعيا فى تطوير كل من التاريخ السياسى والمسرحى لڤيينا" (1979,1979b). وكان المؤلف الأول الذى كتبه لازارسفلد بالمشاركة مع لودفيج فاجنر Ludwig Wagner، وتم نشره عندما كان فى الثالثة والعشرين من عمره ، بمثابة تقرير عن تأسيسهما معا معسكراً صيفيا للأطفال يرتكز على المبادئ الاشتراكية .

وعلى الرغم من أن لازارسفلد كان يؤكد دائما على أهمية انغماسه المبكر فى الحركة الاشتراكية ، فإن نشاطه السياسى لم يحل دون انتقاله للولايات المتحدة الأمريكية . ومع مرور الزمن اعتاد أن يعلن صراحة أنه اشتراكى "بقلبه" ، كما أشار مرة إلى أن اهتمامه العميق بمنظومة البحث الاجتماعى هو نوع من "الإعلاء والتصعيد لغرائزى السياسية المحبطة وإذا كنت لا أسعى لمنصب إلا أنى أدير مؤسسات" (1962b,p.56). وقد كان زملاؤه وتلامذته من الأمريكيين يجدون فيه شخصا لا سياسيا بالأساس ، مع وجود استثناء مميز ، وهو أنه كان يشعر بقوة ويؤمن بأنه يجب الفصل بين السياسة والدراسة . وقد ذكر فى

مذكراته أن المشرف الأكاديمى عليه فى جامعة ڤيينا - وهى شارلوت بوهلر Charlotte Buhler- قد اعترضت على اللهجة والأسلوب العاطفى المستخدم فى أحد مسودات أعماله : الشباب والمحنــــــة " f Lazarsfeld et.al.1931 "Jugend und Beruf - لأن هذه اللهجة قد عكست إيمانه واعتقاده فى أن البحث الاجتماعى يجب أن يستخدم لتحسين أحوال الطبقة العاملة ولتحقيق أهداف اشتراكية أخرى . وبعد مضى عدة سنوات ذكر أن هذا النقد قد أدى به إلى الإصرار المستمر على ضرورة الفصل بين الأدوار المهنية والأدوار السياسية (1968a,p.285). فمثلا عندما كان فى جامعة كولومبيا ، وجد أن الأفكار السياسية لزميله رايت ميلز Wright Mills، يمكن تقبلها عقليا بل إنها تكون مثيرة فى بعض الأحيان ، ولكنه كان يمقت الطريقة التى كان يقحم بها ميلز هذه الأفكار فى تدريسه وفى كتاباته فى علم الاجتماع (1962b,pp.149-150).

مركز بحوث علم النفس الاقتصادى The Wirtschaft psychologische Forschungsstelle

حصل لازارسفلد على رسالة الدكتوراه فى علم الرياضيات التطبيقية من جامعة ڤيينا عام ١٩٢٥ . وعندما كان طالبا تتلمذ على يد عالمى النفس كارل وشارلوت بوهلر ، كما عمل معهما ، وذلك منذ عودتهما من ألمانيا وقدومهما إلى ڤيينا عام ١٩٢٢ . وقد درس لازارسفيلد مع كارل بوهلر الذى أثر فى أفكاره عن البحث فى الأفعال الفردية ، وقد عمل فى معهد بوهلر النفسى كمساعد لشارلوت بوهلر فى دراساتها وأبحاثها عن الطفولة المبكرة وتطور ونمو الشباب . وفى عام ١٩٢٥ أسس قسما فى المؤسسة النفسية اقتصر على تطبيق علم النفس على المشكلات الاجتماعية والاقتصادية وهو ما سمى - the wirtschaftpsy-chologische Forschungsstelle وبعد مرور عدة سنوات ذكر لازارسفلد (1968a.p.272) أنه عندما أسس هذا

القسم ، ابتكر تركيبة لشرح ميله لعلم النفس التطبيقى : "ثورة مقاتلة تتطلب الاقتصاد (ماركس) ، ثورة منتصرة تتطلب مهندسين (روسيا)، ثورة مهزومة تتطلب علم النفس (ڤيينا)" .

وقد أصبح كارل بوهلر أول رئيس لمعهد Forschungsstelle وقد ضم مجلس إدارة المعهد العديد من المواطنين المتميزين ، وأصبح لازارسفلد مديرا للأبحاث ، وقد نفذ بعض المشروعات البحثية الصغيرة بصفة أساسية لشركات الأعمال وبعضها للاتحادات التجارية والوكالات فى المدينة . "وقد عاد هذا المعهد للحياة عام ١٩٢٥" ، كما ذكر ذلك زيسيل ، "وقد استحدث وجوده أساسا من الأفكار التى بنى عليها ، وكلها تقريبا أفكار بول لازارسفلد ، وأيضا بالحماس المنقطع النظير لأعضائه ، وبأقل تكلفة مالية تذكر" (1979.b) وبالمثل كما فى معظم مشروعات لازارسفلد ، فإن المشاركين فى هذه المشروعات لم ينسوا أبدا الخبرة التى مروا بها . وتقول إلسا زيسيل Ilse Zeisel (وهى أخت هانز Hans والتى عملت فى المعهد فى الثلاثينيات) عند تأبين لازارسفلد بعد وفاته عام ١٩٧٦ "فى النهاية نحن ندين للمعهد ولبول بوجودنا بل وندين لهما بأكثر من ذلك" . (اقتبست من Zeisel 1979b).

ويعد معهد Forschumgsstelle الأول من بين أربعة معاهد بحثية مرتبطة بالجامعات ، تجرى بحوثا اجتماعية تطبيقية ، قام لازارسفلد بتأسيسها ، أما المعاهد الثلاثة الأخرى فهى مركز للبحوث بجامعة نوارك Newark، ومكتب بحوث الإذاعة بجامعة برنستون ، وأخيرا مكتب البحوث التطبيقية بجامعة كولومبيا . (أما مكتب بحوث الإذاعة فقد انتقل إلى جامعة كولومبيا عام ١٩٣٩ ، ودائما ما يذكر أن المكتب أسس عام ١٩٣٧ وهو العام الذى أسس فيه مكتب برنستون) "والارتباط بالجامعة" هو جزء مكمل للمفهوم ، منذ اعتبر لازارسفلد إن هذه المعاهد البحثية تعد أمرا جوهريا للتدريس

الصحيح ولدراسة العلوم الاجتماعية (1962C). ولأن هذه المعاهد الأربعة كانت تجسيدا لاهتمامه الشديد بمؤسسة البحوث الاجتماعية ، فإنه قد تم التركيز هنا على تاريخها وأنشطتها أكثر من المعتاد فى حالة تناول السيرة الذاتية لعالم ومدير مركز . وقد قال لازارسفيلد بعد ذلك بعدة سنوات إن "التركيبة التى يوجد عليها المعهد فى فيينا ظلت كما هى تماما رغم كل ما فعلته بعد ذلك (quated in Morrison 1976 p.94). وهذه التركيبة مازالت تستخدم فى الولايات المتحدة الأمريكية وأوروبا وقد أعدّ جلوك Glock (1979) قائمة بأسماء أكبرها. (ولمعرفة المزيد عن معهد Forschungsstelle وأنشطته، انظر (Lazarsfeld 1971, Rosenmary 1962, and Zeisel 1968, 1969, 1979b) دراسة مارينثال Marienthal، جاء أكثر مشروعات معهد Forschungsstelle طموحا نتيجة لاهتمام لازارسفلد بإجراء دراسة عن المجتمع المحلى . ولكى تبدأ هذه الدراسة طلب لازارسفلد ورفاقه النصيحة من أوتو بوير Otto Bauer، وهو صديق للأسرة وكان مؤرخا بارزا وأيضا رئيسا للحزب الديموقراطى الاجتماعى . وكانت النقابات التجارية النمساوية قد أفلحت فى إلغاء نظام العمل لمدة عشر ساعات يوميا ، وقد أخبر لازارسفلد ، بوير بأنهم ينوون دراسة نماذج أوقات الفراغ فى المجتمع المحلى . وكان من رأى بوير أن من السخرية دراسة الفراغ فى مجتمع به عدد كبير من السكان الذين لا يجدون عملا وأن الدراسة التى ينبغى إجراؤها عن الفراغ يجب أن تكون عن الآثار الاجتماعية والنفسية للبطالة؛ ولذا اقترح دراسة مارينثال ، وهى قرية صناعية قريبة من ڤيينا تقع على بعد أربعة وعشرين كيلو متراً من الجنوب الشرقى لڤيينا (Lazarsfeld 1968 a, p.275, Zeise 1979b).

وقد أجريت هذه الدراسة بإشراف مارى ياهودا Marie Jahoda ولازارسفلد وهانز زايسيل Hans Zeisel وكانت المناهج المستخدمة تخيلية

وانتقائية ، كالملاحظة بالمشاركة ، وتحليل تاريخ الحياة وعدد متنوع من المقاييس غير الواضحة . وحتى يمكن قياس تأثيرات البطالة ، مثلا ، كان الباحثون يحسبون السرعة التى يمشى بها الناس ، ووجدوا أن الرجال يسيرون بمعدلات أكثر بطءًا فى المتوسط من النساء ، إذ كان لديهم متسع أكبر من الوقت ، كما وجدوا أن توزيع صحيفة الحزب الاشتراكى قد تناقص بدرجة أكبر فى السنوات التى ازدادت فيها معدلات البطالة، وذلك مقارنة بتوزيع الصحف الرياضية والترفيهية . وفسر ذلك بأنه دليل على الانسحاب من المشاركة فى الشئون السياسية. كذلك تناولوا بالفحص عملية استعارة الكتب من مكتبة العمال ، ووجدوا أنه على الرغم من إلغاء دفع مقابل مالى للاستعارة فى السنوات من ١٩٢٩إلى ١٩٣١، فإن استعارة الكتب انخفضت لحوالى النصف تقريبا ، وفسروا هذا الانخفاض على أنه مؤشر على اللامبالاة وفقدان الاهتمام .

وقد كان معهد Forschungsstelle "سلسلة متتابعة من العمليات الارتجالية" (lazarsfeld 1968, p. 287)، ولكنه نفذ العديد من البحوث المبتكرة عن الاستهلاك ، وأسهم بقوة فى تطوير هذا المجال بأن جعل من دراسة قرارات المستهلك مجالا أكاديميا له احترامه . ولكن دراسة مارينثال Marienthal التى ظهرت فى مجلد صغير مكتوب بوضوح ظلت مع ذلك ، تمثل أهم منتج يذكره الناس للمعهد (Jahoda, Lazarsfeld & Zeisel 1933) وقد أثرت هذه الدراسة فى أجيال عديدة من علماء الاجتماع نتيجة استخدامها منهجا تكامليا من الملاحظات الكمية والكيفية ، فعلى سبيل المثال فى دراسة التحول فى ميدلتون Middletown in Transition (1937)، كرر ليند وزوجته الإشارة إلى الرجوع إلى المنهج والنتائج فى دراسة مارينيثال ، والتى ساهمت مساهمة غير مسبوقة فى مناهج دراسة المجتمعات المحلية (انظر ما كتب عن تاريخ ما أطلق عليه المؤلفان مصطلح Sociograph فى التذييل الذى كتبه زيسيل Zeisel

لكتاب مارينيثال "مابعد" مارينيثال. وأيضا ما توصلت إليه من نتيجة مهمة وهى أن إطالة فترة البطالة لدى العمال تؤدى إلى الانسحاب وفقدان الاهتمام أكثر مما تؤدى إلى الثورة ، وهو ما ألمح إلى توقع ضعف المقاومة أمام هتلر (Zeisel 1979a) وقد منع النازيون ظهور دراسة مارينيثال بعد نشرها ، ولكن بحلول عام ١٩٧٨ أصبحت جزءاً من مقررات علم الاجتماع فى الجامعات النمساوية . وفى عام ١٩٧٩ بدأت مجموعة من الشباب الأوروبى فى إعادة دراسة القرية ، التى لم تعد الآن كيانا سياسيا ، وقد استخدموا فى دراستهم نفس المناهج الأصلية على قدر الإمكان ، بالإضافة إلى استخدام وسيلة جديدة وهى التسجيل بالفيديو (Freund 1978).

الحياة المهنية فى أمريكا سافر لازارسفلد إلى أمريكا فى سبتمبر عام ١٩٣٣ ، فى منحة من مؤسسة روكفلر ، وقد كانت دراسته لقرية مارينيثال هى التى نبهت المؤسسة إليه . وقد مضى العام الدراسى ١٩٣٣-١٩٣٤ فى زيارة للجامعات التى قيل له عنها إنه يجرى بها بحوث فى علم الاجتماع، وهى جامعات كولومبيا ، وهارفارد ، وبيتسبرج، وولاية أوهايو، وروشستر، وشيكاجو - وهو ما سجله موريسون Morrison 1976 appendix A . وفى معظم هذه الأماكن حاول أن يتعلم من خلال اشتراكه فى بحث أو أكثر من المشروعات البحثية الموجودة . ومن خلال حماسه ونشاطه وقدراته الابتكارية التى اتسمت بها مسيرته العلمية المهنية ، أرسل استبيانا للأعضاء الأوروبيين الثمانية الآخرين فى مجموعته بهدف دراسة مدى تكيفهم فى أمريكا (1968a, p. 299) وقد تم تمديد المنحة الدراسية للازارسفلد لمدة عام آخر قرر فى نهايته أن يظل فى أمريكا . فقد كان الموقف السياسى فى النمسا والذى أعقب هزيمة الاشتراكيين الديموقراطيين فى الحرب الأهلية فى فبراير ١٩٣٤ ، جعل من عودته لجامعة فيينا أمرا مستحيلا . وكان معهد Forschungsstelle مازال فى حالة العجز التى كان عليها منذ أن تركها

قبل عامين . كما أن زواجه من مارى ياهودا Marie Jahoda- التى ظلت فى فيينا مع ابنتهما - كان قد انتهى. ولذا قبل المنصب الذى عرض عليه ، والذى رشحه له روبرت ليند Robert Lynd من جامعة كولومبيا ، مدفوعا بدراسته لقرية مارينتال ، وتولى دراسة البطالة حيث قام بتحليل حوالى عشرة آلاف استبيان لشباب صغير السن تم جمعها عن طريق إدارة الإغاثة بنيوجيرسى . وبسرعة حول لازارسفلد هذا المشروع البحثى إلى مركز البحوث بجامعة نوارك Newark والذى أصبح مديرا له بعد ذلك . وقد قام بتوظيف عدد كبير من اللاجئين الدارسين لعلم الاجتماع فى ذلك المركز، وكذلك فى كل المعاهد الأخرى التى أنشأها بعد ذلك ، وغالبا ما كان هو الذى أعطاهم أول فرصة للعمل فى الولايات المتحدة الأمريكية .

وقد استمر مركز الأبحاث بنوارك فى سنته الأولى من خلال تنفيذ دراسات عن نظام التعليم فى المدارس العامة ، لحساب إدارة أعمال التطوير ، ومعهد فرانكفورت للبحث الاجتماعى - الذى كان قد انتقل إلى باريس كبلد للمنفى ، وكان المعنى الراسخ لذلك المركز الذى يقع فى أطراف الجامعة الصغيرة ويعمل فيه عدد قليل جدا من الأعضاء أنه كان بالنسبة للازارسفيلد بمثابة إعادة ميلاد أمريكية لمعهد Forshungstelle.

مشروع راديو برنستون: فى عام ١٩٣٧ ، أقرت مؤسسة روكفلر مشروعا مقترحا من هادلى كانتريل Hadly Cantril - عالم النفس بجامعة برينستون - لإجراء دراسة موسعة عن التأثيرات الاجتماعية للراديو . وفى ذلك الوقت كان الراديو يعنى لعديد من المراقبين ، مصدرا هائلا للتغير الاجتماعى والثقافى والسياسى . ففى الثلاثينيات كان كل من فرانكلين روزفلت وأدولف هتلر يستخدم الراديو كوسيلة اتصال مباشرة بالجماهير . ومرة أخرى وبناء على توصية وترشيح من ليند Lynd أصبح لازارسفلد مشرفا على هذه الدراسة .

وقد تأسست وحدة لأبحاث الراديو في برينستون ، وخصصت الجامعة لها منحة مقدارها ٦٧,٠٠٠ دولار لمدة عامين ، ولكن المشروع نفسه تم تسكينه في نوارك . وقد أشرف على البحث كانتريل Cantrill وفرانك سانتون Frank Santon اللذان أصبحا بعد ذلك رئيسين للنظام الإذاعي بكولومبيا ، حيث تم تعيينهما كمديرين مساعدين ، وقد قاما بإجراء دراسة موسعة عن برامج الراديو ، والمستمعين ، وتفضيلاتهم لبرامجه. وقد ركزا على إعادة تحليل نتائج المسوح السابقة ، وتحليل مضمون البرامج ، والبرنامج التحليلي الذي وضعه لازارسفيلد وستانتون (اشتركا في تطوير أداة لتسجيل ما يفضله ومالا يفضله المستمعون التجريبيون) . وقد نشرت مقالات صحفية عديدة وسلسلة من الدراسات الفردية ، (انظر على وجه الخصوص Lazarsfeld 1940 c, Lazarsfeld & Stanton 1941, 1944) كما تدرب في هذا المشروع طلبة كثيرون ، وازدادت أهمية البحوث في وسائل الاتصال كمجال بحثي جديد . وقد أهدى ويلبور شرام Wilbur Schramm لازارسفلد كتابه القيم الاتصال الجماهيري *Mass Commuuication* (1949) لكل ما فعله "ربما أكثر من أي شخص آخر لتوجيه العلوم الاجتماعية للاهتمام بمشكلات علوم الاتصال".

وإذا كان يقال إن هارولد دي . لاسويل Harold D. Laswell وضع أجندة لمجال بحوث الاتصال بأسئلته عن "من قال ماذا ولمن وبأي تأثير؟" (١٩٣٢) فإن لازارسفلد وسع من الأجندة في جوانب مهمة من خلال تساؤله عن الرسائل التي تقدم في وسائل الإعلام، ولماذا يلجأ الناس لهذه الوسائل؟ وذلك بمعنى ، ما هي الإشباعات وما هو المردود الذي يحصل عليه الناس من وسائل الإعلام وما هي الوظائف التي تقدمها الميديا في حياة الناس؟ وقد كانت دراسات هيرتاهرتزوج Herta Herzog لمستمعي المسلسلات (Soap operas) اليومية من الراديو ، ومستمعي الراديو

الذيـن يعتقـدون فى إذاعـة أورســون ويلـز الشهيرة عام ١٩٣٨ حول الغزو من المريخ invasion from Mars (Herzog 1938,1943)، أمثلة لهذا التوسع ، تماما كما هو الحال بالنسبة لدراسات إدوارد شــومــان Edward Suchman (1941) ودراسات أدورنـو T.W. Adorno (1941a, 1941b) عن الأدوار الاجتماعية للموسيقى الشعبيـة والجادة ، ومن المشروعات البحثية الأخرى التى قام بهـا تلامـيـذ ورفـاق لازارسـفلـد ، الدراسـة التى أجـراهـا برنـارد بيرلسـون Bernard Berelson عن ماذا يعنى افتقاد الصحف "what Missing the Newspaper Means والتى استغل فيها فرصة إضراب فى مدينة نيويورك للتأكيد على أهمية الوظائف التى تقوم بها الصحف فى حياة قرائها . ودراسة ليو لوينتال Leo Lowenthal (1944) عن الوظائف التى يقدمها نشر السيرة الحياتية لشخصيات معاصرة فى المجلات الشعبية . أما البحث الخاص بلازارسفيلد فقد قام على أساس المقارنة بين تأثيرات الاستماع إلى الراديو وتأثير القراءة (1940c)، ويعد أول اختبار جاد لهذه المسألة المهمة .

وقـد لخصت بعض نتـائج هـذا البحث مقالة كتبها لازارسفلد وروبرت ميرتون Robert Merton. زميله فى جامعة كولومبيا، تحت عنوان "وسائل الاتصال ، والذوق العام ، والفعل الاجتماعى المنظم" Mass Communication, Popular Taste and Organized Social Action (1948) . ويناقش المقال الوظائف الاجتماعية التى تؤديها وسائل الإعلام ، ويشير إلى أنها - كلها - تمنح مكانة للناس وتفرض معايير اجتماعية ، بينما تعمل فى نفس الوقت "كمخدر إزاء الإخلال الوظيفى". وتخلص المقالة إلى أن تأثير الميديا يقتصر إلى حد كبير على المعايير الاجتماعية السطحية وأن الميديا لا تعرض درجة القوة الاجتماعية ، أى القدرة على تغيير الاتجاهات الاجتماعية ، التى تعزى إليها فى العادة .

وقد كانت تسمية "مشروع راديو برينستون" بهذا الاسم تسمية خاطئة

لأن المشروع لم يكن فى برينستون ، كما أنه لم يقتصر على الراديو، وقد كتب لازارسفلد فى مذكرة لكل من كانترل وستانتون عام ١٩٣٨ يقول فيها (... إننى أستخدم كل ماقمت به فى السنوات الماضية وأطلق عليه اسم راديو) وقد أدى هذا العمل إلى زيادة المكانة الرفيعة للازارسفلد فى عالم الأبحاث التطبيقية لعلم الاجتماع ، كما كان سببا مباشرا لتعيينه فى كولومبيا .

مكتب البحوث الاجتماعية التطبيقية: اكتسب مكتب أبحاث الراديو بسرعة ما أسماه لازارسفلد بعد ذلك "حياة مؤسسية خاصة به" An Institutional life of its own (1968a p. 309)، ولكن جامعة نوارك وضعت قيودا مالية أجبرت مركز الأبحاث على الانتقال إلى مدينة نيويورك واستئجار مقر له هناك، وذلك فى عام ١٩٣٨ . وفى عام ١٩٣٩ تجددت المنحة المقدمة من روكفلر، ولكنها تحولت من جامعة برنستون إلى جامعة كولومبيا حيث عين لازارسفلد كمحاضر ثم عين بعد ذلك بفترة قصيرة أستاذا مساعدا فى علم الاجتماع . وفى عام ١٩٤٤ أعيد تسمية مكتب بحوث الراديو، بحيث أصبح اسمه مكتب البحوث الاجتماعية التطبيقية . وفى عام ١٩٤٩ انتقلت المكاتب إلى مبنى واحد ، ثم انتقلت إلى مبنى آخر فى ١٩٥٧، وكلا المبنيين يتبع جامعة كولومبيا . وخلال حقبتى الخمسينيات والستينيات وسع المكتب من برنامجه، كما كان ينمو بصفة منتظمة سواء من حيث الدخل أو عدد العاملين ، وبمنتصف السبعينيات أصبح دخله السنوى الإجمالى أكثر من مليون دولار، كما أصبح عدد العاملين فيه أكثر من مائة فرد، يعمل نصفهم كل الوقت (A. H. Barton 1979)، وفى عام ١٩٧٧ ، أى بعد عام من وفاة لازارسفلد ، أغلق المكتب وحُوّل ما به من تراث ومكتبة إلى مركز جديد للعلوم الاجتماعية بجامعة كولومبيا .

وكانت كل المكاتب الفرعية التابعة لهذا المكتب مؤقتة وتعمل بنظام الدوريات، وذلك طوال الفترة التى تواجد

فيها . وفى عام ١٩٣٨ انتقل من مكان متواضع فى نوارك إلى مبنى مكتبى قديم يقع فى ميدان الاتحاد فى مدينة نيويورك. وفى ١٩٤٠ انتقل إلى مبنى آخر كان يتبع فى السابق كلية الطب بجامعة كولومبيا . وفى ١٩٤٩ انتقل إلى مبنى سابق للمدينة الجامعية. وفى ١٩٥٧ انتقل إلى مبنى كان مخصصا لإقامة الطالبات بالمدينة الجامعية . وقد كانت كل المواقع الفيزيقية التى شغلها المكتب ووقوعها داخل الجامعة بمثابة مؤشر على ما كان يحلم به لازارسفلد من إنشاء مؤسسة بحثية فى العلوم الاجتماعية تتبع الجامعة فى ڤيينا ، وعلى الرغم من الإنتاج الغزير لمكتب الأبحاث ، فإن قدره وشأنه فى ذلك شأن قدر مؤسسه ، كاد أن يظل هامشيا إلى حد ما بالنسبة لمجريات الأمور فى الحياة الأكاديمية الأمريكية (Lazarsfeld 1968 a p. 302). وقد ظل المكتب قائما لمدة أربعين عاما، ومع إنه كان يعانى من خلل إدارى ، ويعمل بتمويل ضئيل من الجامعة ، ولكن الأفكار البحثية فيه كانت مبتكرة ، كما تدرب فيه علماء اجتماع مميزون، وأجريت فيه بحوث رائدة ، كذلك فإن بناءه التنظيمى المميز كان له تأثير كبير على العلوم الاجتماعية على مستوى العالم للتعرف على تدرجه تاريخيا (انظر A. H. Barton 1979، وجلوك Glock 1979، ولمعرفة منشوراته J. S. Barton 1977) انظر.

وقد ظل لازارسفلد فى كولومبيا منذ عام ١٩٤٠ حتى تقاعده عام ١٩٦٩ . وبعد عام ١٩٦٢ أصبح أستاذ كرسى كتليه The chair of Ouetelet.. للعلوم الاجتماعية . وقد أنشئ هذا الكرسى خصيصا له بناء على اقتراح من زميله روبرت ميرتون . وقد سمى بهذا الاسم لأن لازاسفلد كان يؤمن بأن الإحصائى البلجيكى أدولف كتليه Adolphe Quetlet هو المؤسس للبحث الاجتماعى الإمبريقى (Lazarsfeld 1961b, pp. 164-181)، وأيضا (Lan-dau & Lazarsfeld 1968). ولما كان لازارسفلد غير مستعد لترك مهنة التدريس بعد تقاعده ، فقد كان يسافر

أسبوعيا تقريبا لجامعة بتسبرج التى عمل بها عام ١٩٦٩ حتى وفاته ، حيث كان يتولى التدريس للطلبة كأستاذ متميز فى العلوم الاجتماعية .

التفاعل بين المنهج والنظرية: خلال الاثنين والخمسين عاما التى تمثل حياته المهنية النشطة، أسهم لازارسفيلد بإسهامات مهمة فى أربعة مجالات جوهرية فى العلوم الاجتماعية وهى : الآثار الاجتماعية للبطالة ، ووسائل الاتصال الجماهيرى ، والسلوك التصويتى ، والتعليم العالى . ولم تتحقق هذه المساهمات ليس نتيجة وضع تصميم قوى فقط، وإنما أيضا نتيجة بعض الأحداث التاريخية . فقد سبق للازارسفيلد أن درس تأثيرات البطالة فى قرية نمساوية فى أوائل الثلاثينيات بعد أن سخر أوتوبوير Otto Bauer من خطته لدراسة أوقات الفراغ . كما درس تأثير الراديو فى أواخر الثلاثينيات، لأنه كان مهاجرا وفى حاجة إلى عمل . كذلك فإن دراسته للانتخابات الرئاسية الأمريكية عام ١٩٤٠ نبعت من تقييم مخطط من الإدارة الأمريكية للبرامج الزراعية فى الإذاعة الموجهة للفلاحين . وقد كان مهتما طوال حياته كلها بالنظام الجامعى ، ولكن دراسته الكبرى للتعليم الجامعى - وهى كيفية رد فعل الأساتذة فى الكليات والجامعات "للمكارثية " McCarthyism فى أوائل الخمسينيات - جاءت بناء على طلب من روبرت هتشنز Robert Hutchins، الذى أصبح رئيسا لصندوق التمويل للجمهورية.

وليس صحيحا القول بأن لازارسفيلد لم يكن مهتما بالجوهر substance ، فبالنسبة له كان المنهج لا ينفصل عن الجوهر . وبناء على ذلك فإنه ليس صحيحا أيضا أن يطلق عليه أنه مجردmere أستاذ مناهج بحث "mere". إذ لا يوجد فى المقام الأول شيء اسمه "مجرد mere" فى المناهج (sahada,1979)، وكانت جهود لازارسفيلد فى الجمع بين الكم والكيف تمثل أحد أهم الطموحات فى كل ما طبِّق فى العلوم الاجتماعية . وفى المقام

الثـــانى ، فـــإن المناهـج بالنســبــة للازارسـفلد أشـمل بكثـيـر من مـجـرد أسلوب أو طريقـة ، وكـان يعـتـقـد أن الشخص المهتم بالمناهج methodologist يفـعل أكثـر بكثـيـر من مـجـرد تكمـيم البيانات فى المشروع البحثى والأكثر من ذلك فـــإن القـــائم بـالمنهج هـو "الشخص الذى يبين لغيره من الباحثين مــا الذى فـعلوه أو ربما مــا يمكن أن يفـعلوه ، أكثـر من أن يرشدهم إلى ما يجب أن يفـعلوه" . (Lazarsfeld & Rosenberg 1955, p. 4). وفى المقام الثالث ، فإن تلامذة لازارسفلد كثير ما كانوا يصـدمـون حـينمـا يتـبـينون من خـلال عـملهم مـعـه أن النظرية والمنهج ليسـا فرعين من فروع علم الاجتماع بل هما نفس الشىء تقريبا .

أساليب البحوث المسحية Methods of survey research، عندما أجرى لازارسفلد دراسته الضخمة عن تأثير الـــراديو عام ١٩٢٧، تأكد له أنه طالما لا توجد سجلات عامة عن الاستماع إلى الراديو مثل البيانات الدورية ، فإننا سوف نحـتـاج إلى أسـاليب أخـرى لدراسـتـه. لذلك فـقـد اسـتـعـان باسـتطلاعـات الرأى - والتى كـانت تستخدم بكثافة آنذاك لأهداف وصفية، وذلك مـثل قـيـاس الشـعـبـيـة أو حـجم الاستماع - وباستخدام التحليل المتعدد للاستجابات ، تطورت أساليب لتحديد العلاقـات السـببيـة . وقـد كـان هـــذا التحـــول مـــن إجـــراء استطـــلاعات الـــرأى إلـى "المسـوح البحثيـة survey research"، يشكل أحـد أهـم إنجـازات لازارسفيلد . ولأجل هذا السبب ، فإن مـؤلف شـــارلز جلوك Charles Glock "المسح البحثى فى العلوم الاجتماعية *Survey Research in the Social sciences (1967)*، مهدى إلى لازارسفلد .

وهنـــاك خطـــوات عديـــدة مـهـمـة تتـبـع فـــى تحليـــل بيـــانـــات أى مســـح ، وذلـــك كـمـا وصـفـت فـى كـتـــاب "مـــشكلات تحليل المســـوح *Problems of Survey Analysis*" (Lazarsfeld & Kendall, 1950)، ويضم مـادة كـلاسـيكيـة تصنـــف وتوضـــح

بعض التكنيكات التى استخدمت فى البداية فى مجلدات الجندى الأمريكى American Soldier. وقد كانت المادة المكتوبة فى واقع الأمر بمثابة دليل موجه لكيفية تجنب العلاقات غير المنطقية فى تحليل المسوح وكيفية إيجاد علاقات السببية عن طريق ترتيب التتابع الزمنى للمتغيرات الداخله .

وتعد دراسة هربرت هايمان Herbert Hayman عن كيفية تصميم وتحليل المسوح (١٩٥٥) امتدادا لتطبيق هذه المبادىء . وبعد مرور عدة سنوات أخرى ، طور لازارسفلد أساليب من علم الجبر للتعبير عن العديد من هذه الأفكار ، انظر على سبيل المثال "The Analysis of Attribute Data (1968) وفى دراسة مستمعى الراديو شجع لازارسفيلد استخدام أسلوب المقابلة المتعمقة من خلال الأسئلة مفتوحة النهايات ، وذلك للكشف عن الدوافع والخبرات والتجارب الذاتية للشخص الذى تجرى معه المقابلة ، (Merton, Fisk & Kandall, 1956) كذلك أيضا فقد حث على استخدام تحليل المضمون لتقديم مقياس أكثر دقة عن طبيعة الاستجابات . وقد كانت الخطوات الإجرائية لديه تتابعية : فقد كان اهتمامه بالمناهج يؤثر على خياراته لموضوعاته البحثية . كما كانت النتائج المجمعه للأبحاث تولد أو تخلق نتائج نظرية . وكانت هذه النتائج عادة ما تشير إلى مدى الحاجة لتطوير وإيجاد مناهج بحث أخرى (انظر: بارتون A. H. Barton 1979 فى توضيح هذه الإجراءات) .

الأسلوب (المنهج) التتبعى لدراسة التغير The panel method for the study of change

كانت إحدى النتائج الكبرى فى بحث لازارسفلد عن مستمعى الراديو هى ميل المستمعين لأن يختاروا بأنفسهم ما يسمعونه .

(See Lazarsfeld, Berlson & Gaudet 1944, 1968 pp. 120-136, Suchman 1941) وبناء على ذلك ، فإنه لكى يمكن تجميع الأسباب التتابعية لمثل هذه المشكلات ، مثل تأثير الاستماع على الاتجاهات فى مقابل تأثير

الاتجاهات على نماذج الاستماع ، كان لابد من إيجاد أسلوب لدراسة التتابع الزمنى للمتغيرات المختلفة . وإذا تتبعنا مسار البحث الذى أجراه لازارسفلد مع بوهلرز Buhlers فى فيينا ، والذى كرر فيه استخدام الملاحظة على نفس الأطفال فى مراحل زمنية مختلفة ، ومثلما حدث فى بحث سابق قام به سيتورات رايس Stuart Rice على طلبة من جامعة دارتموث Dartmouth، وبحث تيودور نيوكومب Theodore Newcomb على طلبة من جامعة بننجتون Bennington، استطاع لازارسفيلد أن يطور ما أطلق عليه اسم Panel method، الذى يقضى بإعادة المقابلة مع عينة من المستجيبين على فترات زمنية معينة. (Kendall 1954, Lazarsfeld & Fisk 1938, Levenson, 1968).

وأسلوب التتبع فى جوهره ، هو تجربة ميدانية تقوم على دراسة جمهور طبيعى " natural وليس تجريبيا experimental. وعلى الرغم من أنه يمكن أن يقال إن لازارسفلد ليس هو المبتكر لهذا الأسلوب المنهجى ، فإن استخدامه له وبخاصة ما أجراه من أساليب مبتكره فى تحليل البيانات التى أمكن التوصل إليها باستخدامه جعلت منه أول مؤيد له وأكثرهم فاعلية .

دراسة التأثير المتبادل بين الأشخاص ، استغل لازارسفلد فرصة دراسته الشهيرة عن الانتخابات الرئاسية الأمريكية عام ١٩٤٠ "خيارات الناس" "The Peaples Choise" وظهورها فى مجلد صغير أنيق (Lazarsfeld, Berelsan & Gaudet 1944)، لكى يختبر المنهج التتبعى كأسلوب بحثى فى الميدان . وكانت نتائج الدراسة غاية فى الأهمية لعدة أسباب ، أولا: لأنه قد أمكن معرفة الشىء الكثير عن العمليات السيكولوجية والاجتماعية التى قد تؤخر أو تمنع أو تدعم أو تنشط أو تغير القرارات الخاصة بالتصويت مثل تعرض الناخبين للضغوط المتعارضة التى تؤخر اتخاذ القرار . ثانيا:

كشفت الدراسة الكثير عن الظاهرة المعروفة باسم قيادة الرأى ، فقد وجد أن قيادة الرأى تحدث أفقيا ورأسيا على السواء فى المجتمع المحلى . وأن ثمة تدفقا للرأى من وسائل الإعلام إلى الأشخاص الذين يعملون كقادة للرأى ثم إلى الجمهور بعد ذلك ، وتسمى هذه العملية "تدفق الاتصال عبر خطوتين two step flow of communication.

وتعد الأساليب التقليدية فى اختيار عينات من الجمهور غير كافية لدراسة تأثير التفاعل الشخصى ، وذلك طالما كان تصميم العينات يجعل من المستحيل تقريبا أن يكون من بين العينة أناس يعرفون بعضهم البعض (Lazarsfeld, Berleson & Gaudet 1944, 1968 pp. 49-50) وبناء على ذلك كانت هناك حاجة لتطوير أساليب جديدة لاختيار العينات . وقد كان الأسلوب الأول المستخدم هو أسلوب "كرة الثلج snowball"، وبهذا الأسلوب يُختار مجموعة من الإخباريين من شرائح مختلفة فى المجتمع المحلى ، ويطلب منهم تحديد أسماء أشخاص كان لهم تأثير فى اتخاذهم لقراراتهم بشكل ملموس (والعينة بهذا الشكل تكبر بالطريقة التى تتزايد بها كرة الثلج) . والأشخاص الذين يتكرر ذكرهم يعدوا قادة للرأى ، وتختار عينة من هذه المجموعة وتجرى المقابلات البحثية معهم (see Katz & Lazarsfeld 1955, Merton 1949).

وتحدد العينات من خلال استخدام أسلوب "كرة الثلج" قادة الرأى ، ولكنها لا تحدد شبكات من الأفراد ، لذلك تم التوصل إلى أسلوب جديد يحدد هذه الشبكات عن طريق استخدام نموذج من الأسئلة لقياس العلاقات بين الناس مثل (مع من تكلمت فى هذا حديثا) وهذه الأساليب العلمية (والتى تأثر بها جاكوب مورنيو Jacob Moreno فى استخدامه للقياس الاجتماعى Sociogram، انظر بورجاتا Borgatta 1968 والتى أجرى عليها تطوير بعد ذلك فى دراسة أشرف عليها ثلاثة من زملاء

ورفاق لازارسفيلد ، عن شبكات التأثير بين الأطباء فى مجتمع محلى يحدد انتشار وصف العلاج بالعقاقير الجديدة (كولمان Colemanو كاتز Katz ومنزل Menzel 1966).

وهذه الأساليب المنهجية فى قياس تأثير التفاعل بين الأشخاص ، وقيادة الرأى ، وشبكات التأثير ، دفعت إلى إجراء العديد من الدراسات المتنوعة من جانب تلاميذ لازارسفلد وتلاميذ تلاميذه ، بحيث طور كل منهم من الأسلوب ، كما اقتحموا مجالات ميدانية وتطبيقية مهمة . وكأمثلة لهؤلاء بيتر روسى . Peter H. Rossi عن بيئات التفاعل بين الأشخاص (١٩٦٦) ، ودراسة والاس W. L. Wallace تلميذ روسى Rossi عن ثقافة الطلبة فى كلية الفنون الحرة (١٩٦٦) ، ودراسة ريتشارد ألبا Richard Alba وتشارلز كاديشين Charles Kadushin عن الدوائر الاجتماعية (Alba & Kadushin 1976, Kadushin 1968 a) ودراسة كاديشين عن النخبة المثقفة (١٩٧٤) وألبا Alba وجوين مور Gwen Moorel عن دوائر النخب الاجتماعية (١٩٧٨) .

دراسة الفعل إمبريقيا انشغل لازارسفلد خلال حياته المهنية الطويلة ، بمشكلة كيفية دراسة "الفعل action" وذلك من وجهة نظر الفاعل (وكان يجادل فى أن "الفعل" هو الترجمة الصحيحة للمفهوم الألمانى Handlung، وهو المفهوم الذى أدى إلى إثارة الاهتمام بالبحوث النفسية فى أوروبا إلى حد كبير، وذلك فى فترة شباب لازارسفلد) . وفى عام ١٩٥٨ كتب مقالاً طويلاً عن المشكلة بعنوان "مذكرات تاريخية عن الدراسات الإمبريقية للفعل : الأوديسا العقلانية Historical Notes on the Emprical Study of Action: An Intellectual Odyssey، (١٩٥٨ ، ١٩٧٢) وعلى الرغم من أن ما كتبه كان معروفا للعديد من زملائه وتلامذته ، فإن المقال ظل أربعة عشر عاما دون نشر . وذلك لسبب أساسى، وهو أنه كان

طويلا جدا كمقال وقصيرا جدا ككتاب (1972,1958 p. viii). وفى هذا المقال تتبع بعض الأفكار عن الفعل التى أثرت فيه من أعمال وكتابات كارل وشارلوت بوهلر عن الأهداف ، وأيضا تأثره بدراسة كورت ليفين Kurt Lewin عن النوايا ، بل وأيضا بأعماله هو عن سلوك المستهلك . وكان الانفصال القائم بين هذه الأفكار وبين البحوث التجريبية، من أكثر الأمور التى كانت تشغله فى أمريكا بلده الثانى .

وجانب كبير من البحوث التى أجراها لازارسفلد وتلاميذه عن هذه الإشكالية اهتم بدراسة "العلل reasons" التى يسوقها الناس لتبرير سلوكهم وأفعالهم ، وهذه إجراءات بحثية عرفت باسم "تحليل الأسباب أو العلل" . وفى قلب هذه الإجراءات ، يوجد تطوير لما سمى "المخطط المحاسبى accounting scheme"، وهو نموذج للفعل يخضع للدراسة من خلال إدماج الأبعاد المختلفة للفعل الذى يجب جمع البيانات عنه (See Zeisel (1947) 1968, pp.153-170) وكثير من البيانات المطلوبة فى التخطيط المحاسبى يتم الحصول عليها من خلال المقابلات الشخصية . وفى الجزء المهم من المقابلة يوجه الباحث الأسئلة الضرورية للقائم بالتحليل حتى يقوم بعمل ما أطلق عليه لازارسفيلد "الحصافة discerning": التى تقرر ليس فقط ما تعرض له الفرد من مؤثرات بعينها ، بل وإنه تصرف بأسلوب معين بسبب ما تعرض له (See Lazarsfeld 1942, Smith Lazarsfeld & Suchman 1940).

وكانت كتابات لازارسفلد الكلاسيكية عن تحليل السبب أو العلة فى مقال "فن توجيه سؤال لماذا *The Art of Asking Why*" (1935) قد نشر بعد فترة قصيره من وصوله إلى الولايات المتحدة الأمريكية . وكان يعتمد إلى حد كبير على دراسات المستهلك التى أجراها فى معهد Forshungsstelle فى ڤيينا . والمسلمة الأساسية فى المقال ، هى

وجود ثلاثة نماذج من البيانات يجب الحصول عليها من خلال توجيه السؤال : لماذا ؟ ، فى دراسة مشتريات المستهلك ، وهى بيانات عن (١) التأثيرات التى تؤدى إلى الفعل. (٢) ما يعزى نسبيا إلى المنتج. (٣) الفعل المبنى على دوافع المشترى . وهذا التصور له عمومية تفوق بحوث الاستهلاك ، وقد استخدم – مع التعديل والتوسع – لدى لازارسفلد وتلامذته وآخرين ، ليس فقط لدراسة السلوك الاستهلاكى (Kornhauser& Lazars-feld 1935) ولكن أيضا فى دراسة التغيير فى السلوك التصويتى (Gaudet 1939)، وأيضا اختيار أو عدم اختيار وتقرير المحاكمة لدى المحلفين (Zeisel, (1947) 1968, pp. 161-164) واختيار وظيفة (Lazarsfeld et al, 1931) وقرار الزواج أو الطلاق (Goode 1956) والذهاب إلى طبيب نفسى (Kadushin, 1958) والانضمام إلى منظمة طوعية ، (Sills, 1957, 1960) الانتقال من منزل إلى منزل آخر (Rossi, 1955)، وعدم استخدام وسائل منع الحمل (Sills, 1961a). وقد عرض هذه الملخصات للإجراءات البحثية كل من كادوشن (Kadushin 1968b) ولازارسفيلد وروزنبرج (1955.pp.387-391) وزيسيل (١٩٤٧) و ١٩٦٨ الفصلين السادس والسابع .

ويتبدى اهتمام لازارسفلد العميق بدراسة الفعل ليس فقط فى مقالته التاريخية عام ١٩٥٨ ، ولكن أيضا فيما ذكره عنه فى عرضه للمناهج فى كتابه لغة البحث الاجتماعى *The Language of Social Research (Lazarsfeld & Rosenberg 1955)* وفى سيرته الذاتية *(1968a)* وفى مقاله "العمل مع ميرتون" Working with Merton (1975). ومنذ أن تناول تحليل الفعل كأسلوب لدمج دراسة الأفراد مع دراسة التأثيرات المتجمعة للأفعال الفردية ، وبالتالى كوسيلة لدمج علم النفس وعلم الاجتماع ، ظهر بوضوح مركزية المشكلة فى حياته العملية الفكرية .

العلاقة بين الفرد والخصائص الجمعية أطلق لازارسفلد تعبير "تحليل المحتوى" Content analysis على الأساليب المستخدمة فى الربط بين السمات الفردية والسمات الجمعية ، وتتضمن هذه الأساليب وصف الأفراد ببعض سمات الجماعة التى ينتمون إليها ، ويؤدى ذلك إلى معرفة كيف يكون الأفراد المتشابهين فيما بينهم ، مختلفين بشكل ما فى آرائهم أو فى سلوكهم عن سياق الجماعة التى يتواجدون فيها ، (Sills, 1961 b). وقد تكون سمات الجماعة تجميعا لسمات الأفراد (كما فى دراسات "مناخ الرأى") أو قد تكون ما يطلق عليه اسم السمات "الكلية" التى تصف الجماعة بصفة عامة . وقد استخدم تحليل المحتوى فى كولومبيا فى دراسة العضوية فى الاتحاد العالمى للتنميط International Typographical Union (Lipset, Trow, & Coler, 1956). وقد قاوم لازارسفلد فى البداية بتطبيق هذا الأسلوب فى عمله الخاص ، ولكنه اضطر تقريبا للتخلى عن ذلك أمام إصرار ومقاومة تلاميذه . وقد قام فى البداية بوضع استخدام منظم لهذه الإجراءات البحثية، وذلك فى الدراسة التى أجريت عام ١٩٥٥ على أساتذة علم الاجتماع فى الكليات والجامعات الأمريكية (Lazarsfeld & Thielens 1958).

وقد بلغ عدد أعضاء هيئة التدريس الذين تم إجراء مقابلات معهم فى هذه الدراسة ٢٤٥١ ، يشكلون عينة احتمالية من أساتذة الكليات الأمريكية . ولم يكن لازارسفلد مهتما فقط بآراء هذه المجموعة من أعضاء هيئة التدريس ، بل وأيضا بالمحددات المؤسسية لآرائهم . وقد صممت العينة وفقا لذلك بحيث أجريت المقابلات فى ١٦٥ كلية وجامعة فقط وشملت المقابلات على الأقل نصف كليات علم الاجتماع فى كل منها. وبذلك أصبح من الممكن اختبار الاختلاف فى الرأى والسلوك بين الكليات، وفقا للاختلافات فى السمات الفردية ، وأيضا وفقا للاختلافات فى "مناخ الرأى" للمؤسسات المختلفة ،

ووفقا للاختلافات فى السمات الكلية للمؤسسات - أو نتيجة للتداخل بين كل هذه الاختلافات مجتمعه .

وتعد الورقة الكلاسيكية التحليلية للدراسة عن الخصائص الجماعية عملا مشتركا بين لازارسفيلد Lazarsfeld ومنزل Menzel. وهناك فصل عن الاستمرارية فى لغة البحث الاجتماعى *Continuities in the Languge of Social Research* (Lazarsfeld, Pasenella & Rosenberg 1972, pp. 219-320) يتضمن عشرة خيارات تصف دراسة السلوك الجمعى ، كما تزود القارئ بالعديد من النماذج البحثية الأخرى .

الرياضيات فى العلوم الاجتماعية

لم يتخل لازارسفلد أبدا عن اهتمامه بالرياضيات وتدربه فيها ، وظل لسنوات طويلة يحاول تقديم مناهج رياضية متطورة فى العلوم الاجتماعية . وقد كان عمله الخاص فى البداية فى علم النفس الرياضى ، إذ كان يبحث فى وضع عمليات نمذجة بالنسبة للفرد . أما تأثيره على علم الاجتماع الرياضى فقد كان مختلفا : فقد كان يضع المشكلات ويثير الأسئلة، كما كان يقوم بتنظيم جهود الآخرين . وكانت أعمال أندرسون T. W. Anderson وجيمس كولمان James Colemam وليوجودمان Leo Goodman ودنكان لوس Duncan Luce وهربرت سيمون Herbert Simon فى تمجيد لازارسفلد Festschrift (Merton, Coleman & Rossi (1979 برهانا ودليلا على استخدام الرياضيات لدى هذه الأجيال من علماء الاجتماع . (See also Lazarsfeld (1954b), Lazarsfeld & Henry (1966,. وقد قدم كولمان Coleman (1972) تغطية كاملة لعمل لازارسفيلد فى مجال الرياضيات .

التحليل البنائى الكامن يستمد أحد جوانب عمل لازارسفلد فى الرياضيات ، جذوره من فترة زمالته وقت الحرب مع صمويل ستوفر Samuel Stouffer فى دراسة الجيش الأمريكى . فقد ابتكر فى هذا الوقت إجراءات

للتحليل أطلق عليها تعبير "التحليل البنائى الكامن" . وهى خطوات أو إجراءات صممت للتأكيد على بناء الاتجاهات أو غيرها من الأشياء غير الملحوظة ، والتى يمكن رؤيتها فقط من خلال ارتباطها بالبيانات التى تمت ملاحظتها. ويقول آخر فإن نقطة البداية فى تطوير التحليل البنائى الكامن لدى لازارسفلد كانت بسبب مشكلة "كيف يمكن الاستدلال على المفاهيم من المؤشرات" (Lazarsfeld & Henry 1968. p.3). وعلى الرغم من أنه قد أمضى عشرات السنين فى تطوير هذه الإجراءات ، فإن الإجراءات الحسابية المعقدة ، لم تكن بحكم طبيعتها لا تشجع على استخدام هذا الأسلوب فى البحث ، ولكن فى الوقت الحالى ومع التطور فى الحاسبات الآلية والسرعة الفائقة التى تعمل بها ، فإن هناك اتجاها لاستعادة الاهتمام بمثل هذا النموذج من التحليل واستخدامه فى البحوث .

اهتمامات أخرى

تاريخ البحث الاجتماعى التجريبى :

لقد أصبح لازارسفلد مولعا بتاريخ وتطور المناهج والأساليب البحثية، وذلك منذ وقت مبكر عند قيامه بدراسة مارينثال Marienthal. ولكنه لم يقم بعمل منتظم فى هذا المجال إلا فى حدود ضيقة حتى عام ١٩٥٩ ، عندما أعد ورقة فى مؤتمر جمع تخصصات مختلفة (1961b)، وقد تناول فى هذه الورقة التطور التاريخى للتكميم فى علم الاجتماع . وفى عامى ١٩٦٢، ١٩٦٣ ، ألقى محاضرات وعقد حلقات نقاش فى السوربون وكولومبيا عن تاريخ استخدام الأسلوب الكمى فى البحوث الاجتماعية . وقد خطط لازارسفيلد لهذا الموضوع مستوحيا إياه من التذييل الذى كتبه زيسيل Zeisel للدراسة عن مارينثال، وبذلك أصبحت طرق البحث تمثل اهتمامه الأكبر طيلة حياته . وقد أجريت تحت توجيهه وإشرافه بحوث كثيرة فى ألمانيا عن تاريخ استخدام الأسلوب الكمى

(Lazarsfeld & Obershall 1965, Schad 1972 وفى فرنسا كلارك Clark، (1965,1967) وفى بلجيكا (لاندو Landu & Lazarsfeld 1968) وفى بريطانيا كول Cole (1972)، إليش Elesh (1972) وفى أوروبا بصفة عامة Obershall & Lecuyer 1968, Obershall 1978. وقد جعله اهتمامه بالموضوع يبدو كما لو كان يبشر برسالة مضادة خلال الخمسة عشر عاما الأخيرة من حياته تحاول إقناع الأوروبيين بأن "النموذج الأمريكى" الخاص بالبحوث الاجتماعية الإمبريقية تأثر بقوة بالتراث الأوروبى الإمبريقى. وقد كان هو المسئول الأول - أو صاحب التأثير القوى - عن إنشاء مؤسسات بحثية فى أوسلو وفيينا والقدس، كما أن زياراته لباريس ووارسو غيرت إلى حد كبير من طبيعة البحث الاجتماعى فى هذه البلدان. وقد تكررت زياراته لباريس حتى إن قاعة ريد Reid hall أصبحت بمثابة بيته الثانى. وقد قام بدعوة عدد كبير من الأوروبيين لقضاء عام فى جامعة كولومبيا، وبهذا الأسلوب أثرى علم الاجتماع فى كلا جانبى الأطلنطى. وعندما توفى قام بنعيه كل من ريمون بودن Rymond Boudon وجان استوتزل Jean Stoetzel فى مقالات فى الصحف الفرنسية، كما نشرت كل دوريات علم الاجتماع فى أوروبا الغربية تقريبا كتابات تراثية.

استخدام البحث الاجتماعى بدأ لازارسفلد مسيرته المهنية بإنشائه معهدا للبحث الاجتماعى التطبيقى عام ١٩٢٥، ولم يفقد اهتمامه أبدا بالتطبيقات العملية للبحوث. وكان وجود عملاء لهم مشاكل تبحث عن حلول يعتبر بالنسبة له أمرا أكبر من مجرد مصدر للتمويل، فهم مصدر للمشكلات البحثية الحقيقية التى يحتاج حلها لأساليب جديدة. وكان يرعى معظم بحوثه منظمات لديها مشكلات، كما تولى أعمالا استشارية مكثفة لعدد من المصانع والشركات ووكالات الإعلان - ليس فقط لأنه كان يحتاج للمال، ولكن أيضا لأنه كان يقدر تماما التحفيز الفكرى العقلانى. وعندما كان

رئيسا للرابطة الأمريكية لعلم الاجتماع ، كانت لديه الفرصة لوضع الفكرة الرئيسية للموضوع الذى تناوله الاجتماع السنوى لعام ١٩٦٢، وقد اختار عنوانا له "استخدامات علم الاجتماع" . وقد نشرت فيما بعد الأوراق التى قدمت فى مجلد بنفس العنوان (Lazarsfeld, Sewell & Wilenskt 1967).

ويحتوى هذا المجلد على واحد وثلاثين فصلا تغطى مجالا واسعا جدا من التطبيقات ابتداء من الخدمة الاجتماعية ، والقانون ، والصحة العامة إلى التمييز العنصرى، وكانت المقدمة التى كتبها المحررون بمثابة دليل عن طبيعة ومشكلات وآفاق تطبيق علم الاجتماع على مشكلات الحياة الحقيقية . وقد حقق الكتاب رواجا فى السوق ، ولكن لازارسفيلد لم يكن مقتنعا بأنه أبرز الجوانب التى يعتقد أنها أكثر أهمية فى مجال البحث التطبيقى . ولذا ظل يعمل على هذه المشكلة بقية حياته حتى إن كتابه الأخير كان بعنوان مقدمة لعلم الاجتماع التطبيقى " An Introduction to Applied Socilogy (Lazarsfeld & Reitz 1975)

التأثير على العلوم الاجتماعية

الطلبة والزملاء وآخرون غيرهم ،

عمل لازارسفلد كثيرا خلال حياته مع تلاميذه وزملائه ، لدرجة أن أى سيرة ذاتية للجانب الفكرى من حياته ستكون بالضرورة سيرة ذاتية لرفاقه . وإذا كان لازارسفلد قد اعترف بحرية بأنه فى أوائل سنوات حياته كان هو المنظم لأنشطة الشباب الاشتراكى ، وأن ذلك قد ساعده على تأسيس نمط من القيادة لم يتخل عنه كلية أبدا : فقد كانت لديه مهارة أن يقول للآخرين ماذا يجب أن يفعلوه ، ثم يساعدهم على أداء ما يوجههم لفعله . وكانت معظم كتاباته ومؤلفاته تتم بالمشاركة مع آخرين ، كما كان يتضمن معظم عمله اليومى الإصغاء إلى زملائه وتلاميذه والعاملين معه والحديث معهم وتعليمهم ، سواء فى قاعات المحاضرات أو فى مكتبه أو

فى منزله أو فى مقره الصيفى فى نيوهامبشاير ، وكان يلتقى بهم على الإفطار أو الغداء أو العشاء أو على السبورة أو إذا مروا أمام مكتبه أو فى نادى الجامعة لتناول مشروب وما إلى ذلك ، فقد كان من النادر أن يكون لازارسفيلد وحيدا أو يعمل بمفرده ، كما كان يعمل دائما، حتى إن آلن بارتون Allen Barton وصف ذلك بأنه "أسلوب الحياة الشاق للازارسفلد" (١٩٧٩) . الذى يتيح له أن يعمل لوحده لعدة ساعات فقط بدءا من منتصف الليل أو بعده . (ولوصف آخر لأسلوب الحياة هذا ، انظر Bailyn (1979) حيث يصف زيارة قام بها لازارسفيلد لابنته وزوجها فى منزلهما بأنها أشبه "بالإعصار الرائع اللطيف").

وقد كانت حاجة لازارسفلد لأشخاص مقربين منه نتيجة لوجود أجندة بحثية ضخمة لديه، والتى كانت تكبر وتنمو باستمرار بحيث كان يصعب عليه تنفيذها بمفرده . وبناء على ذلك كان فى حالة استمرار فى البحث عن مساعدين جدد ، لذلك كان أينما وجد شخصا لديه مهارات أو ما كان يطلق عليه "استعداد كامن" للاهتمام بأحد مشكلاته البحثية (1964.p19) فإنه كان يجذبه إلى مداره ويضمه إلى الفريق الذى يعمل معه . ويمكن أن يقال إن هؤلاء الأشخاص كان يتم استغلالهم عن طريق إغرائهم بالعمل على تناول المشكلات والقضايا التى يهتم بها لازارسفيلد ، ولكن أثناء عملهم هذا كانت تتبدى لهم مشكلات أخرى تثير اهتمامهم الشخصى فيتعاملون معها من منظور ما تعلموه من لازارسفلد . وكانت كتابات لازارسفيلد المتتابعة عن هؤلاء الأشخاص الذين كان يستغلهم ، شاهدا على طبيعة العلاقة التبادلية بينه وبينهم . وتعد "الببليوجرافيا التكميلية" Supplementary Bibliography فى هذا الموضوع والتى روعى أن يكون حجمها معقولا باتباع تنظيم دقيق بمثابة دليل على تأثير أفكاره على كتابات الآخرين . وكانت له طريقة مميزة فى تدريس منهج علم الاجتماع

للدراســات العليــا ، إذ لم يكن يلقى محاضراته بالأسلوب المعتاد ، بل كانت محاضراته وصفا لسلسلة من المشكلات التى كان يسعى للإجابة عليها . وكان يقوم بتقسيم تلك المشكلات بين الطلبة ، وكان الهدف من هذا المنهج التعليمى على أقل تقدير هو مساعدة الطلبة ولازارسفيلد على توضيح المشكلات .

وقد عرض كولمان Coleman (1979) قائمة تفصيلية عن بعض مساعدى لازارسفلد المهمين، وعن إسهاماتهم فى أعماله، وما أضافه هو لهم . ولا يتسع المجال هنا إلا لذكر عدد قليل منهم . ومن هؤلاء هانز زيسيل Hans Zeisel، وهو الآن أستاذ فخرى فى القانون فى جامعة شيكاغو ، وقد عمل مع لازارسفلد فى فيينا فى معهد Forschungsstelle مع ياهودا Jahoda ولازارسفيلد فى دراسة مارينيثال ، ثم عمل مع لازارسفيلد بعد ذلك فى مكتب البحوث الاجتماعية التطبيقية . وقد كان كتابه Say it With Figures أذكره بالأرقام (١٩٤٧) وهو كتاب مدرسى ودليل إرشادى، ولكنه فى الواقع كان أكثر من ذلك ، وقد ترجم إلى ست لغات ، وكان نتاجا لتعاونهما الطويل معا . وكانت مقالة زيسيل "سنوات فيينا "The Vienna Years", (1979b) بمثابة سجل وتقدير لارتباطهما معا .

أمـا روبرت ليند Robert Lynd الذى أصبح أستاذا لعلم الاجتماع فى جامعة كولومبيا ، فقد نشأت بينه وبين لازارسفلد صداقة منذ أول زيارة للازارسفلد عام ١٩٣٣ . وقد ظل لازارسفلد وأسرته يزورونه فى منزله فى شهر نوفمبر من كل عام فى وقت الاحتفال بعيد الشكر وتناول طعام الغداء لديه ، وقد استمر هذا الأمر عقودا طويلة . أما برنارد بيرلسون Bernard Berelson وفرانك ستانتون Frank Stanton وإدوارد ستشمان Edward Suchman فقد كانوا شركاء معه فى البدايات فى عمله فى وسائل الاتصال . أما آلن بارتون Allen Barton، أستاذ علم الاجتماع بكولومبيا ، فقد درس فى البداية مع

لازارسفيلد عام ١٩٤٧ ، ثم صحبه إلى أوسلو ١٩٤٨ لمساعدته فى إنشاء مؤسسة بحثية فى الجامعة . وقد اشتركا معا فى تأليف مقال مهم عن القياس الكيفى (١٩٥١) ، وقد أصبح بارتون مديرا لمكتب كولومبيا فى الفترة من ١٩٦٢ إلى ١٩٧٧ . وقد كان من بين الطلبة المهمين فى جامعة كولومبيا خلال العقد المثمر فى الخمسينيات ، جيمس كولمان James Coleman وشارلز جلوك Charles Y. Glock والياهو كاتز Elihu Katz ووليام ماكفى William McPhee وبيتر روسى Peter Rossi وحنان سيلفن Hanan C. Selvin ولى ويجنز Lee Wiggins وقد كان سيمور ليبست Seymour Lipset فى كولومبيا خلال فترة الخمسينيات وترك رؤية شخصية عن الصعوبات التى يقابلها الزملاء الصغار فى التعامل مع أستاذ مثل لازرسفلد .

وفى باريس عمل لازارسفيلد عن قرب مع ريموند بودن Rymond Boudon (ولدة عام فى نيويورك) انظر (Boudon1976) وفى وارسو ، كان مأخوذا بالبحوث الاجتماعية التى تجرى فى أواخر حقبة الخمسينيات لقياس مدى فاعلية البرامج الاشتراكية ، وقد عمل فى ذلك بصفة خاصة مع ستيفن نواك Stefan Nowak. كما عمل لعدة سنوات مع فيلسوف كولومبيا إرنست ناجل Ernest Nagel حيث قاما بتدريس حلقة نقاش ناجحة لطلبة الدراسات العليا عن المنطق الخاص بمختلف المناهج فى البحوث الاجتماعية . وقد كان للازارسفلد علاقات عميقة ومعقدة مع اثنين من علماء الاجتماع اللذين كانا يختلفان عنه تماما فى مدخلهما فى العمل الأكاديمى وهما أدورنو T.W. Adorno Mor- Lazarsfeld 1968 a pp. 322-366), Wright ورايت ميللز ،rison 1978) .(Lazrsfeld 1962,b ،Mills 1959)

Pp.325-375, Mills وكليهما كان يفتقده كما كان هو أيضا ينقدهما ، ولكنه قطع رغم ذلك شوطا طويلا فى محاولة إيجاد أرضية مشتركة بينهما .

ولكن الأكثر أهمية من كل هذه الأسماء والأشـخـاص همـا اثنان من علمـاء الاجتمـاع البارزين ، كان لهما تأثير كبير عليه ، كما كان له هو أيضا تأثير عليهما ، وهما صمويل ستوفر Samuel Stouffer وروبرت مـيـرتـون Robert Merton.

قد كان صمويل ستوفر أستاذا لعلم الاجتماع فى جامعة شيكاغو، وكان فى السادسة والثلاثين من عمره عندما قـابل لازارسـفـيلد للمـرة الأولى عـام ١٩٦٣, وفى مـقـابلتـهمـا الأولى اتفقا على أن يشـتـركـا فى تأليف كـتـاب عن الأسرة فى فترة الكساد الاقتصادى ، كـجـزء من دراسـة عن فـتـرة الكسـاد لمجلس البـحـوث الاجتمـاعيـة الذى كان يديره سـتـوفـر (Stouffer & Lazarsfeld 1937). وقـد أسـسـا فـى ذلك الوقت مـا أسـمـاه لازارسـفـلـد "التـحـالف an alliance" والذى اسـتـمـر حـتـى وفـاة سـتوفـر عـام ١٩٦٠ . وكان أبرز نتـاج لتـحـالفـهـمـا البـحث الذى أجرياه وقت الحـرب عن الجـيش الأمـريكى، والذى أفرز سلسلة من أربعة مجلدات تضمنت مـجلدين عن الجندى الأمـريكى ، نشـرا فى عـامى ١٩٤٩ ، ١٩٥٠ . وقـد كـتب لازارسـفلد مـقـدمـة لبـعض الأوراق المختارة من منشورات وكتابات ستوفر بعد وفاته (1962a).

وقد كان ستوفر هو أول من عرّف لازارسفيلد بالجـداول الرباعيـة four fold table، وهو أسلوب مختصر لشرح الجداول المركبة التى يوجد بها متغيران ثنائيـان . ولكى يبـين ذلك فـقـد رسم الجدول على غطاء مائدة صغيرة أثناء لقاء لهما فى أحد الأيام عندما كانا فى نوارك عـام ١٩٧٣ ، (Lazarsfeld, 1962, p. 145)، وكـانت مـيرا كـومـاروفـسكى Mira Komarovsky شـاهدة على هـذه الواقعة . وبعد ذلك وخلال فترة الحرب ، كـانت أفكار لازارسـفلد عن التـحليل البنائى الكامن (١٩٥٠) واسـتـخـدام المسوح للتحليل السببى (Lazarsfeld & Kendall, 1950)، مـوضـوع مناقـشـات كثيرة مع ستوفر . وقد كان أسلوبهما الشـخـصى البـحـثى مـخـتلفًـا تمامـا ،

فبينما كان لازارسفلد متألقا إلى حد ما ، ويتمتع بثقافة أوروبية كان ستوفر شخصا متقوقعا ومتواضعا من أهل الغرب الأوسط. وكان لازارسفيلد هو قائد الفريق البحثي ، أما ستوفر فكان انعزاليا، ولكن له شهرته في ابتكار الجداول الإحصائية الخاصة به على جهاز IBM الحسابى الموضوع خارج أبواب مكتبه . وكان الاثنان منغمسين تماما فى مسألة الحصول على الأفكار والنتائج ، ليس بطريق التأمل والتفكير ولكن من خلال الطريق الصعب، ألا وهو البيانات . وربما كان لازارسفلد يرى فى ستوفر شخصا أكثر تنظيما منه وصورة للجانب الخجول منه شخصيا. ولذا كان يعتبره "أهم رجل فينا جميعا ... وأنه العقل المتميز فى جيلنا هذا" (1962.pp.174-175) وكان لستوفر تأثير هائل على تفكير لازارسفلد وإن كان من الصعب تحديد ذلك بدقة .

وقد التحق ميرتون بجامعة كولومبيا فى ذات الوقت الذى انضم فيه لازارسفلد. والواقع أن تعيينهما عضوين فى هيئة التدريس ، تقرر كحل للجدل الداخلى الدائر حول ما إذا كانت الوظيفة الكبرى القادمة فى كلية علم الاجتماع بجامعة كولومبيا تكون لأستاذ فى النظرية أم فى المنهج . وإزاء وجود ميرتون ولازارسفيلد رأت الجامعة تعيين الاثنين. ولكن ما حدث هو أن لازارسفيلد جذب ميرتون بشكل ما إلى العديد من مشروعاته البحثية خلال عملهما معا فى القسم لمدة ثلاثين عاما . كما شجع ميرتون لازارسفيلد على تطوير أساليب منهجية كطريقة لبناء النظرية .

كانت علاقة لازارسفلد وميرتون علاقة شخصية عميقة للغاية ، وكانت صداقتهما تعنى الكثير لكليهما وأيضا لتلاميذهما ، وكان لهما أجيال من الطلبة الخريجيين من كولومبيا . وقد كتب فى ذلك سلفن Selvin" لقد كنا كالفلك التابع ليس لشمس واحدة بل لشمسين هما روبرت ميرتون وبول لازارسفيلد ، اللذين قادا علم الاجتماع فى كولومبيا خلال تلك العقود الثلاثة،

وهذا أقل مايمكن أن يقال عنهما" (١٩٧٥، ص ٣٣٩).

وعلى الرغم من عملهما معا عن قرب لسنوات طوال ، فإنهما لم يشتركا فى نشر عمل مشترك بينهما إلا نادرا . ولكن فى واقع الأمر ، فإن العديد من كتابات لازارسفيلد خلال السنوات التى قضاها فى جامعة كولومبيا كان قد كتبها بتعاون وثيق مع ميرتون . وفى نسخة أعطاها لازارسفلد لميرتون تحوى فصلا طويلا عن التحليل البنائى الكامن ، كتب على الصفحة التى بها العنوان "بوب ، هذه هى أول مادة أكتبها منذ عشرين عاما ، ولم تعمل أنت بها". وقد كانت كل الأعمال الستة المنشورة نتيجة جهد مشترك بينهما ، تعبر عن وجود شئ قوى ومهم فى علاقتهما معا . وقد حررا معا "الاستمرارية فى البحث الاجتماعى : دراسات فى المجال والمنهج لدراسة الجندى الأمريكى" *(Continuities in Social Research: Studies in the Scope and Method of "The American Solider" (1950)*. وهو محاولة جادة ومتميزة لإثراء النظرية الاجتماعية من خلال إعادة تحليل الاتجاهات فى المسوح التى أجراها ستوفر أثناء الحرب . أما المقالات الثلاثة التى اشتركا فى تأليفها معا عن وسائل الإعلام (١٩٤٣-١٩٤٤-١٩٤٨) ، فقد كانت عن المعنى الاجتماعى والثقافى لبحوث الراديو التى أجراها لازارسفيلد على مدى عقد من الزمن . وفى مقالهما عن "الصداقة كعملية اجتماعية"(١٩٥٤) "Friendship as Social Process، أعاد لازارسفلد صياغة عدد من الفروض الاجتماعية التى وضعها ميرتون حول الصداقة فى شكل مصطلحات رياضية استنتاجية ، وأشار إلى وثوق الصلة بينها وبين العملية البحثية . وفى العمل الآخر عن "المدرسة المهنية للتدريب فى البحث الاجتماعى" "A Professional School for Training in Social Research (1950)، استعرضا خططا عن مؤسسة تعليمية جديدة ، تحدثا عنها فيما بينهما ومع آخرين لعدة سنوات طويلة ولكنها لم تخرج إلى حيز الوجود .

وقد كانت كل الأعمال المنشورة غاية فى الأهمية ، ولكن مع ذلك لم يكن لأى منها أهمية الحوار الطويل بينهما خلال خمسة وثلاثين عاما. وقد كان كل منهما يحترم أحكام الآخر ، كما كانا يختبران الأفكار معا ، ويستعرضان أفكار زملائهما وتلاميذهما بتفصيلاتها الدقيقة . وفى الكتاب التذكارى Merton Festschrift العمل مع ميرتون" ، عرض لازارسفيلد ذكريات تفصيلية فريدة عن علاقتهما خلال ثلاثة عقود . وبالمثل فى مقال "Lazarsfeld Festschrift الكتاب التذكارى للازارسفيلد" أشار ميرتون إليه بأنه "الأخ" (١٩٧٩) . ولكن كان رفاقهما وتلاميذهما يعلمون جيدا أن أمثال هذه التعبيرات والكلمات ليست إلا مجرد إشارة بسيطة للغاية لا تعبر تعبيرا حقيقيا عن عمق وقوة علاقتهما فى العمل وعن صداقتهما الفكرية .

التقدير ، تلقى لازارسفلد العديد من صور التقدير طوال حياته . فقد كان رئيسا للرابطة الأمريكية للرأى العام (١٩٤٩-١٩٥٠)، والرابطة الأمريكية لعلم الاجتماع (١٩٦١-١٩٦٢) ، كما تم انتخابه عضوا فى الأكاديمية القومية للتعليم ، والأكاديمية القومية للعلوم . وحصل على درجات علمية شرفية من جامعات شيكاغو و Yeshiva عام ١٩٦٦ ، ومن جامعة كولومبيا ١٩٧٠ ، ومن ڤيينا ١٩٧١ ، ومن السوربون ١٩٧٢ . ويعد بذلك أول سوسيولوجى أمريكى يحظى وينال كل هذا التقدير . وفى عام ١٩٥٥ كان أول من يتلقى جائزة جوليان وودوارد Julian Woodward التذكارية من الرابطة الأمريكية لبحوث الرأى العام . وفى عام ١٩٦٩ كرمته الجمهورية النمساوية، ومنحته صليبها الذهبى الكبير وذلك تقديرا منها لما قدمه من مساعدة فى إنشاء مؤسسة للدراسات المتقدمة فى ڤيينا عام ١٩٦٣ ، وكان أكثر من مستشار ومتحدث ومعلم . وبعد وفاته بقليل أقيم من أجله حفل تأبين فى كنيسة سان بول بجامعة كولومبيا حضره المئات من رفاقه وتلاميذه . وكان المتحدثون فى هذا

الحقل ، برنارد بيلين ، ويليام ماكجيل ، وروبرت ميرتون ، وإيرنست ناجيل ، وهانز زيسيل . وقد أسس زملاؤه وتلاميذه منحة تذكارية باسمه بهدف رعاية سلسلة من المحاضرات تلقى على شرفه ، وقد ألقى المحاضرة الأولى هانز زيسيل فى أكتوبر ١٩٧٨ .

وقد كانت ابتكارات لازارسفلد فى مجال بحوث المستهلك ، وفى تأثيره على مجتمع الأعمال والإعلان ، ذات أثر كبير ، فقد كان أول وأهم نموذج أكاديمى لأجيال من الباحثين فى مجالات بحوث السوق والإعلان التى نمت ونضجت فى مدينة نيويورك خلال العقود التى أعقبت الحرب العالمية الثانية . وقد أدت جهوده فى بحوث وسائل الاتصال إلى أن تصبح مجالا ومادة دراسية جديدة ، كما أنه من خلال تحليله للدعاية وقت الحرب العالمية الثانية (Lazarsfeld & Merton 1943)، وتأثيره على الأنشطة البحثية لصوت أمريكا Voice of America (والتى مورست إلى حد كبير خلال زمالته لليولونثال Leo Lowenthal وغيره من تلاميذه أمثال: مارجوى فيسك Marjorie Fisk وجوزيف كلابر Joseph Klapper، ساعد فى خلق مجال البحث فى وسائل الاتصال العالمية (١٩٥٢) . كما كانت أفكاره عن مؤسسة التدريب والبحوث فى العلوم الاجتماعية (1962C, 1964b, Glock 1979, Lazarsfeld & Merton 1950) قد تجسدت فى مؤسسات بحثية براقة حول العالم (وقد كان أحد المؤسسين لمركز الدراسات المتقدمة فى العلوم السلوكية فى ستانفورد – كاليفورنيا، ولكنه فشل فى محاولاته تحويله إلى مؤسسة للتدريب يدرس النشء فيه على أيدى أساتذة كبار) . وقد أدى استخدامه لأسلوب المسح بالعينة كأداة للتحليل السببى (انظر بصفة خاصة Lazarsfeld & Kendall, 1950) إلى مساعدته فى تحويل استطلاعات الرأى إلى منهج علمى ، كما أن تطويره واستخدامه للأسلوب التتبعى (See Levenson 1968)، كان له تأثير هائل على النشاط الحالى فى بحوث التقييم (دراسة تأثير برامج الإصلاح التعليمى أو الاجتماعى) .

وعلى الرغم من كل هذه الإنجازات ، إلا أن لازارسفلد كان يشعر إلى حد ما بأنه غريب فى أمريكا وأنه شخص هامشى . فلماذا كان هذا الشعور ؟ لقد ذكر فى بعض مقولاته الشفهية التاريخية ، أن هناك بعض العوامل التى أوجدت هذا الشعور لديه مثل كونه يهوديا وأجنبيا وذا لهجة ثقيلة ، وأيضا نتيجة لاهتمامه ببعض الأنشطة ذات المكانة المنخفضة مثل الاهتمام ببحوث السوق ... ولكن كل هذه الأسباب لم تكن مقنعة تماما . وكان يعتقد أن سمة الهامشية لديه تتغذى أو تتكاثر تلقائيا ، ويقول فى ذلك : أعتقد أن أى موقف جديد يجبرك على أن تفعل نفس الشيء الهامشى مرة أخرى ، لأن الماضى يحد بشكل ما من قدراتك حتى اللحظة الراهنة ، ولكى تتغلب على هذا الشعور بالإعاقة فإنه عليك مرة أخرى أن تفعل شيئا مختلفا إلى حد ما ... وبذلك تجد نفسك فى موقف هامشى جديد يجبرك ، فى كل لحظة ، أن تدخل فى مواقف أخرى جديدة ".(1962b. p.171). لقد عاش حياته كما وصفها مرة بأنها مثل راكب الدراجة الذى يحرص على توازنه دائما حتى لا يقع من فوقها . لقد ترك وضعه الهامشى فى جامعة فيينا ، إلى أوضاع أخرى هامشية فى نوارك وبرينستون وفى كولومبيا بالأساس . وقد كان متخصصا فى الرياضيات ولم يكن يتصور أو يعتقد أبدا أن الحياة سوف تحوله تماما إلى عالم اجتماع . وقد كان مدخله لكل موضوع بحثى جديد ينبع من اتجاه جديد مذهل وكان فخورا بجدة وحداثة الدراسات التى يجريها مكتب البحوث ، وذلك بمقارنتها بالأبحاث الأكثر تقليدية التى تقوم بها سائر المراكز البحثية مثل تلك المراكز الملحقة بجامعات شيكاغو وميشجن . كان مثله مثل المتزحلق الماهر الذى يعرف أفضل مكان للتزلج، وكانت عبقريته تجعله بعيدا عن الموضوعات والأماكن العادية التى يعرفها الجميع . وكثيرا ما كان يقول وهو رافع يديه "ولكن انظر" ثم يبدأ فى التخطيط لخطة عمل غاية فى الابتكار .

وقد أدى إدراك لازارسفلد لذاته بالهامشية إلى تصوره لدوره الخاص فى العلوم الاجتماعية : أن تكون على الهامش يعنى أيضا أن تكون رائدا . ويمكن القول أيضا إن هامشيته شجعت على التنقل الفكرى بين الأفكار والمناهج والتى جعلت منه شخصا فريدا مؤثرا فى التاريخ الحديث للبحث الاجتماعى . وفى مقال تذكارى نشره ريمون بودون Rymond Boudon فى جريدة لوموند Le Monde الفرنسية بعد فترة قصيرة من وفاته أشار إلى أن "عمله حقق أعلى أشكال النبل الهامشية : وكثير من الأفكار التى قدمها أصبحت مألوفة للغاية بحيث لم يعد أحد يهتم بأن يرد أصلها إليه (1976,265p.7).

البحث عن التقارب ، كانت إحدى تبعات شعور لازارسفلد بالهامشية بسبب نشاطه الفكرى أنه لم يتوقف أبدا عن البحث عن أوجه التقارب بين مختلف التوجهات الفكرية التقليدية، مما قد يؤدى إلى إثراء كل طرف منها (وليس من شك فى أن بحثه عن التقارب كان نتيجة لكونه من قيينا فإن الميل إلى التأليف والتركيب سمة فكرية من نتاج النمسا). وقد كان تعاونه مع ميرتون عالم النظرية ، أبرز أشكال هذا التقارب والالتقاء . أما مجالات التقارب الأخرى التى عمل عليها فقد كانت بين العلوم الاجتماعية : علم النفس وعلم الاجتماع (1964a)، الرياضيات وعلم الاجتماع (1954b)، الأنثربولوجيا وبحوث الإعلام (١٩٥٢) ، القياس الاجتماعى والبحوث المسحية (Katz & Lazarsfeld 1955). وكان يبحث عن التقارب والفهم المتبادل بين علم الاجتماع النقدى فى مدرسة فرانكفورت (انظر بصفة خاصة كتابات أدورنو Adorono ويورجين هابر ماس Jungen Habermas ماكس هوركهايمر (Max Horkheimer) والاتجاهات الوضعية المسيطرة فى علم الاجتماع الأمريكى (1941a, 1970b)، وكذلك بين علم الاجتماع الماركسى وعلم الاجتماع الأوروبى الأمريكى (1970,pp. 94-103).

وكذلك كان يبحث عن بعض المقاربات الأخرى بين العلوم الاجتماعية والإنسانيات . فقد استخدم دراساته الأولى فى الراديو لبناء جسور بين العلوم الاجتماعية ومجالات أخرى مثل: تحليل الأدب (أرنهايم Arnheim1944) والموسيقى (Adorno 1941b, 1941a). كما كان يبحث عن الربط بين فلسفة العلوم ، والبحث الاجتماعى التجريبى (1962b) والتحليل التاريخى وبحوث الرأى (1950b, 1957, 1964b 1970a)، والمنطق وصياغة وتشكيل المفهوم (١٩٦٦) . وبينما كانت بعض الانتقادات الموجهة له تتهمه بالتكميم غير المبرر، كان هو يقضى وقته فى القراءة والحوار مع المهتمين بالإنسانيات والمؤرخين والفلاسفة .

وفى النهاية ، فإنه كان يبحث عن المقاربة بين مختلف التوجهات البحثية وبين المناهج المختلفة للبحوث . فقد كان يربط بين البحوث التى تعتمد على جماعات صغيرة وبين استخدام المسوح بالعينة لدراسة تأثير التفاعل الشخصى (Katz & Lazarsfeld 1955)، كذلك بين استخدام الأسئلة المتعددة الإجابات فى المسوح وبين المقابلات مفتوحة النهايات (١٩٤٤). وكان عمله فى تشكيل المفهوم وصياغته (١٩٦٦) وبناء المؤشرات See Lazarsfeld, Construction Index Pasonella, & Rosenberg 1972, pp. 9-118 بمثابة الصرح فى قياس العلاقات من منظور العلاقات المتداخلة والمترابطة . وقد اتفق مع بارتون Barton فى مواجهة نقد رايت ميللز ضد تدهور الحرفية "Craftsmanship" وعمل على تطويرها إلى مشروع لدراسة العلاقة بين الإنسان والعمل (Barton & Lazarsfeld 1955, pp.339-340) وقد شجع أبرز الباحثين فى المجال الكيفى فى فترة الخمسينيات – وهو ديفيد ريزمان David Riesman – للاشتراك معه فى إجراء مقابلات وتحليل بعض المراحل فى دراسته لعلماء الاجتماع الأمريكيين . (Lazarsfeld, Thielens 1958, Riesman1979)، وقد أعد مجلدا يحوى مقالات عن التداخل بين العلوم قامت بتحريره Mirra Komarovsky

بعنوان "الحدود المشتركة فى العلوم الاجتماعية" (Common Frontiers of the Social Sciences 1957). ويرجع الفضل فى هذا المجلد إلى لازارسفلد الذى أوحى بفكرته وأشرف بشكل عام على إعداده .

أما المقارية المهمة فى العلوم الاجتماعية التى عمل جاهدا فيها لإنجازها فهى الجمع بين الكم والكيف فى البحوث . ففى كل مجال عمل فيه تقريبا حاول أن يربط بين النمطين (1972b, Barton & Lazarsfeld 1955, Lazarsfeld & Barton 1951) وقد كان هذا الموضوع هو مضمون الخطاب الذى أنهى به فترة رئاسته للرابطة الأمريكية لعلم الاجتماع (١٩٦٢). كما أن صدور الدورية العلمية "الكيف والكم" Quality and Quantity التى صدرت عام ١٩٦٧ نتيجة لتأثيره المباشر (Capecchi 1978). ولكل هذه الأسباب ، فإن الكتاب التذكارى Festchrift فى ذكراه كان بعنوان "الكيف والكم فى البحوث الاجتماعية" (Qualitative and Quantitative Social Research Merton, Coleman, & Rossi 1979).

المؤلف : David L. Sills

المترجم : سلوى العامرى

WORKS BY LAZARSFELD

1931 LAZARSFELD, PAUL F. et al. *Jugend und Beruf: Kritik und Material.* Jena (Germany): Gustav Fischer.

(1933) 1971 JAHODA, MARIE; LAZARSFELD, PAUL F.; and ZEISEL, HANS *Marienthal: The Sociography of an Unemployed Community.* Chicago: Aldine. → First published as *Die Arbeitslosen von Marienthal.* The 1971 edition contains a new foreword by Lazarsfeld and an afterword by Zeisel entitled "Toward a History of Sociography."

1935 The Art of Asking Why. *National Marketing Review* 1:32–43. → Reprinted in Lazarsfeld 1972*b*.

(1935) 1955 KORNHAUSER, ARTHUR; and LAZARSFELD, PAUL F. The Analysis of Consumer Actions. Pages 392–404 in Paul F. Lazarsfeld and Morris Rosenberg (editors), *The Language of Social Research: A Reader in the Methodology of Social Research.* Glencoe, Ill.: Free Press.

(1937) 1971 STOUFFER, SAMUEL A.; and LAZARSFELD, PAUL F. *Research Memorandum on the Family in the Depression.* New York: Arno. → First published by the Social Science Research Council as one of a series of monographs on the depression edited by Stouffer. The Arno reprint is part of the series, Studies in the Social Aspects of the Depression.

1938 LAZARSFELD, PAUL F.; and FISKE, MARJORIE The "Panel" as a New Tool for Measuring Opinion. *Public Opinion Quarterly* 2:596–612.

1939 LAZARSFELD, PAUL F. (editor), *Radio Research and Applied Psychology.* Special issue of the *Journal of Applied Psychology* 23:1–219.

(1940*a*) 1971 Description of Discerning. Pages 135–146 in Mirra Komarovsky, *The Unemployed Man and His Family*. New York: Farrar, Straus.

1940*b* "Panel" Studies. *Public Opinion Quarterly* 4:122–128.

(1940c) 1971 *Radio and the Printed Page: An Introduction to the Study of Radio and Its Role in the Communication of Ideas*. New York: Arno.

1940 SMITH, ELIAS; and SUCHMAN, EDWARD A. Do People Know Why They Buy? *Journal of Applied Psychology* 24:673–684. → Elias Smith is a pseudonym used by Lazarsfeld in order to limit the number of his publications. Reprinted in Lazarsfeld & Rosenberg 1955.

(1941*a*) 1972 Administrative and Critical Communications Research. Pages 155–167 in Paul F. Lazarsfeld, *Qualitative Analysis: Historical and Critical Essays*. Boston: Allyn & Bacon. → First published in *Studies in Philosophy and Social Science*.

1941*b* Repeated Interviews as a Tool for Studying Changes in Opinion and Their Causes. American Statistical Association, *Bulletin* 2:3–7.

1941 LAZARSFELD, PAUL F.; and STANTON, FRANK N. (editors), *Radio Research 1941*. New York: Essential Books.

1942 The Statistical Analysis of Reasons as Research Operation. *Sociometry* 5:29–47.

1943 LAZARSFELD, PAUL F.; and MERTON, ROBERT K. Studies in Radio and Film Propaganda. New York Academy of Sciences, *Transactions* Series 2 6:58–79.

1944 The Controversy Over Detailed Interviews—An Offer for Negotiation. *Public Opinion Quarterly* 8:38–60.

(1944) 1968 LAZARSFELD, PAUL F.; BERELSON, BERNARD; and GAUDET, HAZEL *The People's Choice: How the Voter Makes Up His Mind in a Presidential Campaign.* 3d ed. New York: Columbia Univ. Press. → Also published in German and Spanish.

1944 LAZARSFELD, PAUL F.; and MERTON, ROBERT K. The Psychological Analysis of Propaganda. Pages 362–380 in *Proceedings of Writers' Congress Conference.* Berkeley and Los Angeles: Univ. of California Press.

1944 LAZARSFELD, PAUL F.; and STANTON, FRANK N. (editors) *Radio Research 1942–1943.* New York: Duell.

1948*a* The Role of Criticism in the Management of Mass Media. *Journalism Quarterly* 25:115–126.

1948*b* The Use of Panels in Social Research. American Philosophical Society, *Proceedings* 92:405–410. → Reprinted in Lazarsfeld, Pasanella, & Rosenberg 1972.

1948 LAZARSFELD, PAUL F.; and MERTON, ROBERT K. Mass Communication, Popular Taste and Organized Social Action. Pages 95–118 in Lyman Bryson (editor), *Problems in the Communication of Ideas.* New York: Harper.

1950*a* The Logical and Mathematical Foundations of Latent Structure Analysis. Pages 362–412 in Samuel A. Stouffer et al. (editors), *Measurement and Prediction.* Studies in Social Psychology in World War II, Vol. 4. Princeton Univ. Press.

(1950*b*) 1972 The Obligations of the 1950 Pollster to the 1984 Historian. Pages 278–299 in Paul F. Lazarsfeld, *Qualitative Analysis: Historical and Critical Essays.* Boston: Allyn & Bacon. → Presidential

address to the American Association for Public Opinion Research. First published in the *Public Opinion Quarterly.*

(1950) 1974 LAZARSFELD, PAUL F.; and KENDALL, PATRICIA L. Problems of Survey Analysis. Pages 133–196 in Paul F. Lazarsfeld and Robert K. Merton (editors), *Continuities in Social Research: Studies in the Scope and Method of "The American Soldier."* New York: Arno.

(1950) 1972 LAZARSFELD, PAUL F.; and MERTON, ROBERT K. (editors) *Continuities in Social Research:* Research. Pages 361–391 in Paul F. Lazarsfeld, *Qualitative Analysis: Historical and Critical Essays.* Boston: Allyn & Bacon. → First distributed in mimeographic form.

(1950) 1974 LAZARSFELD, PAUL F.; and MERTON, ROBERT K. (editors) *Continuities in Social Research: Studies in the Scope and Method of "The American Soldier."* New York: Arno.

1951 LAZARSFELD, PAUL F.; and BARTON, ALLEN H. Qualitative Measurement in the Social Sciences: Classification, Typologies and Indices. Pages 155–193 in Daniel Lerner and Harold D. Lasswell (editors), *The Policy Sciences: Recent Developments in Scope and Method.* Stanford Univ. Press. → Reprinted in part in Lazarsfeld & Rosenberg 1955 and in Lazarsfeld 1972*b*.

1952 The Prognosis for International Communications Research. *Public Opinion Quarterly* 16:481–490. → The introduction to a special issue on international communications research.

(1954*a*) 1969 A Conceptual Introduction to Latent Structure Analysis. Pages 349–387 in Paul F. Laz-

arsfeld (editor), *Mathematical Thinking in the Social Sciences*. 2d ed., rev. New York: Russell.
(1954*b*) 1969 LAZARSFELD, PAUL F. (editor), *Mathematical Thinking in the Social Sciences*. 2d ed., rev. New York: Russell.
1954 BERELSON, BERNARD; LAZARSFELD, PAUL F.; and MCPHEE, WILLIAM N. *Voting: A Study of Opinion Formation in a Presidential Campaign*. Univ. of Chicago Press.
1954 LAZARSFELD, PAUL F.; and MERTON, ROBERT K. Friendship as Social Process: A Substantive and Methodological Analysis. Pages 18–66 in Morroe Berger, Theodore Abel, and Charles Page (editors), *Freedom and Control in Modern Society*. New York: Van Nostrand.
1955 LAZARSFELD, PAUL F.; and ROSENBERG, MORRIS (editors) *The Language of Social Research: A Reader in the Methodology of Social Research*. Glencoe, Ill.: Free Press. → A paperback edition was published in 1965.
1955 BARTON, ALLEN H.; and LAZARSFELD, PAUL F. Some Functions of Qualitative Analysis in Social Research. *Frankfurter Beiträge zur Soziologie* 1:321–361.
1955 KATZ, ELIHU; and LAZARSFELD, PAUL F. *Personal Influence: The Part Played by People in the Flow of Mass Communications*. Glencoe, Ill.: Free Press. → Includes a foreword by Elmo Roper. A paperback edition was published in 1964. Also published in German, Italian, and Japanese.
(1957) 1978 The Historian and the Pollster. Pages

242–262 in Mirra Komarovsky (editor), *Common Frontiers of the Social Sciences.* Westport, Conn.: Greenwood.

(1958) 1972 Historical Notes on the Empirical Study of Action: An Intellectual Odyssey. Pages 53–105 in Paul F. Lazarsfeld, *Qualitative Analysis: Historical and Critical Essays.* Boston: Allyn & Bacon. → First distributed in mimeographic form.

(1958) 1977 LAZARSFELD, PAUL F.; and THIELENS, WAGNER, JR. *The Academic Mind: Social Scientists in a Time of Crisis.* New York: Arno. → With a field report by David Riesman.

1959 Latent Structure Analysis. Volume 3, pages 476–543 in Sigmund Koch (editor), *Psychology: A Study of a Science.* Volume 3: Formulations of the Person and the Social Context. New York: McGraw-Hill.

1961*a* The Algebra of Dichotomous Systems. Pages 111–157 in Herbert Solomon (editor), *Studies in Item Analysis and Prediction.* Stanford Univ. Press. → Reprinted in Lazarsfeld, Pasanella, & Rosenberg 1972.

1961*b* Notes on the History of Quantification in Sociology—Trends, Sources and Problems. Pages 147–203 in Harry Wolf (editor), *Quantification: A History of the Meaning of Measurement in the Natural and Social Sciences.* Indianapolis and New York: Bobbs-Merrill. → Also published in 1961 in *Isis,* the journal of the History of Science Society. These papers were first presented at a conference held in 1959 under the auspices of the Social Science Research Council.

(1961) 1972 LAZARSFELD, PAUL F.; and MENZEL, HERBERT On the Relation Between Individual and Collective Properties. Pages 225–237 in Paul F. Lazarsfeld, Ann K. Pasanella, and Morris Rosenberg (editors), *Continuities in the Language of Social Research.* New York: Free Press.

1962*a* Introduction. Pages xv-xxxi in Samuel A. Stouffer, *Social Research to Test Ideas*. New York: Free Press.
1962*b* Interviews with Paul F. Lazarsfeld. *Oral History*. → A transcript of interviews on file at the office of the Oral History Project, Columbia University.
1962*c* The Sociology of Empirical Social Research. *American Sociological Review* 27:757–767. → Presidential address to the American Sociological Association. Reprinted in Lazarsfeld 1972*b*.
1964*a* A Note on Empirical Social Research and Interdisciplinary Relationships. *International Social Science Journal* 16:529–533.
1964*b* Some Problems of Organized Social Research. Pages 9–19 in Ozzie G. Simmons (editor), *The Behavioral Sciences: Problems and Prospects*. Boulder: Institute of Behavioral Sciences, University of Colorado.
1965 LAZARSFELD, PAUL F.; and HENRY, NEIL W. The Application of Latent Structure Analysis to Quantitative Ecological Data. Pages 333–348 in Fred Massarik and Philburn Ratoosh (editors), *Mathematical Explorations in Behavioral Science*. Homewood, Ill.: Dorsey.
1965 LAZARSFELD, PAUL F.; and OBERSCHALL, ANTHONY Max Weber and Empirical Social Research. *American Sociological Review* 30:185–199.
(1966) 1972 Notes on the History of Concept Formation. Pages 5–52 in Paul F. Lazarsfeld, *Qualitative Analysis: Historical and Critical Essays*. Boston: Allyn & Bacon.
1966 LAZARSFELD, PAUL F.; and HENRY, NEIL W. (editors) *Readings in Mathematical Social Science*. Chicago: Science Research Associates.
(1967) 1968 LAZARSFELD, PAUL F.; SEWELL, WILLIAM H.;

and WILENSKY, HAROLD L. (editors) *The Uses of Sociology*. London: Weidenfeld & Nicholson.

1968*a* An Episode in the History of Social Research: A Memoir. *Perspectives in American History* 2:270–337. → Reprinted in Lazarsfeld 1972*b*. This issue of *Perspectives in American History* was also published in 1969 as Donald Fleming and Bernard Bailyn (editors), *The Intellectual Migration: Europe and America, 1930–1960*. Cambridge, Mass.: Harvard Univ. Press.

1968*b* Survey Analysis: The Analysis of Attribute Data. Volume 15, pages 419–429 in *International Encyclopedia of the Social Sciences*. Edited by David L. Sills. New York: Macmillan and Free Press.

1968 LAZARSFELD, PAUL F.; and HENRY, NEIL W. *Latent Structure Analysis*. Boston: Houghton Mifflin.

1968 LANDAU, DAVID; and LAZARSFELD, PAUL F. Quetelet, Adolphe. Volume 13, pages 247–257 in *International Encyclopedia of the Social Sciences*. Edited by David L. Sills. New York: Macmillan and Free Press.

1970*a* A Sociologist Looks at Historians. Pages 39–59 in Melvin Small (editor), *Public Opinion and Historians: Interdisciplinary Perspectives*. Detroit: Wayne State Univ. Press.

1970*b* Sociology. Pages 61–165 in *Main Trends of Research in the Social and Human Sciences*. Paris and The Hague: Mouton/United Nations Educational, Scientific and Cultural Organization. → Reprinted in part in Lazarsfeld 1972*b*.

1971 Foreword to the American Edition: Forty Years Later. Pages vii–xvi in Marie Jahoda, Paul F. Lazarsfeld, and Hans Zeisel, *Marienthal: The Sociogra-*

Illinois Press. → First published in Lazarsfeld & Stanton 1944.

BAILYN, BERNARD 1979 Recollections of PFL. Chapter 3 in Robert K. Merton, James S. Coleman, and Peter H. Rossi (editors), *Qualitative and Quantitative Social Research: Papers in Honor of Paul F. Lazarsfeld*. New York: Free Press.

BARTON, ALLEN H. 1976 Paul F. Lazarsfeld: 1901–1976. *The Bureau Reporter* 23, no. 1:1–2. → The newsletter of the Bureau of Applied Social Research, Columbia University.

BARTON, ALLEN H. 1979 Paul Lazarsfeld and the Invention of the University Applied Social Research Institute. Unpublished manuscript. → Scheduled for publication by Schenckman in a book edited by Burkart Holzner and Jiri Nehnevajsa, tentatively entitled *Organizing for Social Research*.

BARTON, JUDITH S. (compiler) 1977 Bureau of Applied Social Research, Columbia University: Bibliography From Its Founding in 1937 to Its Closing in 1977. Mimeo. New York: The Bureau. → To be published by Clearwater Publishing Company. Based upon the Bureau's files in the Lehman Library of the School of International Affairs, Columbia University. The bibliography includes hundreds of unpublished reports and publications by Lazarsfeld's students and associates, many of which were written under his direction or influenced by his ideas. Included is a list of 128 Columbia University doctoral dissertations that were completed during the years 1943–1977, a majority of them by Lazarsfeld's students. The unpublished research reports of the Bureau were published in microfiche by Clearwater in 1979.

BERELSON, BERNARD 1949 What "Missing the Newspaper" Means. Pages 111–129 in Paul F. Lazarsfeld and Frank N. Stanton (editors), *Communications Research 1948–1949*. New York: Harper. → Based on interviews conducted in New York City during a newspaper strike.

BORGATTA, EDGAR F. 1968 Sociometry. Volume 15, pages 53–57 in *International Encyclopedia of the Social Sciences*. Edited by David L. Sills. New York: Macmillan and Free Press.

BOUDON, RAYMOND (1970) 1972 An Introduction to Lazarsfeld's Philosophical Papers. Pages 411–427 in Paul F. Lazarsfeld, *Qualitative Analysis: Historical and Critical Essays*. Boston: Allyn & Bacon. → First published in French as the introduction to Lazarsfeld's *Philosophie des sciences sociales*.

BOUDON, RAYMOND 1976 Un marginal devenu un classique: Paul Lazarsfeld. Société française de sociologie, *Bulletin* 3 8:5–7. → Originally published in *Le Monde*. The translation of the excerpt in the text was made by Yole G. Sills.

CAPECCHI, VITTORIO 1978 Paul F. Lazarsfeld: A Link Between American and European Methodology. *Quality and Quantity* 12:239–254.

CLARK, TERRY N. 1965 Empirical Social Research in France: 1850–1914. Unpublished Ph.D. dissertation, Columbia Univ.

CLARK, TERRY N. 1967 Discontinuities in Social Research: The Case of the "Cours Élémentaire de Statistique Administrative." *Journal of the History of the Behavioral Sciences* 3, no. 1:3–16.

COLE, STEPHEN 1972 Continuity and Institutionalization in Science: A Case Study of Failure. Pages 73–129 in Anthony Oberschall (editor), *The Estab-*

lishment of Empirical Sociology: Studies in Continuity, Discontinuity, and Institutionalization. New York: Harper.

COLEMAN, JAMES S. 1972 Paul F. Lazarsfeld's Work in Survey Research and Mathematical Sociology. Pages 395–409 in Paul F. Lazarsfeld, *Qualitative Analysis: Historical and Critical Essays.* Boston: Allyn & Bacon.

COLEMAN, JAMES S. 1978 Lazarsfeld, Paul F. Volume 1, pages 505–507 in *International Encyclopedia of Statistics.* Edited by William H. Kruskal and Judith M. Tanur. New York: Free Press.

COLEMAN, JAMES S. 1979 Paul F. Lazarsfeld: The Substance and Style of His Work. Unpublished manuscript. → Presented at the meetings of the Eastern Sociological Society in New York City in March 1979. Scheduled for publication in a book on eight of the makers of American sociology, edited by Matilda White Riley and Robert K. Merton, *Sociological Traditions From Generation to Generation,* Norwood, New Jersey: Ablex Publishing.

COLEMAN, JAMES S.; KATZ, ELIHU; and MENZEL, HERBERT 1966 *Medical Innovation: A Diffusion Study.* Indianapolis: Bobbs-Merrill.

ELESH, DAVID 1972 The Manchester Statistical Society: A Case Study of Discontinuity in the History of Empirical Social Research. Pages 31–72 in Anthony Oberschall (editor), *The Establishment of Empirical Sociology: Studies in Continuity, Discontinuity, and Institutionalization.* New York: Harper.

FREUND, MICHAEL 1978 Sociography: The Marienthal Story. *Austria Today* 3:55–57. → A discussion of the research that led to the publication in 1933 of *Marienthal,* by Marie Jahoda, Paul F.

Lazarsfeld, and Hans Zeisel, including a brief description of plans for a restudy of Marienthal. Includes photographs of Jahoda, Lazarsfeld, and the village of Marienthal.

GAUDET, HAZEL (1939) 1955 A Model for Assessing Changes in Voting Intentions. Pages 428–438 in Paul F. Lazarsfeld and Morris Rosenberg (editors), *The Language of Social Research: A Reader in the Methodology of Social Research*. Glencoe, Ill.: Free Press.

GLOCK, CHARLES Y. (editor) 1967 *Survey Research in the Social Sciences*. New York: Russell Sage.

GLOCK, CHARLES Y. 1979 Organizational Innovation for Social Science Research and Training. Chapter 5 in Robert K. Merton, James S. Coleman, and Peter H. Rossi (editors), *Qualitative and Quantitative Social Research: Papers in Honor of Paul F. Lazarsfeld*. New York: Free Press.

GOODE, WILLIAM J. 1956 *After Divorce*. Glencoe, Ill.: Free Press.

HENRY, NEIL W. 1973 Measurement Models for Continuous and Discrete Variables. Pages 51–67 in A. S. Goldberger and O. D. Duncan (editors), *Structural Equation Models in the Social Sciences*. New York: Seminar Press.

HERZOG, HERTA (1938) 1955 Why Did People Believe in the "Invasion From Mars"? Pages 420–428 in Paul F. Lazarsfeld and Morris Rosenberg (editors), *The Language of Social Research*. Glencoe, Ill.: Free Press. → Written as a memorandum to Frank Stanton soon after the Orson Welles broadcast.

HERZOG, HERTA (1943) 1950 What Do We Really Know About Day-time Serial Listeners? Pages 352–365 in Bernard Berelson and Morris Janowitz

(editors), *Reader in Public Opinion and Communication.* Enl. ed. Glencoe, Ill.: Free Press.

HYMAN, HERBERT H. 1955 *Survey Design and Analysis.* Glencoe, Ill.: Free Press.

JAHODA, MARIE 1979 PFL: Hedgehog or Fox? Chapter 1 in Robert K. Merton, James S. Coleman, and Peter H. Rossi (editors), *Qualitative and Quantitative Social Research: Papers in Honor of Paul F. Lazarsfeld.* New York: Free Press.

KADUSHIN, CHARLES 1958 Individual Decisions to Undertake Psychotherapy. *Administrative Science Quarterly* 3:379–411.

KADUSHIN, CHARLES 1968*a* Power, Influence and Social Circles: A New Methodology for Studying Opinion Makers. *American Sociological Review* 33:685–699.

KADUSHIN, CHARLES 1968*b* Reason Analysis. Volume 13, pages 338–343 in *International Encyclopedia of the Social Sciences.* Edited by David L. Sills. New York: Macmillan and Free Press.

KADUSHIN, CHARLES 1974 *The American Intellectual Elite.* Boston: Little, Brown.

KENDALL, PATRICIA 1954 *Conflict and Mood: Factors Affecting the Stability of Response.* Glencoe, Ill.: Free Press.

KOMAROVSKY, MIRRA (editor) (1957) 1978 *Common Frontiers of the Social Sciences.* Westport, Conn.: Greenwood. → A report of a project directed by Lazarsfeld on the relation between the humanities and the social sciences.

LASSWELL, HAROLD D. 1932 The Triple-appeal Principle: A Contribution of Psychoanalysis to Political and Social Science. *American Journal of Sociology* 37:523–538.

LÉCUYER, BERNARD; and OBERSCHALL, ANTHONY 1968 Sociology: The Early History of Social Research. Volume 15, pages 36–53 in *International Encyclopedia of the Social Sciences*. Edited by David L. Sills. New York: Macmillan and Free Press.

LEVENSON, BERNARD 1968 Panel Studies. Volume 11, pages 371–379 in *International Encyclopedia of the Social Sciences*. Edited by David L. Sills. New York: Macmillan and Free Press.

LIPSET, SEYMOUR M. 1979 Some Personal Notes for a History of the Department of Sociology of Columbia University. Unpublished manuscript. → Scheduled for publication by Irvington Publishers in a book edited by Robert B. Smith and Peter K. Manning.

LIPSET, SEYMOUR M.; TROW, MARTIN A.; and COLEMAN, JAMES S. 1956 *Union Democracy*. Glencoe, Ill.: Free Press.

LOWENTHAL, LEO 1944 Biographies in Popular Magazines. Pages 507–520 in Paul F. Lazarsfeld and Frank N. Stanton (editors), *Radio Research 1942–1943*. New York: Duell.

LYND, ROBERT S.; and LYND, HELEN MERRILL 1937 *Middletown in Transition: A Study in Culture Conflict*. New York: Harcourt. → A paperback edition was published in 1963.

MADANSKY, ALBERT 1968 Latent Structure. Volume 9, pages 33–38 in *International Encyclopedia of the Social Sciences*. Edited by David L. Sills. New York: Macmillan and Free Press.

MERTON, ROBERT K. 1949 Patterns of Influence: A Study of Influence and Communications Behavior

in a Local Community. Pages 180–219 in Paul F. Lazarsfeld and Frank N. Stanton (editors), *Communications Research 1948–1949*. New York: Harper.

MERTON, ROBERT K. 1979 Remembering Paul Lazarsfeld. Chapter 4 in Robert K. Merton, James S. Coleman, and Peter H. Rossi (editors), *Qualitative and Quantitative Social Research: Papers in Honor of Paul F. Lazarsfeld*. New York: Free Press.

MERTON, ROBERT K.; COLEMAN, JAMES S.; and ROSSI, PETER H. (editors) 1979 *Qualitative and Quantitative Social Research: Papers in Honor of Paul F. Lazarsfeld*. New York: Free Press.

MERTON, ROBERT K.; FISKE, MARJORIE; and KENDALL, PATRICIA L. 1956 *The Focused Interview*. Glencoe, Ill.: Free Press.

MILLS, C. WRIGHT (1959) 1972 Abstract Empiricism. Pages 428–440 in Paul F. Lazarsfeld, *Qualitative Analysis: Historical and Critical Essays*. Boston: Allyn & Bacon. → Reprinted in part from Mills's *The Sociological Imagination*, 1959.

MORRISON, DAVID E. 1976 Paul Lazarsfeld: The Biography of an Institutional Innovator. Unpublished Ph.D. dissertation, Univ. of Leicester.

MORRISON, DAVID E. 1978 Kultur and Culture: The Case of Theodor W. Adorno and Paul F. Lazarsfeld. *Social Research* 45, no. 2:331–355.

NEURATH, PAUL M. 1979 The Writings of Paul F. Lazarsfeld: A Topical Bibliography. In Robert K. Merton, James S. Coleman, and Peter H. Rossi (editors), *Qualitative and Quantitative Social Research: Papers in Honor of Paul F. Lazarsfeld*. New York: Free Press.

OBERSCHALL, ANTHONY 1965 *Empirical Social Research in Germany, 1848–1914*. The Hague: Mouton; New York: Basic Books.

OBERSCHALL, ANTHONY (editor) 1972 *The Establishment of Empirical Sociology: Studies in Continuity, Discontinuity, and Institutionalization*. New York: Harper.

OBERSCHALL, ANTHONY 1978 Paul F. Lazarsfeld and the History of Empirical Social Research. *Journal of the History of the Behavioral Sciences* 14:199–206.

RIESMAN, DAVID 1979 Ethical and Practical Dilemmas of Fieldwork in Academic Settings: A Personal Memoir. Chapter 16 in Robert K. Merton, James S. Coleman, and Peter H. Rossi (editors), *Qualitative and Quantitative Social Research: Papers in Honor of Paul F. Lazarsfeld*. New York: Free Press.

ROSENMAYR, LEOPOLD 1962 *Geschichte der Jugendforschung in Osterreich: 1914–1931*. Vienna: Osterreich Institute für Jugendkunde. → See especially chapter 5, "Die Systematische Anwendung soziologischer Gesichtspunkte und Methoden in der Jugendforschung: Paul F. Lazarsfeld."

ROSSI, PETER H. 1955 *Why Families Move: A Study in the Social Psychology of Urban Residential Mobility*. Glencoe, Ill.: Free Press.

ROSSI, PETER H. 1966 Research Strategies in Measuring Peer Group Influence. Pages 190–214 in T. M. Newcomb and E. K. Wilson (editors), *College Peer Groups*. Chicago: Aldine.

SCHAD, SUZANNE 1972 *Empirical Social Research in Weimar Germany*. Elmsford, N.Y.: Mouton.

SCHRAMM, WILBUR (editor) 1949 *Mass Communications.* Urbana: Univ. of Illinois Press.

SELVIN, HANAN C. 1975 On Formalizing Theory. Pages 339–354 in Lewis A. Coser (editor), *The Idea of Social Structure: Papers in Honor of Robert K. Merton.* New York: Harcourt.

SILLS, DAVID L. 1957 *The Volunteers: Means and Ends in a National Organization.* Glencoe, Ill.: Free Press.

SILLS, DAVID L. 1960 A Sociologist Looks at Motivation. Pages 70–93 in Nathan E. Cohen (editor), *The Citizen Volunteer: His Responsibility, Role, and Opportunity in Modern Society.* New York: Harper.

SILLS, DAVID L. 1961*a* On the Art of Asking "Why Not?": Some Problems and Procedures in Studying Acceptance of Family Planning. Pages 26–36 in All India Conference on Family Planning, Fourth, 1961, *Report of the Proceedings: 29th January–3rd February, 1961, Hyderabad.* Bombay: Family Planning Association of India.

SILLS, DAVID L. 1961*b* Three "Climate of Opinion" Studies. *Uublic Opinion Quarterly* 25, no. 4:571–573.

SILLS, DAVID L. 1979 A Selected Bibliography of Publications About Paul F. Lazarsfeld. In Robert K. Merton, James S. Coleman, and Peter H. Rossi (editors), *Qualitative and Quantitative Social Research: Papers in Honor of Paul F. Lazarsfeld.* New York: Free Press.

SUCHMAN, EDWARD A. 1941 Invitation to Music: A Study of the Creation of New Music Listeners by the Radio. Pages 140–188 in Paul F. Lazarsfeld

and Frank N. Stanton (editors), *Radio Research 1941*. New York: Essential Books.

WALLACE, W. L. 1966 *Student Culture: Social Structure and Continuity in a Liberal Arts College*. Chicago: Aldine.

ZEISEL, HANS (1947) 1968 *Say It With Figures*. 5th ed. New York: Harper. → Contains an introduction by Paul F. Lazarsfeld.

ZEISEL, HANS 1968 L'école viennoise des recherches de motivation. *Revue française de sociologie* 9, no. 1, 1:3–12.

ZEISEL, HANS 1969 Der Anfang moderner Sozialforschung in Osterreich: Die Wirtschaftspsychologische Forschungsstelle, 1925–1938. Pages 43–46 in Leopold Rosenmayr and Sigurd Höllinger (editors), *Soziologie in Osterreich*. Vienna: Verlag Hermann Bohlaus.

ZEISEL, HANS 1971 Afterword: Toward a History of Sociography. Pages 99–125 in Marie Jahoda, Paul F. Lazarsfeld, and Hans Zeisel, *Marienthal: The Sociography of an Unemployed Community*. Chicago: Aldine. → Written in the early 1930s.

ZEISEL, HANS 1979*a* Personal Communication to David L. Sills.

ZEISEL, HANS 1979*b* The Vienna Years. Chapter 2 in Robert K. Merton, James S. Coleman, and Peter H. Rossi (editors), *Qualitative and Quantitative Social Research: Papers in Honor of Paul F. Lazarsfeld*. New York: Free Press.

لیند: روبرت إس. وهیلین میریل

LYND, Robert S. and Helen Merrell

يمكن وصف روبرت ستوجتون لند Robert Staughton Lynd بأنه سينكلير لويس Sinclair Lewis علم الاجتماع. فكتاباه عن ميدلتاون Middletown (1929) والتحول في ميدلتاون Middletown in Transition (1937) يوفران الأساس السوسيولوجي الذي يجعل العمل الساخر للويس في روايتيه Babbitt و Main Street مفهوما في إطار ثقافة وأخلاقيات غرب وسط أمريكا.

وقد ولد ليند في نيو ألباني بولاية إنديانا في السادس والعشرين من سبتمبر عام ١٨٩٢. وقد شاركته زوجته هيلين ميريل في إجراء بحوثه الأساسية وتأليف الكتابين، وهي البحوث إلى أجريت فعلا في مدينة مونسي Muncie بإنديانا والتي لا تبعد كثيرا عن موطن ولادته. وينتمي ليند لعائلة متواضعة ولكنه تخرج من جامعة برنستون عام ١٩١٤ ومنها توجه للحصول على درجة علمية في اللاهوت من Union Theological Seminary عام ١٩٢٣ ثم الحصول على الدكتوراه من جامعة كولومبيا عام ١٩٣١ بعد أن نشر دراسته الأولى عن ميدلتاون واعترفت الجامعة بها. وقد ظل مرتبطا بجامعة كولومبيا حتى تقاعده عام ١٩٦٥. وقد توفي ليند في الأول من نوفمبر عام ١٩٧٠.

كانت أول وظيفة رئيسية شغلها ليند هي المحرر الإداري لمجلة *Publisher's Weekly* وهي المطبوعة التجارية لصناعة النشر في أمريكا. ثم عمل بعد ذلك مديرا لمشروع بحثي صغير عن المدينة كان يجريه معهد البحوث العلمية والدينية. وقد أرسى ذلك البحث المتواضع القاعدة لبحوثه في مونسي. ويمكن اعتبار بحث ميدلتاون أول عمل سوسيولوجي تم نشره وإتاحته للجمهور العادي كسلعة تجارية على ما تقول هيلين ميرل ليند، إذ تم عرضه في واجهات المكتبات جنبا إلى جنب مع أهم الأعمال الروائية في ذلك الحين.

وترجع الرابطة بين البحث السوسيولوچى وجودة الكتابة جزئيا على الأقل إلى خلفيته المهنية فى مجال النشر ، وهو مجال لم يكن مألوفا حينذاك فى تأهيل الباحثين فى علم الاجتماع. وفى تأبينه عند وفاته عام ١٩٧٠ ذكر سيمور مارتن ليبست Seymour Martin Lipset أن ليند "لم يكن يكتفى بتكريس جانب كبير جدا من وقته لتلاميذه " ولكنه كان أيضا على استعداد دائم لمساعدتهم فى كتابة وتنقيح بل وإعادة تشكيل بحوثهم ، وقد ظلت خبرته فى النشر ملازمة له كأستاذ تربوى وباحث وبمعايير الزمن الحالى قد يمكن وصف ليند بأنه عالم أنثروپولوچى متخصص فى دراسة التنظيمات المعقدة . وليس من شك فى أن أعماله تتحدى أى محاولة بسيطة للتصنيف . فمنذ صدر كتاب ألكسيس دو توكفيل *Alexis de Tocqueville* عن الديموقراطية فى أمريكا *Democracy in America (1835)* لم نحصل على مثل هذا التحليل الدقيق الواعى للحياة اليومية فى أمريكا وبالذات فى وسط أمريكا . فقد أخضع هذا الكتاب أحد المجتمعات المحلية فى إنديانا لنفس النوع من الفحص المركز الذى اتبعه د. رانيا توكڤيل بالنسبة للولايات المتحدة كلها .

وقد أضاء كتاب (ميدلتاون) لجيل كامل من الباحثين فى العلم الاجتماعى جوهر أسلوب الحياة الأمريكية . وأغلب الظن أنه لم يوجد كتاب آخر ظهر فى الفترة بين الحربين العالميتين الأولى والثانية أفلح فى إبراز ماأصبحت عليه أى أمة بمثل هذه الدقة والشمول الكاسح . وقد وصف إتش. إل. منكين H. L. Mencken كتاب ميدلتاون بأنه " أحد أهم الوثائق وأكثرها ثراء التى أنتجها أى باحث سوسيولوچى فى أمريكا (1929.pp.379-381) كما وصفه ستيوارت تشيز Stuart Chase بأنه عمل "لايبارى" إذ لم يظهر أى عمل آخر مماثل كما لم يظهر أى كتاب آخر يضم بين دفتيه مثل هذا القدر الهائل من المعلومات عن المجتمع المحلى الأمريكى فى جدّه ولهوه (1929, p. 164)

ولا تظهر فى كتاب *ميدلتاون* أى محاولة متعمدة لفرض مركزية أى متغير أو أى عنصر محدد بالذات على غيره من المتغيرات والعناصر ... فالكتاب ينقسم إلى ستة أبواب رئيسية يدور الباب الأول منها حول الاقتصاد الذى يعنى فى آخر الأمر "كسب العيش". ويهتم الباب الثانى والباب الثالث بالحياة العائلية ويكشف عن الرابطة المتبادلة بين المسكن وتنشئة الأطفال والمطعم والملبس والالتحاق بالمدرسة ، بينما يعالج الباب الرابع وهو أهم الأبواب من حيث التفكير الإبداعى مشكلات الفراغ كما يضم كثيرا من المعلومات المستمدة من دراسة مبكرة عن الاتصال الجماهيرى ويحلل أنشطة الفراغ لدى الطبقات المتوسطة فى أمريكا ، كما تعكس الصور والرسومات المصاحبة التى تم اختيارها بعناية من الدوريات وعرضها بأسلوب ومصطلحات مألوفة وسائغة فى مجال الاتصال الجماهيرى بكل دقة . ويهتم الباب الخامس بأمور الدين ومراعاة تعاليمه والممارسات الدينية فى ميدلتاون مع تحليل مختلف أشكال العبادات البروتستانتية ولكن، مع إبراز فى الوقت ذاته كيف أن بعض المنظمات مثل رابطة الشبان المسيحيين تربط الدين بالمجتمع المحلى . والواقع أن مفهوم المجتمع المحلى يشغل الباب السادس والأخير الذى يعنى بتبيين أن المجتمع يرتبط بالجهاز الحكومى وأن عملية تجزئة المجتمع تكشف عن أن دور البيروقراطية فى الحياة الاجتماعية فى ميدلتاون محدود للغاية وقليل الأهمية . ومن الواضح أن هذه الأبواب الأخيرة من الكتاب تدين بالكثير لأنشطة *ليند* فى أواسط العشرينيات حين عمل بالدعوة الدينية فى حقول البترول فى مونتانا **Montana**.

وقد استغرق تأليف الكتاب عدة سنوات . فقد عاش روبرت *ليند* وزوجته فى ميدلتاون لمدة سنة ونصف كما عاش مساعدوه بعد ذلك لمدة ستة شهور أخرى . وتكشف الجداول عن جدية العمل، بينما تشير بعض المعلومات إلى ضرورة إعادة النظر بدقة فى بيانات الحكومة والدولة كما تهتم بعض

الجداول الأخرى بمصادر الاختلاف بين الأطفال وآبائهم والكتب المستعارة من أقسام الكبار من المكتبة العامة. وهذا كله يبين نوع الاهتمام الإبداعى بالتفاصيل الدقيقة، التى قلما نجد لها مثيلا فى أدبيات علم الاجتماع حتى ذلك الحين .

ويضفى الاهتمام التاريخى خاصة أخرى مميزة على كتاب ميدلتاون ... فقد قدم ليند فى هذا الكتاب وصفا موثقا لحياة المدينة فى فترتين مختارتين هما عام ١٨٩٠ وعام ١٩٢٤ بدلا من أن يستعرض بالتفصيل أحداث الفترة الفاصلة بين هذين التاريخين . ومثل هذا التحليل المقطعى يكشف عن الإدراك الواعى للتوتر الثقافى بين الأجيال السابقة والحالية . فمدينة ميدلتاون تظهر بأجلى مظاهرها من هذه النظرة التى تعتمد على استقراء التاريخ لتحليل عملية التحول العلمانى فى المجتمع الأمريكى. وهذا نموذج متغيرعن أسباب وجود عملية التحديث وكيف يحدث التغير الاجتماعى فى المجتمع الصناعى المتقدم.

ويعكس كتاب ميدلتاون مجهودا خارقا آخر يتمثل فى محاولته إعادة تقويم وتحليل البيانات من خلال فحص ما حدث خلال الفترة بين ١٩٢٤ و١٩٣٥ . وقد اهتم ليند وزوجته اهتماما بالغا بالانتقادات التى وجهت إلى عملهما الأول، ولذا جاءت هذه الدراسة التتبعية إضافة مهمة إلى البحث السابق وفيها حاولا تطبيق الآليات التى استجدت فى العلم الاجتماعى خلال تلك الفترة الفاصلة فى التاريخ السوسيولوچى وذلك على الرغم من أن هذه الدراسة التتبعية كانت تفتقر إلى بعض الاحتمالات التاريخية التى ظهرت فى الكتاب الأول . وكما لاحظ چون مادچ John Madge (1962, p.149) بذكاء "فإن من المهم أن نؤكد أنه إذا كانت ميدلتاون قد تغيرت فإن تفكير ليند وزوجته قد تعرض هو أيضا لتطور عميق" .

ولم يكتف الزوجان ليند بإعادة دراسة المدينة ولكنهما كانا قد غيّرا تقديرهما لما هو مهم وينبغى دراسته . فلم يعودا مثلا يفترضان أن الأجهزة

الحكومية تقف وراء الأنشطة المجتمعية كما لم يخصصا بابا كاملا للدين اكتفاء بفصل واحد فقط . وهذا يعكس التغير الذى طرأ على نسق القيم فى المجتمع الأمريكى ، ونعنى بذلك التقدم الذى حدث فى عملية التحول إلى العلمانية وهو الموضوع الذى كانا قد ناقشاه فى آخر كتاب ميدلتاون فضلا عن الشعور بظهور مشاكل جديدة أثناء فترة الكساد الكبير الذى شهدته الثلاثينيات . وواضح أن "عالم سينكلير لويس" الذى ظهر فى رواياته المبكرة كان قد تداعى وانهار. فالتحيز الطبيعى للطبقة تحول إلى عداء طبقى سافر مؤكدا الحقائق التى تساند مصادر القوة. وبينما كان مواطنو ميدلتاون لايزالون متمسكين بالقيم التى عاشت عليها مدينتهم كانت وطأة الخلل والفوضى والاضطراب الاقتصادى داخل الدولة وقيام الفاشية والاشتراكية فى الخارج تفرض على المدينة أن تواجه هذين التيارين . ووجدت النقابات العمالية قبولا، وأصبح واضحا أن لا مفر من التكيف مع العالم الجديد . ومع ذلك فإنه إذا كانت تلك الدراسة التتبعية انتهت بنوع من عدم اليقين فإن دراسات ميدلتاون فى مجملها تظل حتى الآن أهم سجل عن تلك الفترة فى الحياة الاجتماعية الأمريكية . وتمثلت قدرة ليند وزوجته فى نجاحهما فى صياغة نسيج إثنوجرافى تراتبى مع قدر هائل من المعلومات الكمية فى مفهوم كلّى موّحد بشكل قلما نجد له مثيلا فى الأدبيات السوسيولوچية . وقد يتساءل المرء عما إذا كان اختيارهما للمنهجيات مفتوحة النهاية تؤدى إلى الشك فى إمكان التوصل إلى مثل هذا العمل واسع المدى . وهناك شواهد قوية تشير إلى أن ليند نفسه كانت لديه تساؤلات جادة عن مدى إمكان التعميم من مثل تلك البحوث الميدانية .

فى كتابه عن دواعى المعرفة الذى ظهر بعنوان *Knowledge for What?* عام ١٩٣٩ وله عنوان فرعى هو: مكان العلم الاجتماعى فى الثقافة الأمريكية *The Place of Social Science in American Culture* حاول ليند أن يتلاءم

بطريقة غير مباشرة مع الاتجاه المنهجي الجديد في علم الاجتماع الأمريكي رغم أنه كان يعتقد أن الأساتذة أصبحوا مجرد حرفيين يقومون بإلقاء محاضرات عن فن قيادة السفن بينما السفينة تغرق بالفعل.. وقد كتب الكتاب بأسلوب مرير يعكس نوعا من التشاؤم لدرجة أنه حتى لو تولى علماء الاجتماع المنهجيين الجدد قيادة السفينة فلن يستطيعوا بالفعل معرفة كيف يوجهونها في مسار مأمون . وليست المسألة هي أن ليند كان يرى أن العلماء الاجتماعيين كانو يعملون على نشر تنبؤات خادعة ، فقد كان يدرك أن الإحساس بهشاشة المستقبل يجب ألا ينتج عنه كل تلك الأشكال من الموانع والمخاوف التي تجعل من البحوث واسعة المجال في العلم الاجتماعي مسألة غير مستساغة .

كان ليند عالم اجتماعيًا برجماتيا يدعو إلى اتخاذ طريق وسط بين ما أسماه سي. رايت ميلز C. Wright Mills "الإمبيريقية المجردة Abstract Empiricism" أو الخالصة وبين "النظرية الكبرى Grand Theory". وهذا المدخل كان معترفا به كاتجاه قوي في جامعة كولومبيا بهدف توكيد دعوى "الثقافة فوق المجتمع" . وقد شارك ليند في ذلك الاتجاه بقوة . فمن جون ديوي John Dewey في الفلسفة إلى فرانز بواس Franz Boas وروث بنديكت Ruth Benedict في الأنثروبولوجيا كان التوكيد على إطار ثقافي يفترض أنه موجود في المجتمع والاقتصاد والسياسة. وقد كان ليند يشغل مايشبه البجعة في قسم كان بعض أعضائه على الأقل يعتبرونه بطة صغيرة قبيحة . وقد كانت نزعته الأنثروبولوجية الفلسفية أكثر من افتقاره إلى المنهج الإحصائي هي التي تثير إحباطاته بحيث دفعته إلى تغيير أولوياته من الاهتمامات الفكرية إلى الشئون المتعلقة بالقسم .

وقد انشغل ليند بإحضار أفضل العلماء لقسم الاجتماع بجامعة كولومبيا حتى حين كانت تساوره

الشكوك حول فاعلية المناهج المتّبعة ولقد كان الجناح المنهجى الذى يمثله بول لازارسفيلد Paul Lazarsfeld ومكتب البحث الاجتماعى التطبيقى يلقى كل المساندة والتأييد من ليند . ومع أنهما كانا يعتنقان اتجاهين فكريين مختلفين تماما ظل ليند ولازارسفيلد صديقين حميمين؛ فلم ينس لازارسفيلد أبدا الدور الذى قام به ليند لمساعدته للعمل بجامعة كولومبيا عام ١٩٤٠ كما لم يغفل أبدا الاعتراف بفضل دراسة ليند لميدلتاون فى الجهود التى بذلها فى الثلاثينيات فى بحثه للمجتمع المحلى (Jahoda, Laz & Zeisel 1933) ... ومن جانبه كان ليند كثيرا مايشير إلى دراسة لازارسفيلد لقرية مارينتال Marientahl النمساوية وذلك فى كتابه عن التحول فى ميدلتاون، Lynd & lynd 1939,pp. 146,1179,201,254-255,385) كذلك كان ليند يشارك روبرت مرتون Robert K. Merton الاهتمام بالنطاق المتوسط فى البحث الاجتماعى. ولعله كان أقرب فكريا إلى مرتون منه إلى أى شخص آخر فى القسم بجامعة كولومبيا، ولذا كانا يعملان سويا فى اتخاذ القرار حول المستويات فى ذلك القسم . وقد لعب ليند دورا فعالا فى إحضار ميلز من جامعة مريلاند إلى كولومبيا كما كان يحتل مكانا مركزيا فى مجموعة العلماء الاجتماعيين فى فترة مابعد الحرب والتى كان يرأسها ليبست الذى واصل الحوار حول الثقافة والديموقراطية بصورها الجديدة وفى فترة الأزمات التى أعقبت الحرب. إلا أن ليند خرج عن صمته الذى امتد من ١٩٣٩ إلى ١٩٥٦ ، وهى فترة طويلة، ولكنها أتاحت له أن يكتب نقدا عنيفا فى عام ١٩٥٦ لكتاب ميلز الشهير: قوة الصفوة *Power Elite* (1956)

وحين نأخذ فى الاعتبار ندرة كتابات ليند فى الفترة من عام ١٩٣٩ حين أصدر كتابه عن دواعى المعرفة وعام ١٩٥٦ حين نشر مقاله فى مجلة *The Nation* والذى نقد فيه كتاب ميلز تتبدى لنا أهمية ذلك النقد . فقد كان ليند مشغولا منذ ظهر كتاب *Middletown*

بتطوير نظرية عن القوة والديمقراطية وكان يرى أن القوة كمصدر اجتماعى عنصر أساسى للغاية فى إدارة المجتمع وأنه يمكن التحكم فيها وتوجيهها لما فيه خير الجنس البشرى أو إفساده عن طريق إساءة استخدامها كما هو الشأن تماما بالنسبة للطاقة الفيزيقية ، وأن تطوير الأهداف الديمقراطية والارتفاع بمستوى الثقافة القومية التعددية هى مسئولية أى نقد سوسيولوجى للقوة . فتوكيد الرئيس چفرسون على الحياة الديمقراطية هو بالضبط أشد الفروض إثارة للمشاعر فى كتاب دواعى المعرفة . وكان ليند يشارك ميلز الاهتمام بالاستخدام الملائم للقوة وتطبيقاتها إذ كان هو أيضا يعتقد أنه يساء استخدامها إلى حد كبير من جانب جماعات القوة . بيد أن ليند كان يأخذ على ميلز إخفاقه فى العمل على دفع تحليل القوة وتوسيع معناها من أجل الديمقراطية كما كان يرى أن المهمة الرئيسية لأى دارس للقوة هى تطوير نظرية عن القوة فى المجتمع وأن ذلك لم يكن من أهداف ميلز. ولم يكن ليند يتعاطف بحال مع افتقار ميلز للالتزام بأخلاقية الديمقراطية الليبرالية وأن ذلك الموقف الغامض تنقصه بالتالى الصلابة والتماسك بالنسبة لأمريكا، بل وبالنسبة لأى بديل آخر له شأن ومعنى . كذلك كان ليند يرى أن تحليل القوة فى العلم الاجتماعى محدود وقاصر إن لم يكن ممجوجا لأنه يخفى أو يتجاهل الخصائص الأساسية لأى نسق اجتماعى محدد ، وأنه أنتج تحليلا سطحيا يكاد يكون مجرد طريقة ساذجة عن معالجة الرأسمالية والاشتراكية وبناء الطبقة. وفى هذا الإطار التقط ليبست Lipset هذا المعنى عن إحباط ليند وذلك فى كتابه The First New Nations (1963) الذى كان يتبع فيه بشكل أو بآخر نفس الخطوط التى اتبعها ليند فى نقده لكتاب ميلز

وليس من الإنصاف أن نعتقد أن إسهام ليند ينحصر فى أعمال تلاميذه فحسب . فقد كان ليند قريبا من التحليل الماركسى الحالى للمجتمع

الأمريكى . ومن المؤكد أن ادعاءاته أن ميلز أغفل الدليل المهم على ارتباط الرأسمالية الأمريكية الحالية برأسمالية القرن التاسع عشر تتفق مع تلك الرؤية . وقد بين ليند أن ميلز لم يحلل بطريقة منهجية منتظمة الاقتصاد الأمريكى وأنه بتركيزه على التغيرات الكبرى فشل فى إبراز الملكية كأساس قوة تربط بين القرنين ، فقد كان ليند يرى أن العلم الاجتماعى فى حاجة لأن يفهم الخصائص الأساسية للنسق الأمريكى ككل وليس أى نظام واحد معين داخل ذلك النسق ، ثم حدثت الفرقة بينهما فى آخر الأمر حين افترض أن طابع الرأسمالية الأمريكية يحدد نوعية المجتمع الأمريكى فى الولايات المتحدة عن غيره من المجتمعات .

وتجمع الآراء على أن ليند كان محقاً وصارما فى موقفه وإنه كان شديد الالتزام بفكرة أن التعليم العالى وعلم الاجتماع ذاته عوامل ثقافية حاكمة فى التحول والتغيير ، كما أنه كان شديد الإيمان طيلة حياته بأسلوب جامعة كولومبيا فى التعليم كعملية لترسيخ الحضارة وأن الحضارة ذاتها يمكن قياسها عن طريق النظم التعليمية المتقدمة . وقد كان ليند شخصية شعبية عادية فى عالم يموج بالنبلاء والأشراف . ولكن مما يحسب له أن القيم التى اعتنقها وعاش بمقتضاها بقيت واستمرت ملازمة له . وقد ربط بين التقليد السوسيولوچى ومشكلات العلم الاجتماعى من ناحية وبين الثقافة الديمقراطية ومشكلات المجتمع الكبرى من الناحية الأخرى

أما **هيلين ميريل ليند** التى كانت تصغر زوجها بعامين والتى شاركته فى العمل فقد أفلحت فى أن تشق لنفسها طريقا فى عدة مجالات . وقد ولدت هيلين يوم الاحتفال بأعياد القديس باتريك St. Patrick's Day عام ١٨٩٤ لأبوين متدينين ومتمسكين بمبدأ العدالة الاجتماعية المميزة لرجال الدين ال CONGRATIONALISTS فى الوسط الغربى من أمريكا. وقد تخرجت من كلية ولزلى Wellesley College عام

١٩١٧ حيث كانت مارى إس. كيس Mary S. Case هى الشخصية الوحيدة المؤثرة، والتى تولت توجيهها لدراسة الفلسفة وبخاصة فلسفة هيجل كما أنها- حسب مايقول برت لوينبيرج Bert Lowenberg زميلها فى كلية سارة لورانس -"أعطتها دفعة قوية فى المجالين" (1965,p.VI) ...وقد تزوجت من ليند عام ١٩٢١ وعملت بالتدريس لعدة سنوات فى كلية سارة لورانس وظلت تعيش فى منطقة مدينة نيويورك بعد تقاعدها عام ١٩٦٥ ... وإذا كانت كلمة *polymath* التى تعنى الشخص متعدد المعرفة لها أى مدلول فإن ذلك المدلول ينطبق عليها تماما . فلم تكن مجرد شريك لزوجها فى تأليف سلسلة ميدلتاون الشهيرة التى كانت تكفى وحدها لأن تجعل منها شخصية بارزة فى علم الاجتماع، ولكنها أفلحت أيضا فى أن يكون لها مكان مرموق فى مجالات التاريخ وعلم النفس والفلسفة كما كانت على دراية وثيقة بشعر شيلى ومسرحيات برنارد شو وروايات دستويفسكى، كما كانت ضليعة فى الأدبيات الفنية الخاصة بعدد مدهش من الميادين ابتداء من فلسفة العلم إلى علم النفس التجريبى. وربما كانت هذه الإحاطة الشاملة ضرورية لعمل مثل ميدلتاون الذى كان بطبيعته يتسامى ويعلو على كثير من التخصصات والتصورات .

بعد الانتهاء من كتاب التحول فى ميدلتاون شقت هيلين ليند لنفسها طريقا خاصا بدأ بكتابها الرائع عن إنجلترا فى ثمانينيات القرن الثامن عشر *England in the Eighteen-Eighties* (1945) وهو كتاب فى التاريخ الاجتماعى كان فى الأصل رسالتها للدكتوراه تحت إشراف عميد التاريخ فى جامعة كولومبيا كارلتون چيه. إتش. هايس Carlton J. H. Hayes. وقد ظهر تأثير كتاب ميدلتاون فى تنظيم كتابها الذى ينقسم إلى الموضوعات التالية : "البيئة المادية" ، "بيئة الأفكار" ، "الأحزاب السياسية" ، "العمل المنظم" ، "التربية الدينية" ،" التنظيم من أجل التغيير" . ويكشف الكتاب عن التوتر

الجدلى بين القديم والجديد والتفاوت بين الوفرة المادية وإشباع الحاجات الإنسانية من ناحية وبين الفقر الجاثم على أنفاس الجماهير من الناحية الأخرى . وقد فهمت هيلين ليند إنجلترا فى تلك الفترة على أنها غارقة فى مشاكل التنظيم الاجتماعى المتعلق بالفردية الديمقراطية ، وهى مشكلة ظهرت أولا فى إنجلترا ثم فى الولايات المتحدة بعد ذلك بخمسين سنة .

وتتميز كتابة هيلين ليند باتساع المساحة وبوضوح شفاف يخفى وراءه جديّة الجهود التى بذلتها. فقد أبرزت التوتر الجوهرى بين الحرية والسلطة فى سلسلة من المناقشات حول الحياة الحزبية ، ونعنى بذلك التوتر بين المحافظين والأحرار وبين العمل المنظم ومن يمكن وصفهم بالمشاغبين والإصلاحيين وبين تعاليم الكنيسة العليا وجماعات الكويكرز الذين يحملون دعاوى الإصلاح الدينى وغيرهم من الجماعات غيرالملتزمة ، وبين التسيب الفج فى المدارس الخاصة ومأساة التعليم للطبقة الدنيا وما كان يعرف باسم المدارس المجانية للتعليم المجانى . وكان ذلك الكتاب يسيطر عليه بشعور قوى بالتناقضات الاجتماعية فى المجتمع البريطانى ومليئا بسلسلة من الصراعات التى يصعب حلها خلال عقد من الزمن من وجهة نظر مجتمع يضم عدداً كبيرا من رجال السياسة والكتاب ومؤلفى المسرحيات الذين كانوا يلقون الضوء على الموضوعات المحورية فى الحرية والسلطة.

وإذا كان ذلك العمل يبدو بعيدا عن كتابها الكلاسيكى الذى ظهر بعد ذلك بأكثر من عشر سنوات وهو كتاب : عن العار والبحث عن هوية ***On Shame and the Search for Identity (1958)*** فإنه يكشف بشكل ما عن نفس الشعور بالتوتر الجدلى فى مواقف محددة معلومة . وحتى فى مناقشة المقولات السيكولوچية مثل: العار والذنب وطبيعة اللغة ومفاتيح الهوية كانت تحرص على ضرب الأمثلة التى تشير إلى مجالات واسعة من آراء كبار رجال العلم

والأدب فى تلك الفترة . فقد كان من أهم ما يميز هيلين ليند أنها ترجع إلى أعمال كثيرة شديدة التنوع مثل أعمال سى. بى. سنو C.P. Snow ونوربرت فينر Norbert Wiener وألفريد كورزيبسكى Alfred Korzybski مع قدرة فائقة على صياغة كل تلك المعلومات والأفكار بطريقة لا تتيسر أبدا لكاتب أقل منها مهارة . ويشترك الكتاب مع عملها المبكر فى أنه يصدرعن دافع ديمقراطى قوى ، وقد أصبحت قوة تأثير كتابها السابق هى البحث عن هوية وتحقيق تلك الهوية. وتميز هيلين ليند بين الذنب وهو استجابة لمعايير تم استدماجها وبين العار باعتباره استجابة لنقد أو سخرية الآخرين . وكانت ترى الذنب هو بالضرورة نتيجة للتعدى أو للجريمة أو خرق تابو معين أو مبدأ قانونيًا بفعل متعمد وإرادى، بينما يرتبط العار بالكشف عن تجاوب الشخص وتعرية بعض المظاهر والجوانب الحساسة والمؤلمة للنفس والذات.

وهذا العمل أكبر بكثير جدا من أن يكون مجرد دراسة سيكولوچية للذة والألم أو للثواب والعقاب ، فهو يشتمل على نظرية عامة عن نمو الشخصية فى ضوء تطور الفكر التاريخى . وقد اعتمدت فى صياغتها إلى حد كبير على أعمال چيورچ زيمل Georg Simmel ودوروثى لى Dorothy Lee. وكانت هيلين ليند تؤمن بوجود علاقة قوية بين تصورات التحليل النفسى وآليات الضبط الاجتماعى التى تهدف إلى تخفيف الصراع . وبصرف النظر عن طبيعة هذا الهدف فإنه ليس مبررا كافيا لتعديل الشخصية التى تخضع إلى حد كبير للأوضاع والميول التاريخية . وقد جعلت هذه النظرة عملها مختلفا عن كل الكتابات التى ظهرت فى الخمسينيات متأثرة بالفرويدية الجديدة التى كانت سائدة فى ذلك الحين ، إذ كان اهتمامها بالبحث عن الماهية والانتماء يرتبط بعلم الاجتماع والتاريخ ارتباطا قويا . وقد لاحظت فى معرض بحثها عن الطريقة التى كانت تصاغ بها تلك التساؤلات

فى العصور القديمة والوسطى والحديثة أن بعض المفاهيم - مثل مفهوم الكبرياء والعار- ترتبط بالنظريات العامة فى الدين واللاهوت والأيديولوچيا بينما كانت هى ترى أن خطيئة الكبرياء لم تكن هى الباعث للارتفاع على العار ، وإنما كان الباعث الذى يلعب الدور المحورى فى الارتفاع بالوعى والإدراك هو القدرة على التمسك بالكبرياء لتحقيق مستوى أعلى ، أو حتى نوع من الوضوح للهوية . ومما يؤسف له أنها لم تقدم معلومات واقية تساعد على التعرف على كيف أن محور الذنب ومحور العار يمكن التغلب عليهما عن طريق الاستعانة بمحور للكبرياء والتواضع . ولكن نظرا لأن العلوم الاجتماعية كانت فى تلك الفترة تركز على أهمية الضبط الاجتماعى المركّز والاستجابات السلبية للجنوح، فإن كتاب العار والبحث عن هوية كان شيئا أكبر من أن يعتبر جزءا من نتاج جيل معين بالذات . فلقد كان الكتاب جزءا من التزام هيلين ليند بفكرة أن حرية الفرد ترتبط ارتباطا شديدا بالديمقراطية الاجتماعية .

ولقد أشادت الكتابات النقدية إشادة واسعة بكتاب عن العار والبحث عن هوية وأدرك المشتغلون بالعلاج النفسى مدى ثراء وأهمية ذلك العمل فذهب فرانز ألكسندر Franz Alexander إلى أن " دراسة السيدة ليند أعمق وأشمل بكثير من أى عمل آخر معاصر فى الموضوع ، فهو كتاب بالغ الدقة وخطاب مثير للغاية عن أهم ملكة من الملكات الإنسانية وهى تفكير الذات فى الذات"(1958p.7) وقد أضاف تيودور رايك Theodor Reik قوله " إن قوة إدراكها ورهافة حسها تظهران بوجه خاص فى تمييزها بين الذنب والعار وكذلك فى أمانتها الفكرية وأصالة ملاحظاتها مما جعل كتابها عملا رائعا "(1958p.19). وقد كان فى استطاعة رايك أن يضيف أكثر من ذلك نظرا لأن هيلين ليند التى جاءت من تخصص التاريخ كتبت عملا رائدا فى علم الاجتماع كما قامت بتدريس الفلسفة . والواقع أنها ، ومثلها فى ذلك مثل زوجها ، كشفت عن أن عنصر تكريس الذات للفكر الحر هو سمة أصيلة وراسخة فى العائلة .

وقد جمعت بعض كتاباتها المتفرقة في كتاب بعنوان ***Toward Discovery*** *(1965 b)* وفي المقدمة التي كتبها برت لوينبيرج للكتاب لاحظ عن صدق أن " اهتمام هيلين ليند موجّه أساسا نحو سياق الاكتشاف وبيئة الأفكار والتعليم في المجتمع المعاصر وطبيعة الموضوعية التاريخية (1965,p.VI) وأن الاكتشاف بالنسبة لها هو في آخر الأمر أسلوب للنمو بقدر ما هو تكنيك للبحث، وأنه يتضمن مناهج وأساليب عديدة ، وأن تلك المجموعة من كتاباتها تعطي أمثلة وافرة ووافية عن كل تلك الجوانب .

في الخمسينيات حققت هيلين ميريل ليند لنفسها شهرة سياسية واسعة بانخراطها في سلك المعارضين للمكارثية في نطاق الحياة الجامعية . وكان مقالها عن "الحقيقة في جامعة واشنطن "(١٩٤٩) نوعا من التعريض بإدارة الجامعة وبالأساتذة المؤيدين للمكارثية ، فقد كان هناك عدد من الأساتذة المتفرغين الذين يعتبرون علماء أكفاء ومعلمين موضوعيين لا تشوبهم شائبة من الناحية الأكاديمية، ولكنهم كانوا أعضاء في الحزب الشيوعي فاعتبروا فاقدين للموضوعية الأكاديمية. وقد أدت مثل هذه القضايا إلى انقسام المجتمع الأكاديمي انقساما خطيرا ، وكانت هيلين ليند تقف دائما في صف ضحايا المكارثية لدرجة أن كتاباتها العادية المتفرقة كانت تشير إلى نفس التوتر بين الحرية والسلطة وبين الهوية والإثم . بل إن كتاباتها تجاوزت إلى حد كبير حدود المهادنة الشكلية . وفي وقت كان أي دفاع عن الحزب الشيوعي يرتفع إلى مصاف الدعوة إلى التمرد ويعرّض صاحبه لكارثة كانت لديها الجرأة لأن تكتب وتقول :

"الحرية والصدق يجب أن يتوفرا في العالم الذي نعيش نحن فيه ، فهما لا يوجدان أبدا في فراغ . ومهما قيل من سوء عن الحزب الشيوعي فإنني لا أستطيع أن أعثر في كل ماكتب على ما يؤيد صراحة ماحدث في جامعة واشنطن ويبرر الاعتقاد بأن في الإمكان وجود قوة متسلطة فوق

الأساتذة فى الولايات المتحدة أشد تسلطا من مجلس الأمناء ، أو أن البحث عن الحقيقة يكون أكثر عرضة للتهديد من الشيوعية أكثر من الفعل التعسفى الذى يصدر من مجلس الأمناء أو من لجان كانويل Canwell كذلك ليس فى إمكانى أن أعثر على أية شواهد تؤيد الاعتقاد بأن تعرض الشيوعيين لعمليات التطهير هو فى صالح التعليم المستقل والديمقراطية " .

وإذا كان لروبرت ليند تأثير واضح على (ذريته) الفكرية فإن هيلين ليند كان لها تأثير مماثل على (ذريتها) العائلية . فقد كان لهما ابنان هما أندريا وستوجتون . وكان ستوجتون بوجه خاص يميل إلى الأفكار الراديكالية والمشاركة فى الأنشطة الاجتماعية كما يستدل على ذلك من كتاباته فى التاريخ والعلم الاجتماعى واندماجه فى كثير من الحركات ابتداء من معارضة الحرب فى فيتنام إلى المؤازرة القانونية للحركة العمالية المنظمة فى وسط الغرب من الولايات المتحدة . ولقد كان آخر ما صدر من توجيهات هيلين ليند لتلاميذها عند التخرج من كلية سارة لويس عام ١٩٦٤ متمشيا تماما مع حياتها العملية وكتاباتها هى وزوجها حيث قالت لهم : " وهكذا نحن نعبر الجسر إلى دنيا جديدة . إننا نسير وحدنا ، ولكننا نأخذ معنا بعض المعرفة عن معنى الانخراط بعمق فى عوالم التعلم العديدة ، وأن نلمح كل ما يوجد وراءها ولايزال مجهولا وغير معروف . وسوف نأخذ معنا أيضا الابتهاج والمرح والاعتزاز بمعرفتنا بعضنا بعضا وهى معرفة سوف تستمر حيث نشترك سويا فى توقع ماقد يحدث فى المستقبل ."

المؤلف : Irving Louis Horowitz

المترجم : أحمد أبو زيد

(*) توفى روبرت ليند فى الأول من نوفمبر عام ١٩٧٠
وتوفيت هيلين ميريل ليند فى ٣٠ يناير عام ١٩٨٢ (المترجم)

BIBLIOGRAPHY

WORKS BY ROBERT S. LYND

1939 *Knowledge for What?: The Place of Social Science in American Culture.* Princeton Univ. Press. → A paperback edition was published in 1969.

1956 Power in the United States. *The Nation* 182:408–411.

WORKS BY HELEN MERRELL LYND

1945 *England in the Eighteen-eighties: Toward a Social Basis for Freedom.* New York and London: Oxford Univ. Press.

(1949) 1965 Truth at the University of Washington. Pages 125–138 in *Toward Discovery.* Bronxville, N.Y.: Sarah Lawrence College.

1958 *On Shame and the Search for Identity.* New York: Harcourt. → A paperback edition was published in 1970.

1965*a* Some Requirements of Learning. Pages 269–275 in *Toward Discovery.* Bronxville, N.Y.: Sarah Lawrence College.

1965*b* *Toward Discovery.* Bronxville, N.Y.: Sarah Lawrence College.

WORKS BY ROBERT S. AND HELEN MERRELL LYND

(1929) 1930 *Middletown: A Study in Contemporary American Culture.* New York: Harcourt. → A paperback edition was published in 1959.

1937 *Middletown in Transition: A Study in Cultural Conflicts.* New York: Harcourt. → A paperback edition was published in 1963.

SUPPLEMENTARY BIBLIOGRAPHY

ALEXANDER, FRANZ 1958 Who, Where, What, and Why. *The New York Times Book Review* Mar. 30:7, 22. → Book review of Helen Merrell Lynd 1958.

CHASE, STUART 1929 Book Review of *Middletown*. *The Nation* 128, no. 3318:164 only.

JAHODA, MARIE; LAZARSFELD, PAUL F.; and ZEISEL, HANS (1933) 1971 *Marienthal: The Sociography of an Unemployed Community*. Chicago: Aldine. → First published as *Die Arbeitslosen von Marienthal*. The 1971 edition contains a new foreword by Lazarsfeld and an afterword by Zeisel entitled "Toward a History of Sociography."

LIPSET, SEYMOUR M. 1963 *The First New Nation*. New York: Basic Books.

LOEWENBURG, BERT J. 1965 Curved and Rendered by Reason. Introduction in Helen Merrell Lynd, *Toward Discovery*. Bronxville, N.Y.: Sarah Lawrence College.

MADGE, JOHN H. 1962 Life in a Small Town. Pages 126–161 in *The Origins of Scientific Sociology*. New York: Free Press.

MENCKEN, H. L. 1929 Book Review of *Middletown*. *American Mercury* 16, no. 63:379–381.

MILLS, C. WRIGHT 1956 *The Power Elite*. New York: Oxford Univ. Press.

REIK, THEODOR 1958 Awareness of the Self. *Saturday Review of Literature* 41:19 only. → Book review of Helen Merrell Lynd 1958.

TOCQUEVILLE, ALEXIS DE (1835) 1945 *Democracy in America*. 2 vols. Translated by Henry Reeve, re-

vised by Francis Bowen, and edited by Phillips Bradley. New York: Knopf. → First published in French. A new edition, translated by George Lawrence, edited by J. P. Mayer, and with an introduction by Max Lerner, was published by Harper in 1966. Paperback editions were published in 1961 by Vintage and Schocken.

مارشال ، تى . إتش

MARSHALL, T, H

ولد عالم الاجتماع البريطانى توماس همفرى مارشال Thomas Humphery Marshall فى لندن فى ١٩ ديسمبر عام ١٨٩٣ ، وهو ابن لمهندس ناجح ، ونشأ وتربى فى بيئة مهنية عالية، نال تعليمه فى مدرسة عامة (من المدارس الحكومية) مع أطفال ينتمون إلى ذات الخلفية الطبقية . ظهر نبوغه وولعه بمجال المشكلات الاجتماعية والفروق الطبقية عند التحاقه بجامعة كمبردج لدراسة التاريخ ، أدرك لأول مرة أنه يلتقى على قدم المساواة بشباب ينتمون للطبقة العاملة (1973,p.88). وهناك كان أهم اثنين تأثر بهما هما المؤرخ الاقتصادى چون هارولد كلابهام John Harold Clapham، وأستاذ العصور الوسطى الأمريكى جيلارد لاپسلى Gaillard Lapsley. وقد اكتسب من قراءاته المتعمقة لكلاسيكيات البناء الاجتماعى فى العصور الوسطى خبرة دقيقة عن فوائد الفئات الاجتماعية Social Categories ثم تحول اهتمامه البالغ إلى تحليل وتطور العلاقات والروابط بين المنظمات والمؤسسات الاجتماعية أثناء السنوات الأربع التى قضاها كسجين مدنى فى معسكر Ruhleben الألمانى خلال الحرب العالمية الأولى . وقد كتب فى سيرته الذاتية المختصرة "أن روهلبين Ruhleben اخترق حواجز عالم النخبة البرچوازية المنعزل الذى نشأت فيه ولكننى لم أدرك التأثير الفعلى لهذا الاختراق إلا بعد أن انغمست فى مغامرة أخرى بعد عودتى إلى إنجلترا (Ibid. p.90)".

كانت المغامرة الثانية ذات طبيعة سياسية ، فرغم أن لاپسلى وكلابهام قدما له منحة دراسية لمدة ست سنوات فى كلية ترينتى Trinity College فى كمبردج ، فإنه لم يكن مستعداً للعودة إلى عالم التاريخ الأكاديمى المغلق على نفسه ، ووجد من أقنعه بخوض الانتخابات السياسية ، لكنه لم ينجح

كمرشح لحزب العمال عام ١٩٢٢ فى دائرة سارى Surrey التى تسود فيها أغلبية ساحقة لحزب المحافظين . ورغم أدائه الجيد فى مواجهة الظروف المعاكسة فإنه قرر عدم مواصلة العمل السياسى .

عاد مارشال إلى كلية ترينتى Trinity College، وأنجز عدة كتابات عن تاريخ الاقتصاد فى القرن الثامن عشر (eg. 1925,1929) وكان من المحتمل أن يستمر فى هذا المجال لولا تلقى تعيينه عام ١٩٢٥ فى مدرسة لندن للاقتصاد (L.S.E)، وهناك طلب منه مدير المدرسة وليام هنرى بفريدج William Henry Beveridge – أن يتولى فى المحل الأول تدريب طلبة الخدمة الاجتماعية، قام بتدريس الاقتصاد الإنجليزى والتاريخ الدستورى ، ولكنه سرعان ما انجذب إلى التحليل المقارن الذى تميزت به الجامعة على يد اثنين من أعظم علماء الاجتماع ، وهما : إل . تى . هوبهاوس L.T. Hobhouse، وموريس چنزبرج Morris Ginsberg.

وقد توفى هوبهاوس عام ١٩٢٩ وتقلد چنزبرج منصبه ، فدعا مارشال للانضمام لقسم الاجتماع لتدريس مادة النظم الاجتماعية المقارنة comparative social institutions، وكتب يقول "وهكذا أصبحت من علماء الاجتماع" (1973,p.910). ولم يكن مارشال قد تدرب بأى شكل فى أى مجال من مجالات علم الاجتماع وفقاً للتعريف المحدد لهذا العلم فى ذلك الوقت ، كما أنه لم يقم بأى عمل فى مجال النظرية السوسيولوچية ، ولذا كانت كل مهاراته المنهجية هى بالضرورة مهارات المؤرخ .

وقد ركز فى أعماله الأولى كلية على التطورات فى إنجلترا . وتكشف أعماله بعد عام ١٩٤٩ ، عن تأثير التحليل المتعمق للظروف والأوضاع فى ألمانيا على مدى عدة سنوات. فخبراته الأولى كسجين أثارت اهتمامه بالشئون والأحوال الألمانية ، وحين اندلعت الحرب العالمية الثانية ، سُجل فى منظمة أنشئت لمتابعة الصحافة الأجنبية لمصلحة وزارة الخارجية البريطانية ،

وأصبح خبيراً فى شئون المجتمع والسياسة الألمانية، ثم أمضى بعد الحرب ثمانية عشر شهرا كمشتشار لشئون التعليم فى مفوضية الرقابة البريطانية بألمانيا.

ولقد كرس الجانب الأكبر من السنوات العشر بين (١٩٣٩- ١٩٤٩) للأعمال الإدارية ، فشغل على سبيل المثال منصب رئيس القسم المسئول عن تدريب الأخصائيين الاجتماعيين بمدرسة لندن للاقتصاد ، ولم يستطع إلا بعد انقضاء هذه الفترة الطويلة من العمل الإدارى أن يجد الوقت الكافى للتركيز على ما كان يعتبره مهمته الأولى وهو تنظيم المنظور التاريخى فى تحليل البناء الاجتماعى وبشكل منهجى **The Systematization of Historical Perspective in the Analysis of Social Structure**، ثم برز إسهامه المتميز عام ١٩٤٩ فى شكل محاضرة ألقاها بجامعة كمبردج على شرف عالم الاقتصاد ألفريد مارشال **Alfred Marchall** بعنوان "المواطنة والطبقة الاجتماعية" ***Citizenship and Social Class (1950)*** ، وقد أرست هذه المحاضرة شهرته على مستوى العالم ، ولكن هذه الفترة الإبداعية لم تستمر طويلا ، ففى عام ١٩٥٦ عُيِّن مديرا لقسم العلوم الاجتماعية بمنظمة التربية والثقافة والعلوم بالأمم المتحدة . وخلال السنوات الأربع التى عمل باليونسكو **Unesco**. اشترك فى تطوير علم الاجتماع كمتخصص أكاديمى، وفى عام ١٩٥٩ تولى رئاسة الرابطة الدولية لعلم الاجتماع بعد چورچ فريدمان **Georges Friedman**. وفى عام ١٩٦٠ انتهت فترة عمله مع اليونسكو كما تقاعد من مدرسة لندن للاقتصاد **(L.S.E)**، فعاد إلى كمبردج موطنه الأكاديمى وقام بالتدريس - بعض الوقت - فى كلية الاقتصاد وشارك فى تدعيم علم الاجتماع بالجامعة وتابع كتاباته ، فنشر كتاب "السياسة الاجتماعية." ***"Social Policy"*** عام ١٩٦٥، حيث أعطى تصورا واضحا لأهمية المنظور التاريخى المقارن فى تحليل المفاهيم الأساسية فى البحث الاجتماعى.

المواطنة والطبقة الاجتماعية

Citizenship and Social Class سيذكر لتوماس مارشال إسهاماته الخالدة في مجال علم الاجتماع التاريخي ، وسيظل كتابه عن "المواطنة والطبقة الاجتماعية" نموذجا كلاسيكيا للتحليل الواضح للمفاهيم في إطار خطة مرجعية للتفسير التنموي.

وقد أثارت الخطة خيال عدد كبير من الأكاديميين للبساطة التي استطاع بها الربط بين تحليل ماركس لوضع الطبقة مع عالمية المواطنة التي أكدت عليها مدرسة فيبر Weber، وقد أدت المعارك التي وقعت داخل الماركسية الدولية إلى تغيير موقف المثقفين تجاه صعوبات التوفيق بين ادعاءات الولاء للطبقة والتزامات المواطنة في الدولة . وقد ركز مارشال تحليله على الازدواجية بين الطبقة - الدولة ، والطبقة - الأمة ، وحاول تحليل تاريخ امتداد حقوق المواطنة وانتشارها كنتيجة لتتابع الاستراتيجيات المضادة counterstrategies في الصراع من أجل الإبقاء والحفاظ على الوحدة القومية في مواجهة الصراع الطبقي والحضاري تحت وطأة الرأسمالية . فتصاعد وسيطرة المناخ الرأسمالي أدى إلى زيادة القدرة على الصراع، كما أن انتشار حقوق المواطنة والتساوي فيها كانا يمثلان أهمية مُلِحَّة في الاستراتيچيات المضادة .

وقد قام مارشال - بناء على البحوث التي أجراها - بوضع تصنيف مبسط لحقوق المواطنة وأيضا تصنيف للتغيرات وفقا للتتابع التاريخي :

١ - القرن الثامن عشر أرسى المواطنة المدنية Civil Citizenship: المساواة أمام القانون ، حرية الفرد ، حرية التعبير والتفكير والعقيدة ، حق التملك وإبرام العقود.

٢ - القرن التاسع عشر وسّع مجال المواطنة السياسية political citizenship: الحق في الانتخاب ، حق الخدمة في الأجهزة التي تمارس السلطة السياسية ، سواء في مجال التشريع أو مجالس الوزراء.

٣ - القرن العشرون وفر لنا عناصر المواطنة الاجتماعية Social Citizenship : حق التمتع بحد أدنى من الرفاهية الاجتماعية والاقتصادية ، حق المشاركة الكاملة فى التراث الاجتماعى والحياة الكريمة وفقاً للمستوى السائد فى المجتمع (1963,p.74).

واستند تتابع هذه الخطوات الثلاث على تاريخ التغير المؤسسى فى بريطانيا العظمى . إذ كان مارشال على وعى تام بأن تسلسل التغيرات يختلف من دولة لأخرى، ولكن لم يحاول وضع أى خطة منتظمة لتفسير هذه الاختلافات . وقد طور أتباع مارشال هذا التحليل الثلاثى الخطوات إلى منظور مقارن أشمل وأوسع ، لكنهم لم يجدوا ما يدعو إلى تحدى نظرية البديهية الأساسية (eg. Bendix & Rokkan 1964, Rokkan et. al. 1970 , Flora et. al 1977). وقد ربط مارشال تحليله للمواطنة بمفهوم الطبقة الاجتماعية وتساءل : كيف يمكن أن يتفق تزايد المواطنة مع ازدهار الرأسمالية التى تعتبر نظاما يقوم على اللا مساواة ؟ ما الذى أدى إلى توافق هاتين العمليتين إحداهما مع الأخرى بحيث تتحالفان معا (لفترة على الأقل) بدلا من أن تتضادا، وتوصل مارشال إلى أن التعصب الطبقى وعدم عدالة توزيع الثروة يعتبران من العوائق التى تحول دون الاستمتاع الكامل بالحقوق . فعدم وجود فرص اقتصادية يقلص الحقوق المدنية . وذهب إلى أن نظام الطبقة الرأسمالى والمواطنة كانا فى حالة حرب فى أوائل القرن العشرين ، وأن تطور الحقوق لم يحدث دون صراع، وشيئا فشيئا أدى انطواء الاحتكار الطبقى تحت النظام القانونى وازدياد الوعى لدى كل الطبقات بمعنى المساواة الاجتماعية - إلى اختفاء - إن لم يكن زوال الصراعات الاجتماعية وتحقيق حقوق المواطنة على أرض الواقع .

وفى المحاضرة التى ألقاها تى . إتش مارشال T. H. Marshall على شرف ألفريد مارشال Alfred Marshall،

عـرض أولاً خطـة الخطـوات الثـلاث ، واعتمد كنقطة انطلاق على محاضرة ألفريد مـارشـال "مـسـتـقبل الطبقـات العـاملة" The Future of the Working Classes, 1873 in Memorial 1925 . وقـدم شـرحـا لأسـبـاب اعـتـقـاده بأن التـوسـع فى فـرص التـعليم وانـتـشـار الحقوق السياسية سيؤدى إلى ارتباط العمال تدريجياً بمصير الدولة – الأمة ، وبالتالى سيقلل أو يخفف من القدرات والنزعات الثورية تجاه الاسـتـقطاب الطبـقـى Class Polarity. وقـد طور مـارشـال التـحليل الذى قدمـة ألفـريد مـارشـال ، وأوضح أن التـوسـع فى الحقوق السياسية والاجتماعية قد أدى إلى إضفاء "الصفة القومية" على الطبقة العاملة .

تابـع مـارشـال تحليله للطبـقـة والمكانـة فى عدد من المقالات التى طبع معظمها فى كتـاب "علم الاجتمـاع فى مـفـتـرق الطرق" Sociology at the Crossroads"(1963) ولم تتعد مناقشاته ثلاثية فيبر الشـهيرة : "الطبقة – المكانة – الحزب". ولكنه كتب – بقوة وبإصرار – عن التـغيرات التـاريخيـة التى طرأت على وزن وقيمة هذه التمييزات فى ضوء التطورات التى حـدثت فى بريطانيـا. وقـد أسـهم كـذلك فـى تقـديم عـدة تحليـلات للاتجـاهـات نحـو المهنيـة Professionalization، وما ترتب عليها من وجـود نظم التـدرج الاجـتـمـاعى Stratification فى المجتمعات المعاصرة .

دراسات فى الرفاهية والسياسة الاجتماعية اهتم مارشال اهتماما بالغا بمشكلات الرفـاهيـة الاجـتـمـاعيـة منذ تعيينه فى مـدرسـة لندن للاقـتـصـاد ، وكـتـب عـدة أوراق عن تطور دولة الرفاهيـة فى الأربعينيات والخمسينيات (reprinted in Marshall 1963). وتـابـع هـذا المنحى للبحـث بتفاصيل أكثر بعد تقـاعـده ، فى مـجلة السـيـاسـة الاجـتـمـاعـية وكـانت التسـاؤلات التى أثارها هى بالضرورة تساؤلات العالم المؤرخ مـثل : كـيـف أن الصـفـوة فـى النظام السـيـاسى الغـربى وصلوا إلى فكرة تدخل الدولة فى ميكانيزم السوق ؟

وما التوترات الاجتماعية والأيديولوچية المصاحبة لتحول السياسات الاجتماعية مع نهاية القرن ؟ وقد ركز مارشال على تطور الإصلاحات الاجتماعية فى بريطانيا ، ووضع هذا التطور فى إطار منظور أوروبى أوسع ابتداءً من برامج التأمين الاجتماعى فى ألمانيا فى عام ١٨٨٠ وحتى الذروة المؤقتة بعد الحرب العالمية الثانية . وقد ركز على مبادئ وأهداف السياسة الاجتماعية ، وناقش نمط تحول وتبدل الأهداف على مدى الزمن : منذ التركيز على الحد من الفقر حتى مرحلة التركيز على تعظيم الرفاهية ، ثم مرحلة التركيز بدرجة أكبر على تحقيق المساواة .

وقد أدى مدخل مارشال التاريخى – المؤسسى historical-institutional approach إلى توجيه كثير من العلميين إلى متابعة بحوثه بالتحليلات المنهجية وأحيانا التحليلات الكمية المقارنة عن تطور دولة الرفاهية (Flora et. al 1977, Kuhnle 1978) وقد أثرت تفسيراته لعمليات صياغة السياسة الاجتماعية فى أعمال الأكاديمين المعاصرين. وأصبح ينظر إلى السياسة الاجتماعية كجزء من عملية أوسع ، وليس كمجرد منطقة (منفصلة) من العمل السياسى .

المؤلف STEIN KUHNLE AND STEIN ROKKAN
المترجم : هدى مجاهد

WORKS BY MARSHALL

1925 *James Watt, 1736–1819*. London: Leonard Parsons; Boston: Small, Maynard.

1929 Jethro Tull and the "New Husbandry" of the Eighteenth Century. *Economic History Review* 2, no. 1:41–60.

1935 The Population of England and Wales from the Industrial Revolution to the World War. *Economic History Review* 5, no. 2: 65–78.

1937 L'aristocratie britannique de nos jours. *Annales d'historie économique et sociale* 9:236–256.

1938 *Class Conflict and Social Stratification*. London: Le Play House Press.

1938 MARSHALL, T. H. et al. *The Population Problem: The Experts and the Public*. London: Allen & Unwin.

1947 *Sociology at the Crossroads*. London: Longmans Green.

1950 *Citizenship and Social Class, and Other Essays*. Cambridge Univ. Press. → Reprinted in *Sociology at the Crossroads*, 1963.

1960 *International Comprehension in and Through Social Science*. Oxford Univ. Press.

1961 The Welfare State: A Sociological Interpretation. *Archives Européennes de Sociologie* 2:284–300.

(1963) 1964 *Class, Citizenship, and Social Development: Essays*. Garden City, N.Y.: Doubleday. → With an introduction by Seymour Martin Lipset. Originally published with the title *Sociology at the Crossroads—and Other Essays*.

(1965) 1975 *Social Policy in the Twentieth Century*. 4th ed., rev. London: Hutchison. → Originally published with the title *Social Policy*.

1972 Value Problems of Welfare-capitalism. *Journal of Social Policy* 1, no. 1:15–32.

1973 A British Sociological Career. *International Social Science Journal* 25:88–100. → Also published in 1973 in the *British Journal of Sociology* 24:399–408.

1975 Introduction. In Sidney and Beatrice Webb (editors), *Methods of Social Study*. Cambridge Univ. Press.

SUPPLEMENTARY BIBLIOGRAPHY

BENDIX, REINHARD; and ROKKAN, STEIN (1964) 1977 The Extension of Citizenship to the Lower Classes. Pages 89–126 in Reinhard Bendix (editor), *Nation-building and Citizenship: Studies of Our Changing Order*. New & enl. ed. Berkeley: Univ. of California Press.

FLORA, P. et al. 1977 Zur Entwicklung der Westeuropäischen Wohlfahrtsstaaten. *Politische Vierteljahresschrift* 18, no. 4. → First delivered as a paper at the International Political Association World Congress in Edinburgh in 1976.

KUHNLE, STEIN 1978 The Beginnings of the Nordic Welfare States: Similarities and Differences. *Acta sociologica* 21 (Supplement).

LIPSET, SEYMOUR MARTIN 1973 Tom Marshall—Man of Wisdom. *British Journal of Sociology* 24:412–417.

Memorials of Alfred Marshall. Edited by A. C. Pigou. London: Macmillan, 1925.

ROKKAN, STEIN et al. 1970 *Citizens, Elections, Parties*. Oslo: Universitetsforlaget.

وورنر : دبليو. لويد

WARNER ; W. Lloyd

يعتبر ويليام لويد وورنر(١٨٩٨-١٩٧٠) أحد أهم الأنثروبولوچيين الاجتماعيين فى أمريكا خلال القرن العشرين ، فقد كان باحثا متألقا ومنظّرا مبدعا قام بتركيب المفاهيم من عدة مصادر فى تأويله المبتكر للأنساق الاجتماعية ، وكان موضع ثقة وتقدير عميقين من البعض بينما كان محل نقد شديد من البعض الآخر كما مارس تأثيرا غير مسبوق ، ولكنه عميق على مجرى الأحداث فى عدد من القضايا العامة.

وباعتباره من مواطنى كاليفورنيا انخرط فى جيش الولايات المتحدة عام ١٩١٧، وهو لايزال طالبا فى المدرسة الثانوية ثم التحق بعد ذلك أولا بجامعة جنوب كاليفورنيا وبعدها بجامعة كاليفورنيا فى بركلى حيث حصل على البكالوريوس فى الأنثروبولوچيا الاجتماعية عام ١٩٢٦ . وفى بركلى أثار فيه روبرت لوى Robert Lowie الاهتمام بالممارسات الاجتماعية عند الجماعات الوطنية كما أصبح ألفريد وتيودورا كروبر Alfred and Theodora Kroeber صديقى العمر . وفى عام ١٩٢٦ عرف مدرسة الأنثروبولوچيا الاجتماعية البريطانية عن طريق الزيارات المتتابعة لبركلى من برونيسلاف مالينوفسكى ورادكيف - براون الذى أصبح مرشده ومعلمه فى الفترة ١٩٢٧- ١٩٢٩ حين ذهب وورنر إلى أستراليا لدراسة شعب مورنجن Murngin فى الشمال الشرقى من بلاد Arnhem آرنم .

ويمكن التمييز فى حياة وورنر العملية بين أربع مراحل بدأت أولاها بفترة دراسته الجامعية ودراساته العليا فى بركلى والسنوات الثلاث التى أمضاها فى أستراليا ، تلتها مرحلة العمل بجامعة هارفارد حين شغل فى

عام ١٩٢٩ وظيفة مشتركة تجمع بين الأنثربولوجيا وعلم الاجتماع ، وهناك عرف إلتون مايو Elton Mayo الذى كان يعمل حينذاك فى مدرسة إدارة الأعمال والذى ساعده على القيام ببحوثه فى نيوبريبورت Newberryport بولاية ماساشوستس ، والتى اشتهرت فى المجال الأنثروبولوچى باسم يانكى سيتى Yankee City، كما بدأ مشروعا بحثيا كبيرا فى أحد المجتمعات المحلية الذى ينتمى سكانه إلى سلالتين بشريتين مختلفتين فى منطقة ناتشيز Natchez وذلك بالتعاون مع أليسون ديڤيز Allison Davis وبيرلى جادنر Burleigh Gardner (Davis, Gardner& Gardner 1944)، ثم دراسته الأنثروبولوچية الاجتماعية لمقاطعة كلير Clare فى أيرلندا والتى أشار إليها كونراد أرنسبرج Conrad Arensberg وسولون تى. كيمبول Solon T. Kimball (1940). وعن طريق إلتون مايو أيضا انخرط وورنر وبعض تلاميذه فى الثورة الفكرية التى تأججت فى مدرسة إدارة الأعمال بهارڤارد، كما شرع فى تحليل المعلومات التى كان قد جمعها من دراسته لشركة وسترن إلكتريك Western Electric. وكان إل. چيه. هندرسون L. J. Henderson يعقد فى ذلك الحين حلقته النقاشية حول " ڤيلفريدو باريتو والمنهج العلمى" فعرض وورنر المعلومات التى كان حصل عليه من بحث عن "الإرهاق" كما عرض هو وتلاميذه نتائج دراساتهم للبناء الاجتماعى للمجتمعات المحلية . وكانت مدرسة إدارة الأعمال تنظم مقررات لطلبتها حول مبادئ التنظيم الصناعى مسترشدة فيها بدراسة مالينوڤسكى للتبادل الشعائرى فى جزر التروبرياند .

وتبدأ المرحلة الثالثة فى حياة وورنر العملية بقبوله فى عام ١٩٣٥ العمل بجامعة شيكاغو، إذ خلال ربع القرن التالى أفلح فى جنى حصاد سنوات الإنتاج فى هارڤرد وفى تحويل توجهاته إلى مجالات أخرى جديدة فنشر نتائج دراساته عن المورنجن فى

كتابه *حضارة سوداء A Black Civilization* (1937) الذى أصبح من كلاسيكيات الأنثروبولوچيا ، كما نشر العمل الأول من سلسلة كتبه عن يانكى سيتى (١٩٤١ - ١٩٥٩). ورغم أنه كان يشغل وظيفة مشتركة بين الأنثروبولوچيا وعلم الاجتماع، فإن اهتماماته البحثية كانت موجهة بشكل واضح نحو لجنة التنمية البشرية. وعن طريق زملائه الذين يشاركونه هذه الاهتمامات بجامعة شيكاغو من أمثال رالف تايلر Tyler وأليسون ديڤيز وروبرت چيه هاڤيجيرست Robert J. Havighurst وإڤريت هيوز Everett Hughes وديڤيد ريزمان Riesman وبيرلى جاردنر أمكنه الاستمرار فى دراسة الجماعات المحلية الصغيرة ، ولكن بحوثه اتسعت وامتدت إلى التنظيمات والمؤسسات الحضرية . وقد ظهرت دراسته الرائدة لأحد هذه المجتمعات فى وسط غرب أمريكا فى كتابه *الديموقراطية فى چونز ڤيل Democracy in Jonesville* عام ١٩٤٩ .

بانتشار المعرفة خارج نطاق الدوائر الأكاديمية بأبحاث وورنر فى المجتمع الأمريكى انهالت الدعوات عليه للمشاركة فى برامج المؤسسات الكبرى وبعض الدوائر الحكومية. فقد كان على سبيل المثال من بين العلماء الاجتماعيين الذين عملوا مع إل. إم. ويلسون L. M. Wilson مدير الخدمات الممتدة الفيدرالية فى إدخال مفاهيم العلم الاجتماعى إلى مجال التعليم الممتد ، كما وجهت إليه الدعوة هو وروبرت ردفيلد للكتابة والنشر حول الأنثروبولوچيا والزراعة فى الكتاب السنوى لعام ١٩٤٠ الذى تصدره وزارة الزراعة فى الولايات المتحدة . وحين تولى چون كولير John Collier عام ١٩٤١ باعتباره المفوض لشئون هنود أمريكا عقد اتفاقية مع لجنة التنمية البشرية لإجراء دراسة كبرى عن شخصية الهنود الحمر ووضع التعليم والإدارة عندهم اضطلع وورنر بمسئولية البحث فوضع خطته الاستراتيچية وقام بتحديد الاختبارات السيكولوچية كما

تولى تحليل وتأويل النتائج . وفى مجال آخر كانت لدراسته للآثار السلبية لبيئة مدارس الطبقة الوسطى على تعليم أطفال الطبقة الدنيا بالتعاون مع هافيجيرست ومارتن أر. لوب Martin R. Loeb تأثير هائل على المشتغلين بالتربية والتعليم (١٩٤٤).

وقد توسع وورنر فى اهتمامه بسوسيولوجيا الجماعات السلالية والعرقية، وكان يعتقد أن البحث يمكن أن يكون أداة قوية فى القضاء على الفوارق الاجتماعية من خلال كشف وتعرية المعوقات الزائفة التى تقوم على أساس الاختلاف السلالى . فتحليله مثلا لبناء طبقة الطوائف للعلاقات السلالية فى الجنوب الأمريكى ونشر ذلك التحليل (Warner 1936, Warner and Davis 1939) يجب أن يؤخذ على أنها اكتشافات علمية ووسيلة للرعاية البشرية فى وقت واحد . وقد ظهر تأثير هذه النظرة بعد ذلك بسنوات فى كتاب جونار ميردال Gunnar Myrdal *ورطة أمريكية* "An American Dilemma (1944) وهو وثيقة كان لها وزنها فى إثارة وتنشيط الحركة الكبرى عن حقوق الإنسان التى ثارت فى الستينيات . وقد كان وورنر مديرا للبحوث فى مشروع Works Progress Adminstration التى تولت جمع المعلومات والبيانات لكتاب *المدينة العالمية السوداء* Black Metropolis. وقبيل نشوب الحرب العالمية الثانية قام هو وجاردنر وهافيجيرست بتكوين "لجنة العلاقات الإنسانية فى الصناعة" والتى كانت تهدف إلى إدماج العمال السود المهاجرين من الجنوب فى الصناعة . وقد أدت كل هذه الجهود إلى قيام "مؤسسة البحث الاجتماعى" ومقرها شيكاغو وهى مؤسسة للاستشارات تولّى وورنر الإشراف عليها حتى وفاته . وقد بدأ يهتم بعد الحرب العالمية الثانية بتعرف أصل وخصائص الشاغلين لمناصب الإدارة العليا فى الحكومة والشركات وكذلك بين العاملين فى مجال الصناعة . وكان ذلك التوجه

امتدادا لاهتمامه النظرى بالعلاقة بين الشخصية الاجتماعية والأنساق الاجتماعية، والذى كان عرضه فى دراسته عن المورنجن . وكان لابد من أن يوجه انتباهه للهيئات التنظيمية المحيطة بمجالات بحثه سواء أكانت هى الشركات أم الأجهزة الحكومية وأن يركز على التنظيمات الكبرى والمشكلات المصاحبة والخاصة بالعلاقات بينها . وقد أصبحت مسألة التوفيق بين النظرية السائدة عن المجتمع المحلى وبين النسق المجتمعى للمشروعات والهيئات الكبرى هى المشكلة النظرية المركزية بالنسبة له .

حين قبل وورنر عام ١٩٥٩ العمل أستاذا للبحث الاجتماعى فى جامعة ولاية ميشجان كان قد بدأ بالفعل العمل فى البحث الذى يحدد المرحلة الرابعة والأخيرة فى حياته المهنية . فقد ترتب على أعماله السابقة أن بدأ يهتم بتأويل أمريكا كمجتمع من التنظيمات الكبرى وانتهى به ذلك إلى أن التنظيم الممتد الواسع كان جزءا من عملية ما أسماه "المجتمع الأمريكى البازغ" ، وهو مفهوم استخدمه عنوانا للمحاضرات التى نظمتها له مؤسسة فورد ، والتى ألقاها بجامعة نيويورك عام ١٩٦١ . وعند الإعداد لنشر تلك المحاضرات عام ١٩٦٢ أرسل مذكرة شخصية للناشر يقول فيها "سوف تلاحظ أن هذه المحاضرات ليست سوى تطوير لبعض الأفكار القديمة التى خضعت لتعديلات جزرية بمرور الزمن وبدأت تتخذ مسارا جديدا"

وقد جمع وورنر فريقا من أيام عمله فى شيكاغو مع زملاء له فى ولاية ميشجان لدراسة الأنساق التنظيمية المتنوعة فى ضوء مفهوم المجتمع البازغ . ويمثل كتاب *المجتمع الأمريكى البازغ* ***The Emergent American Society*** (1967) حصيلة جهودهم . وكان هناك مجلد ثان عن البيانات المتعلقة بقطاع الزراعة مع نظرة عامة شاملة للمجتمع الأمريكى ، ولكن العمل فى ذلك المجلد لم يستكمل أبدا .

الإسهامات :

لاشك أن تأثير وورنر النظرى بالغ الأهمية . فبعض صياغاته انتشرت وتغلغلت فى أعماق التفكير السيوسيولوچى لدرجة أن الذين يستخدمونها لايعرفون مصدرها الأول . والمثال على ذلك أن مقارنته للتفاضل الوظيفى بين عائلة الإنجاب وعائلة التبنى و التوجيه أصبحت صيغة مقبولة فى الكتابات عن العائلة كما أن الخطة التى وضعها لدراسة غرفة التحكم فى شركة هوثورن وسترن إلكتريك ، والتى كلفه بها إلتون مايو مدير المشروع البحثى كانت أول مدخل جديد لدراسة نظام العمل منذ الدراسات التى كان يقوم بها المهندسون الصناعيون عن "الوقت والحركة" . وقد ظلت أفكاره هى النموذج المتبع فى الدراسات الصناعية التى أجريت بهد ذلك. وقد برهن وورنر على أن المناهج المتبعة فى دراسة القبائل البدائية صالحة للتطبيق فى دراسة المجتمعات المحلية المعاصرة .

وقد تضمنت النتائج التى سجلها فى سلسلة أعماله عن يانكى سيتى المستجدات المنهجية والاستبصارات الصائبة كما أن افتراضه وجود نسق متكامل للطبقة الاجتماعية فى أمريكا جذبت انتباه الكثيرين . وقد اعترض البعض بأن هذه التقسيمات لاتصدق على المجتمع الأمريكى كما رفض البعض الآخر الإجراءات المنهجية ، ولكن مديرى البرامج الحكومية عن المصنع وكذلك المؤسسات لم يعطوا تلك الاعتراضات أدنى أهمية واسترشدوا بتلك الاستبصارات فى فهم مشاكلهم .

بيد أن وورنر كان يعتقد أن أصعب مشكلة منهجية فى دراسة يانكى سيتى كانت التوصل إلى تحليل يسمح "برؤية المجتمع كنسق كلى من المراكز والمكانات المترابطة والمتساندة" ، وكان يرى أن مثل هذا الإنجاز يمكن تحقيقه فقط إذا كانت وحدة التحليل هى "العلاقة" وليست "الفرد" . "فحين تكون وحدة التحليل هى العلاقة لا الفرد يصبح

فى الإمكان فى دراسة المجتمع المحلى أن نربط أى علاقة من العلاقات بكل العلاقات الأخرى وبذلك نقيم نسقا مترابطا ومتساندا من بناء التفاعل الكلى".(1942,p.791). وكما يقول هو نفسه إنه أمكن تحقيق هذا الهدف لأول مرة فى دراسة يانكى سيتى وأن الخطوات التالية التى ترتبت عليه - حسب وصفه - شملت ترتيبا تصاعديا مبدئيا لجميع الأفراد حسب الطبقة التى ينتسبون إليها وتحديد العدد الكلى للمستويات والمكانات كوظيفة عضوية للفرد فى مختلف الأبنية الاجتماعية ؛ وتحديد نسق العلاقات المتكاملة عن طريق معرفة العضوية وتحديد درجة التفاعل بين مختلف المكانات والمستويات والمراكز داخل أى طبقة اجتماعية . ومثل هذه العملية التحليلية تؤدى إلى "وضع خريطة تمثل النسق الاجتماعى للمجتمع المحلى". إلا أن ذلك لايصدق على الأحداث الجزئية المحددة بالذات أو تأثيراتها فى حياة الأفراد (١٩٤١) .

فى النصف الثانى من الثلاثينيات تمكن لوورنر توضيح اتساق أبحاثه مع العلاقات السلالية وتشخيص وعلاج المرض العقلى والتعليم . وقد استطاع الفكر التقليدى أن يتبنى فى الوقت الراهن كثيرا من استبصاراته عن أهمية الخلفية الثقافية كمتغير فى تعلم الصحة النفسية والفيزيقية والعلاقات بين الأفراد. وقد وجه الانتباه نحو طبيعة طبقة الطوائف فى العلاقات السلالية (Warner 1939; Warner & Davis 1939) وأنها تكشف العلاقة بين الخلل العقلى والنسق الاجتماعى *(1937b)* ووصف الاستجابة التفاضلية للتعليم القائم على أساس الطبقة الاجتماعية (Warner & Redfield 1940). إلا أن انتشار وتبنى هذه الأفكارحدث ببطء شديد ، فلا يزال التعليم يلقى باللوم على الطفل لإخفاقه فى التحصيل ولا يزال التحليل النفسى يبحث عن الديناميات الداخلية لتفسير السلوك غير السوى ، كما أن الكثيرين يفسرون الاختلافات السلالية على أنها أمور

نشوئية وراثية ، ولايزال التغير فى المنظور على مر الزمن حول هذه المسائل وأمور أخرى هائلا.

والظاهر أن أسلوب وورنر الشخصى الذى يتميز بالحماس الشديد والتعاون كان عاملا فعالا فى التأثيرعلى زملائه وتلاميذه . والأمثلة كثيرة : فمناقشاته مع چوليان ستيوارد حول العلاقة بين البيئة والتكنولوچيا والنسق الاجتماعى ، ومع تالكوت بارسونز حول العائلة ، ومع أوجست بى. هولينجزهد August B. Hollingshead حول التعليم والطبقة الاجتماعية ، ومع روبرت هافيجيرست حول منهج دراسة المجتمع المحلى انعكست كلها فى الكتابات المتأخرة لهؤلاء العلماء. وكان وورنر ينقل إلى تلاميذه تقديره للبحث العلمى المنهجى المنظم ويشاركهم حماسهم الفكرى لاكتشاف معنى البيانات الإمبيريقية.

وثمة تجديد قد يكون أقل أهمية رغم أنه انتشر على نطاق واسع وهو مؤشر خصائص المكانة Index of Status Characteristics والمشاركة المحسوبة Evaluated Participation . فمن خلال صيغة يمكن للشخص العادى أن يستخدمها لحساب وتقدير مكانته الاجتماعية ومكانة الآخرين استطاع هو وزملاؤه أن يجعلوا قياس الطبقة الاجتماعية فى متناول معلمى الدراسات الاجتماعية فى المدارس الثانوية (Warner, Meeker and Eells, 1949).

المنظور النظرى :

مع أن شهرة وورنر كعالم اجتماعى مستمدة أساسا من بحوثه واكتشافاته فى المجتمع المحلى والمؤسسات فى الولايات المتحدة، فإن الأساس النظرى ترجع صياغته وإقراره إلى بحوثه بين المورنجن فى أستراليا . فقد أتاحت له تلك الجماعات الأصلية الفرصة لاختبار صحة الأفكار التى استمدها من لوى Lowie ومالينوفسكى ودوركايم وزيمل Simmel ورادكليف - براون. وقد استمر الإطار النظرى الذى

أقامه يؤلف القاعدة الفكرية لكل بحوثه التالية .

والواقع أن الآراء الأساسية لدى وورنر عن الإنسانية تشبه تلك التى يعتنقها معظم الأنثروبولوچيين الذين يفترضون وجود كليات شاملة تعلو فوق التنويعات المحكومة بعوامل الزمان والمكان ، والتى تذهب إلى أن البشر يرثون وينقلون التعديلات الجزئية المعينة التى انحدرت إليهم من النوع الذى ينتسبون إليه سواء أكان هو الرئيسات أو الإنسان العاقل ، إلا أنه اختلف فى مجالات أخرى بشكل واضح عن مدرسة بواس الانتشارية التاريخية التى هيمنت على الأنثروبولوچيا الأمريكية طوال ربع قرن . فلم يكن وورنر يهتم أدنى اهتمام بنظريات التقدم سواء التطورية أو الانتشارية ، وإنما كان أكثر اهتماما بالبحث عن الطريقة التى تعمل بها المجتمعات المحلية كأنساق فعالة . ومن المفهوم التقليدى لتقسيم الثقافة إلى ثلاثة أقسام : التكنولوچيا والتنظيم الاجتماعى والدين ، أمكنه صياغة نموذج مثالى وظيفى مؤلف من الأنساق الفرعية المترابطة للمجتمع . فعن طريق التكنولوچيا أمكن للبشر تسخير بيئتهم الفيزيقية لإشباع احتياجاتهم وتوفير الراحة والأمان . وقد تولى التنظيم الاجتماعى ترتيب العلاقات بين البشر فى مجموعات وتوفير القاعدة الأخلاقية التى تحكم التصرفات الاجتماعية والتكنولوچية. ثم هناك أخيرا تلك القواعد العقلانية واللاعقلانية والرموز التى تشير إلى تلك القواعد ، والتى عن طريقها يعبر الناس ويحددون علاقاتهم بعضهم ببعض وكذلك علاقاتهم بالكون شديد الغموض . وقد عرض ذلك المخطط بمختلف سياقاته ودرجة الدقة والإتقان التى تحكمه فى أربع مناسبات . فظهر أولا فى كتابه حضارة سوداء (1937a,pp.443- 450)، ثم فى المجلدين الأول والخامس من مجموعة يانكى سيتى (1941-1959,vol.1,pp.3-37; vol.5, pp.447-500)، وأخيراً فى كتاب المجتمع

الأمريكى البازغ (Warner et al>1967, pp.10-21). وتظهر التنويعات فى العرض فى درجة الإتقان وسياق التفسير. وفى هذه المناقشات ذهب وورنر إلى أن مناهج البحث فى الأنثروبولوجيا لايمكن اتخاذها معايير للتمييز بين مايسمى بالمجتمعات البدائية والمجتمعات المتحضرة إذا أريد تحقيق علم الاجتماع المقارن ، فقد كان يرى أن ذلك المخطط وذلك المدخل للبحث يصلحان للمجتمعات البدائية والمتحضرة على السواء . ويقول فى ذلك "إن الجماعة الأسترالية البسيطة والمدينة العالمية المترامية الأطراف فى الولايات المتحدة ليستا سوى تنويعتين متطرفتين من المجتمعات المحلية " (1941,p. 786).

وقد أظهرت تجربة المورنجن صحة أربعة تصورات إضافية كان وورنر استخدمها فى بحوثه التالية . وتشمل هذه التصورات تركيزه على الدراسة التزامنية للقطاعات المتداخلة فى المجتمع ، والأوضاع البنائية للأفراد حسب مكانتهم ، والشخصية الاجتماعية كوظيفة للمشاركة. كذلك عبّر وورنر عن اعتقاده فى أن إمكان العثور على بناء أساسى مهيمن يرتبط بموضوع عام فى كل المجتمعات . فعند المورنجن مثلا كان البناء الأساسى يقوم على القرابة وأن مكانة الفرد فى النسق القرابى يمكن أن تفسر للآخرين المزايا والالتزامات السلوكية التى يتمتع بها . وقد كانت إحدى المشكلات المتكررة والمتجددة فى النظام الكونى تظهر أثناء الممارسات الخاصة بالاحتفالات المتعلقة بالطواطم والوفاة ، وكان الماضى الأسطورى والمستقبل المعاود دائما إحدى وظائف السلوك الواقعى الراهن مما يعنى أن الواقع الاجتماعى كان موجودا دائما بالفعل . وحين استقر رأيه على اتخاذ ذلك المنظور نقطة التركيز فى العمل الميدانى وفى تفسير البيانات الخاصة بمجتمع يانكى سيتى أصبح من السهل رؤية الطبقة الاجتماعية على أنها هى البناء

الأساسى المنظم وأن الحراك الاجتماعى- أو تحقيق الذات حسب التعبير الذى صاغته بعد ذلك بسنوات لجنة أيزنهاور عن الأهداف القومية - هو الموضوع الأساسى المسيطر .

وقد أثارت النتائج التى توصل إليها وورنر قلق العلماء أصحاب المدخل التاريخى ، ولذا فإن أية محاولة لتقييم إسهاماته فى العلم الاجتماعى وبخاصة أعماله عن يانكى سيتى يجب أن تأخذ فى الاعتبار الاستجابات المتعارضة التى أطلقتها تلك الأعمال . وقد جاءت اتهامات وانتقادات علماء الاجتماع والمؤرخين على جانب كبير من التفاصيل والقسوة . وقد يمكن اعتبار التعليقات التى صدرت عن عالم الاجتماع سى . رايت ميلز C. Wright Mills (1942) والمؤرخ ستيفان ثيرنستروم Stephan Thernstrom (1964) ممثلة للموقف السلبى لهذين التخصصين . ففى عرضه للمجلد الأول من سلسلة يانكى سيتى ذهب ميلز إلى أن البحث ليس سوى دراسة للتفاوت والتدرج ، ثم أورد بعد ذلك قائمة بالمآخذ التى يأخذها على النظرية والتعريف وعلى الخطة العامة للبحث . ولكن المعايير السوسيولوجية التى استخدمها فى التقييم تكشف عن أنه هو نفسه لم يكن على دراية كافية بالمدخل الوظيفى فى دراسة المجتمعات المحلية .

وقد كان ثيرنستروم أكثر دقة فى ذكر النقاط الفرعية التى أثارها ضد المدخل الذى استخدمه وورنر والنتائج التى توصل إليها . فقد اتهم وورنر بعدم الاستعداد للرجوع إلى الوثائق التاريخية وأن هذا الموقف المناوئ للتاريخ أدى إلى قصور فى تصور وفهم الانتماء العرقى والطبقة الاجتماعية فضلا عن أنه أخفق فى قياس الحراك الاجتماعى .

والواقع أن تعليقات ميلز وثيرنستروم تعبر عن الأنساق المنهجية والفكرية التى يتبعانها هما نفسهما . ومن سوء الحظ أن المعاييرالمستمدة من

أحد التخصصات نادرا ما تصلح لتقييم التخصصات الأخرى . فالرأى الصائب الذى صدر عن داروين من أن الشخص الذى يقوم بالملاحظة لا يرى سوى ماسبق له أن تدرب على ملاحظته يمكن أن يمتد إلى أن نتائج البحث هى وظيفة للأسئلة التى يسألها الباحث وأن العمليات التى يمارسها هى شرط أهمله هذان الناقدان وغيرهما . إلا أن هناك مع ذلك نقصا أشد خطورة وهو إخفاق الاثنين فى إدراك العلاقة المتبادلة بين العمليات التصورية التى استخدمها وورنر فى تنظيم وتفسير البيانات. وقد يكون الأساس الملائم لنقد أبحاث وورنر هو المدخل التقويمى الذى يعتمد على معايير تهتم بقياس فاعلية تمثيلات العلم الاجتماعى المختلفة باعتبارها توصيفات لديناميات الأنساق الاجتماعية . ولكن يبقى أن أحد مزايا المدخل الذى اتبعه وورنر هو إمكان تطبيقه على مختلف المجتمعات اعتبارا من المورنجن إلى يانكى سيتى إلى الجنوب البعيد إلى إيرلندا وجونزفيل أو أى مجتمع محلى آخر فى طريقه إلى الظهور والنمو.

المؤلف : Solon T. Kimball

المترجم : أحمد أبوزيد

1930 Morphology and Functions of the Australian Murngin Type of Kinship, Part I. *American Anthropologist* 32:207–256.

1931 Morphology and Functions of the Australian Murngin Type of Kinship, Part II. *American Anthropologist* 33:172–198.

1933*a* Kinship Morphology of Forty-one North Australian Tribes. *American Anthropologist* 35:63–86.

1933*b* *A Methodology for the Study of the Development of Family Attitudes.* Social Science Research Council, Bulletin 18. New York: The Council.

1936 American Caste and Class. *American Journal of Sociology* 42:234–237.

(1937*a*) 1964 *A Black Civilization: A Social Study of an Australian Tribe.* Rev. ed. New York: Harper.

1937*b* The Society, the Individual, and His Mental Disorders. *American Journal of Psychiatry* 94:275–284.

1937 DAVIS, KINGSLEY; and WARNER, W. LLOYD Structural Analysis of Kinship. *American Anthropologist* 39:291–313.

1937 HOWELLS, WILLIAM WHITE Anthropometry of the Natives of Arnhem Land and the Australian Race Problem: Analysis and Discussion. Data collected by W. Lloyd Warner. *Peabody Museum of Archaeology and Ethnology Papers* 16, no. 1:1–97.

1939 WARNER, W. LLOYD; and DAVIS, ALLISON A Comparative Study of American Caste. Pages 219–245 in Edgar T. Thompson (editor), *Race Relations and the Race Problem.* Durham, N.C.: Duke Univ. Press.

1940 WARNER, W. LLOYD; and REDFIELD, ROBERT Cultural Anthropology and Modern Agriculture. Part 5,

pages 983–993 in U.S. Department of Agriculture, *Yearbook*. Washington: Government Printing Office.

1941 Social Anthropology and the Modern Community. *American Journal of Sociology* 46:785–796.

(1941) 1970 WARNER, W. LLOYD; JUNKER, BUFORD; and ADAMS, WALTER A. *Color and Human Nature*. Westport, Conn.: Greenwood.

(1941–1959) 1973–1976 WARNER, W. LLOYD et al. *Yankee City Series*. 5 vols. Westport, Conn.: Greenwood. → Volume 1: *The Social Life of a Modern Community* (1941) 1973. Volume 2: *The Status System of a Modern Community* (1942) 1973. Volume 3: *The Social Systems of American Ethnic Groups* (1945) 1976. Volume 4: *The Social System of the Modern Factory* (1947) 1976. Volume 5: *The Living and the Dead* (1959) 1975. In 1963 an abridged paperback edition of the series, entitled *Yankee City*, was published by Yale University Press, the original publisher of the series.

(1944) 1972 WARNER, W. LLOYD; HAVIGHURST, ROBERT J.; and LOEB, MARTIN B. *Who Shall Be Educated: The Challenge of Unequal Opportunities*. Westport, Conn.: Greenwood.

(1945) 1970 Methodological Note. Pages 769–782 in St. Clair Drake and Horace Cayton (editors), *Black Metropolis*. New York: Harcourt.

1946 WARNER, W. LLOYD; and LOW, J. O. The Factory in the Community. Pages 21–45 in William F. Whyte (editor), *Industry and Society*. New York: McGraw-Hill.

(1949) 1976 WARNER, W. LLOYD et al. *Democracy in Jonesville: A Study in Quality and Inequality*. Westport, Conn.: Greenwood.

(1949) 1960 WARNER, W. LLOYD; MEEKER, MARCHIA; and EELLS, KENNETH *Social Class in America: A Manual of Procedure for the Measurement of Social Status.* Rev. ed. New York: Harper.

(1953) 1962 *American Life: Dream and Reality.* Rev. ed. Univ. of Chicago Press.

1955 WARNER, W. LLOYD; and ABEGGLEN, JAMES C. *Big Business Leaders in America.* New York: Harper. → A paperback edition was published by Atheneum in 1963.

1955 WARNER, W. LLOYD; and ABEGGLEN, JAMES C. *Occupational Mobility in American Business and Industry, 1928–1952.* Minneapolis: Univ. of Minnesota Press.

1959 WARNER, W. LLOYD; and MARTIN, NORMAN H. *Industrial Man: Businessmen and Business Organizations.* New York: Harper.

(1961) 1975 *The Family of God: A Symbolic Study of Christian Life in America.* Westport, Conn.: Greenwood. → Includes revised and supplemented sections of *The Living and the Dead,* the fifth volume in the *Yankee City Series,* 1941–1959.

1962 *The Corporation in the Emergent American Society.* New York: Harper.

(1963) 1975 WARNER, W. LLOYD et al. *The American Federal Executive: A Study of the Social and Personal Characteristics of the Civilian and Military Leaders of the United States Federal Government.* Westport, Conn.: Greenwood. → A paperback edition was published in 1963 by Yale University Press.

1967 WARNER, W. LLOYD et al. *The Emergent American Society.* Volume 1: Large-scale Organizations. New Haven, Conn.: Yale Univ. Press.

SUPPLEMENTARY BIBLIOGRAPHY

ARENSBERG, CONRAD M.; and KIMBALL, SOLON T. (1940) 1968 *Family and Community in Ireland.* 2d ed. Cambridge, Mass.: Harvard Univ. Press.

DAVIS, ALLISON; GARDNER, BURLEIGH B.; and GARDNER, MARY R. 1941 *Deep South: A Social Anthropological Study of Caste and Class.* Univ. of Chicago Press. → An abridged paperback edition was published in 1965.

DOLLARD, JOHN (1937) 1957 *Caste and Class in a Southern Town.* 3d ed. Garden City, N.Y.: Doubleday.

DRAKE, ST. CLAIR; and CAYTON, HORACE (1945) 1970 *Black Metropolis: A Study of Negro Life in a Northern City.* Rev. & enl. ed. New York: Harcourt.

HOLLINGSHEAD, AUGUST B. 1949 *Elmtown's Youth: The Impact of Social Classes on Adolescents.* New York: Wiley.

KAHL, JOSEPH A. 1957 *The American Class Structure.* New York: Rinehart.

KORNHAUSER, RUTH ROSNER 1953 The Warner Approach to Social Stratification. Pages 224–254 in Reinhard Bendix and Seymour Martin Lipset (editors), *Class, Status, and Power: A Reader in Social Stratification.* Glencoe, Ill.: Free Press.

LYND, ROBERT S.; and LYND, HELEN M. (1929) 1930 *Middletown: A Study in Contemporary American Culture.* New York: Harcourt.

LYND, ROBERT S.; and LYND, HELEN M. 1937 *Middletown in Transition: A Study in Cultural Conflicts.* New York: Harcourt.

MARQUAND, JOHN P. 1949 *Point of No Return*. Boston: Little, Brown.

MILLS, C. WRIGHT 1942 Review of *The Social Life of a Modern Community*. *American Sociological Review* 7:263–271.

MYRDAL, GUNNAR (1944) 1962 *An American Dilemma: The Negro Problem and Modern Democracy*. New York: Harper. → A paperback edition was published in 1969.

PARSONS, TALCOTT (1949) 1959 *The Social Structure of the Family*. Pages 241–274 in Ruth Nanda Anshen (editor), *The Family: Its Function and Destiny*. Rev. ed. New York: Harper.

ROETHLISBERGER, FRITZ J. 1977 *The Elusive Phenomena*. Boston: Division of Research, Graduate School of Business Administration, Harvard University.

ROETHLISBERGER, FRITZ J.; and DICKSON, WILLIAM J. 1939 *Management and the Worker*. Cambridge, Mass.: Harvard Univ. Press.

STEIN, MAURICE (1960) 1972 *The Eclipse of Community: An Interpretation of American Studies*. Rev. ed. Princeton Univ. Press.

STEWARD, JULIAN H. 1938 *Basin–Plateau Aboriginal Sociopolitical Groups*. U.S. Bureau of American Ethnology, Bulletin 120. Washington: Government Printing Office. → A paperback edition was published by the University of Utah Press in 1970.

THERNSTROM, STEPHAN 1964 *Poverty and Progress: Social Mobility in a Nineteenth Century City*. Cambridge, Mass.: Harvard Univ. Press. → A paperback edition was published by Atheneum in 1970.

ونش . روبرت ف.

WINCH, ROBERT F.

روبرت فرانسيز ونش (١٩١١-١٩٧٧) عالم اجتماع أمريكي قدم إسهامات مهمة لعلم الاجتماع ولعلم النفس الاجتماعي في موضوعات اختيار القرين ، والزواج ، والأسرة ، وأيضا للمنهجية العلمية الاجتماعية social scientific methodology. وقد ولد ، ونشأ ، وتعلم في الغرب الأوسط من الولايات المتحدة ، كما شغل وظائفه الجامعية في هذه المنطقة طوال مسيرته العلمية . تدرب في جامعة شيكاغو على يد إرنست و. بيرجس Ernest w. Burgess، ووليام ف . أوجبرن William F. Ogburn، وصامويل أ . ستوفر Samuel A. Stouffer، ول . ل . ثيرستون L. L. Thurstone، وروبرت إ . ل . فاريس Robert E. L. Faris. وقد وضع ونش - بحرص - نظريات إبداعية خاصة باختيار القرين ، وتأثير الأسرة على الشخصية ، والتنظيم الأسرى Familial Organization، تعد أساسية بالنسبة للعمل الجارى في هذه المجالات .

ولد ونش في ليكوود Lakewood بأوهايو Ohio. وفي عام ١٩٣٥ حصل على البكالريوس في الأدب الإنجليزي من جامعة وسترن ريزيرف Western Reserve University بكليفلاند ، والتحق بقسم علم الاجتماع بجامعة شيكاغو في عام ١٩٣٧ ، وحصل على الماجستير في عام ١٩٣٩ ، وعلى الدكتوراه في عام ١٩٤٢ . وقد عمل مع بحرية الولايات المتحدة من عام ١٩٤٢ إلى عام ١٩٤٥ ، وعاد في عام ١٩٤٥ إلى جامعة شيكاغو ليجرى بحثا لمدة سنة بمنحة من مجلس بحوث العلوم الاجتماعية . وفي عام ١٩٤٦ التحق بقسم علم الاجتماع بجامعة فاندربيلت Vanderbilt، ودرّس به حتى عام ١٩٤٨ عندما انتقل إلى جامعة نورثوسترن

Northwestern، حيث استمر بالتدريس بها حتى وفاته . وقد أصبح فى عام ١٩٥٥ أستاذا لعلم الاجتماع فى نورثوسترن ، وعمل رئيسا للقسم من عام ١٩٦٧ إلى عام ١٩٧٠ .

وقد اشتهر ونش أساسا بنظريته الأصيلة عن المتطلبات المكملة Complementary needs فى اختيار القرين ، ولكتابه الأسرة الحديثة *The Modern Family* (١٩٥٢)، حيث قدم نظرية عامة للأسرة تنطبق على تحليل للأسرة فى الولايات المتحدة . وهذه الإنجازات هى جوانب لمسيرة علمية كرست لتنمية فهم understanding كيف أن سلوك الأفراد من البشر يتأثر ببيئتهم الاجتماعية .

وفى أول عمل منشور له "*خصائص شخصية المخطوبين والمتزوجين* *Personality Characteristics of Engaged and Married Couples 1941*" دعا ونش إلى إجراء دراسات حالة case studies متعمقة لبحث التساؤلات التى أثارتها نتائج استبيان لويس . م . تيرمان Lewis M. Terman *العوامل السيكولوجية فى السعادة الزوجية* *Psychological Factors in Marital Happiness (1938)* بشكل أكثر عمقا . وفى مقاله الثانى "العلاقة بين سلوك المغازلة والاتجاهات نحو الوالدين بين شباب الكليات" The Relation Between Courtship Behavior and Attitudes Toward Parents Among College Men (١٩٤٣) ، بدأ ونش باختبار مسألة – ظل لأكثر من عقد مركزا اهتمامه عليها – وهى أهمية نظرية التحليل النفسى فى تفسير اختلافات السلوك . وقد اختبر ونش – بشكل أساسى – فرض فلوجل (١٩٢١) Flugel بأن التعلق القوى المفرط للطفل بأحد والديه من شأنه أن يعوق فيما بعد النمو الطبيعى لسلوك المغازلة . وعلى الرغم من أن نتائجه أيدت فرض فلوجل ، فإن ونش استخلص الاستنتاج الدقيق بأن "الدراسة الحالية تثبت صعوبة ، لكن –

أيضا- إمكانية تناول الفئات الخاصة بعلم نفس اجتماعى استبطانى بطريقة ما تتيح تكميم الملاحظة وإخضاعها للتحليل الإحصائى" .(p. 174). وقد استمرت محاولات ونش لتوضيح إسهامات فكر التحليل النفسى فى تفسير الارتقاء النفسى الاجتماعى خلال اختباره للفرض الأوديبى Oed-ipus hypothesis (1951)، وكذلك فى الطبعة الأولى لكتاب الأسرة الحديثة The Modern Family (1952). ومع ذلك ، فإن ونش - بعد هذه النقطة - بحث ما أكده فى وقت مبكر عن العلاقات بين خبرات الطفولة المبكرة وسلوك وشخصية البالغين .

بدءًا من عام ١٩٥٤ نشر ونش سلسلة من المقالات تطرح نظرية المتطلبات المكملة فى اختيار القرين ، وتعرض بيانات مؤيدة لتلك النظرية . وبالاعتماد على أعمال مرى Murray (1938) عن المتطلبات العاطفية ، وضع نظرية نفسية اجتماعية استنبطانية introspective social psychological theory وأخضعها للاختبار الإمبيريقى . وقد اعتبر نظريته بمثابة تعريف إجرائى لمفهوم الحب ، حيث يعرّف الحب بأنه "العاطفة الإيجابية" التى تتملك أحد الأشخاص ... فى علاقة شخصية متبادلة وفيها إما أن الشخص الثانى ... (١) يشبع متطلبات (احتياجات) معينة لها أهميتها بالنسبة للأول ، أو (٢) يُظهر ، أو يبدو (للشخص الأول) أنه يُظهر ، خصائص شخصية مميزة (جمال ، مهارات ، مكانة) يقدّرها الأول بشكل كبير ، أو كلا الأمرين معا . 1952-1971.p.483 ووفقا لنظرية المتطلبات المكملة فى اختيار القرين ، فإن التجانس فى الخصائص الاجتماعية يُوفر لكل شخص مجالا يضم المرشحين المؤهلين لاختيار القرين من بينهم . ومن دائرة هؤلاء المؤهلين يتم اختيار القرين على أساس المتطلبات المكملة. فبدلا من اختيار الشخص لقرين مماثل لذاته من الناحية النفسية ، فإنه يميل إلى اختيار قرين يكون نمط متطلباته مكملا لنمط احتياجاته هو

نفسه . وقد اختبر ونش هذه النظرية في عام ١٩٥٠ على عينة من خمسة وعشرين زوجاً Couples في مقتبل العمر ، باستخدام تصميم بحثي معقد يتضمن استبارين (أحدهما يقيس عمق متطلبات المُستَبر interviewee، والثاني يقدر الصلة بين العلاقات البارزة في حياة المستبر والنمو النفسي الاجتماعي) ، بالإضافة إلى تطبيق اختبار تفهم الموضوع (T. A. T). ولم تصل محاولات إعادة تطبيق دراسة ونش إلى نفس مستوى دقته المنهجية . وبناء على ذلك فإن النظرية ظلت موضع جدال شديد بين المهتمين بدراسة موضوع اختيار القرين لأكثر من عشرين سنة (انظرWinch 1967).

وكان ونش - طوال مسيرته - معنيا بشكل عميق بالقضايا المنهجية . وقد استخدم في أعماله استراتيجيات قياس وأساليب تحليلية متنوعة إلى حد كبير ، وكان يستخدم عادة أساليب كان استخدامها في السابق محدودا .

وعندما كان يواجه مشكلة شائكة في البحث على وجه الخصوص كان يكتب عنها . وفي مقال له في عام ١٩٧٤ *بالمجلة الأمريكية السوسيولوجية* ***American Sociological Review*** شرح كيف أن التحليل العاملي **factor analysis** يمكن أن يساعد علماء العلوم الاجتماعية على تحليل مجموعات البيانات بشكل مختصر . وفي عام ١٩٥٣ قيم الطريقة التي تعكس بها البحوث عن *الأسرة تطبيق المنهج العلمي* (Winch et al.1953. pp.1-17). وفي عام ١٩٥٦ شرح كيف أن الأساليب الكيفية مثل الـ T.A.T يمكن أن تكمل المقاييس الكمية (Winch and More) . وفي عام ١٩٦٧ (Winch and Anderson) . وكذلك في عام ١٩٦٩ (Winch, Mueller and Godiksen) فحص المشكلات الخاصة بالاستبيانات وبالترميز ، وفي عام ١٩٦٩ (Winch and Campell) علق على جدوى اختبارات الدلالة الإحصائية . لقد كتب عن هذه المشكلات الخاصة بالمنهج ،

لأنه كان يعتقد - باعتباره عالما- أن توضيح القضايا المنهجية أمر أساسى لتفسير جوهر الموضوع .

وفى عام ١٩٥٧ نشر ونش بالاشتراك مع لينتون سى . فريمان Linton C. Freeman أول مقال اعتبره مقالا سوسيولوجيا أكثر منه مقالا نفسيا اجتماعيا تماما وهو "التعقد المجتمعى : اختبار إمبيريقى لتنميط المجتمعات" Societal Complexity : An Empirical Test of a Typology of Societies. وعلى مدى العشرين سنة التالية نشر أكثر من عشرين مقالا وكتابا عن الأسرة كنسق اجتماعى ومحددات بنائها ووظائفها . وهى موضوعات تضمنت الاستقرار الزواجى (Winch and Greer 1964)، والاتجاه نحو الأسرة الممتدة (Winch, Gareer & Blumberg 1967)، والتعقد المجتمعى ، وتنظيم الأسرة (Winch and Blumberg 1972- 1973; Winch 1948). وتمثل هذه الأعمال محاولة لاستكمال علم النفس الاجتماعى الاستبطانى الذى كان قد بدأ باختبار قضايا خاصة بالتحليل النفسى مع اختبار تأثير المجتمع الأكبر على الأسرة (عامل يكشف بقوة عن اهتمامه باعتباره محددا مهمًا للشخصية الفردية) .

بيد أن تركيز ونش على سوسيولوجية الأسرة لم يدفعه إلى إغفال اهتمامه بنمو الشخصية . ففى عام ١٩٦٢ نشر كتابه عن التوحد ومحدداته الأسرية *Identification and Its Familial Determinants* الذى بحث فيه اكتساب الفرد للسلوك فى السياق الخاص بالأسرة وقد ميز ونش بشكل واضح مفهومه عن "التوحد" عن مفهوم التنشئة الاجتماعية الذى له طابع نفسى أكثر . وقد كتب "أن التنشئة الاجتماعية تؤكد على السلوك المكتسب ولا تؤكد على النموذج (أو النماذج) التى حدث الاكتساب منها ، بينما أن التوحد يوجه اهتمامنا إلى السلوكيات المكتسبة وإلى

المقومات المشتركة بين الأشخاص والتى أدت إلى اكتسابها (1952-1977p.392). هذا التأكيد على عملية التوحد وعلى أثر البناء الأسرى على هذه العملية ساعد ونش على أن ينمى نظرية عن اكتساب السلوك ونمو الشخصية ، والتى تضع فى اعتبارها القوى الاجتماعية الأكبر بشكل أكثر وضوحا مما ذهبت إليه نظريات تدعيم التعليم - السيكولوجية Psychological-reinforcement learning theories، مثل نظريات سكينر (١٩٣٨) Skinner، أو نظريات تبادل - التعليم السوسيولوجية Sociological exchange-learning theories كتلك التى وضعها هومانز (١٩٦١) Homans. فقد طرحت نظرية اكتساب السلوك أولا فى كتاب التوحد ومحدداته الأسرية ، ثم قام ونش بتطويرها إلى مدى أبعد فى كتاب الأسرة الحديثة وكتاب البناء الأسرى والوظيفة الأسرية كعامل مؤثر Familial Structure and Function as Influence (Winch and Gordon 1974).

وبالإضافة إلى هذ العمل العلمى ، قدم ونش كمعلم educator إسهامات مهمة . فعلى مدى ثلاثين عاما تقريبا كان يعاود العمل بشكل متواصل فى ثلاثة كتب هى : *الأسرة الحديثة* *The Modern Family (1952/1971)*، *ودراسات مختارة فى الزواج والأسرة* *Selected Studies in Marriage and the Family (1953/1974)*، *وشكل الأسرة والوضع الاجتماعى* Family Form and Social Setting (Winch & Adler 1971). وقدم كتاب الأسرة الحديثة نظرية عن الأسرة تجمع بين الاتجاهات البنائية - الوظيفية والارتقائية ، وفيها حدد ونش "وظيفة مجتمعية أساسية" تقوم بها الأسرة هى (الإحلال) وخمس "وظائف مشتقة" هى (الضبط، والتغذية ، والوالدية ، والوضع التشاورى ، والإشباع العاطفى) ، ويربطها بوظائف تقوم بها أساسا مؤسسات أخرى (اقتصادية ، وسياسية ، ودينية ، وتنشيئية - وتربوية) طوال دورة الحياة . وقد أكمل كتاب الأسرة

الحديثة بكتاب دراسات مختارة الذى قدم لطلاب الكلية أفضل الأعمال الأخيرة فى سوسيولوجية الزواج والأسرة ، وكتاب شكل الأسرة والوضع الاجتماعى الذى قدم لطلاب المدارس الثانوية المفاهيم الأساسية لسوسيولوجية الأسرة . وكل هذه الكتب كانت من بين أكثر الكتب استخداما فى مجالاتها .

لقد كان لونش أثر كبير على علم اجتماع الأسرة من خلال كتاباته وطلابه . ولقد بدا أسلوبه الشخصى النبيل ومستوياته الرفيعة بالنسبة للعلم شكوك الطلاب والزملاء على السواء بشأن "أهمية مشروعهم" . فمن بين منشوراته الثمانية والخمسين ؛ كتب واحدا وعشرين منها فى الأغلب بالاشتراك مع طلابه، ولقد انتقل مستواه الرفيع فى العمل العلمى واهتمامه بالبحث عن محددات الشخصية فى مدى واسع إلى طلابه وزملائه بشكل مباشر من خلال هذا التعاون .

إن العلامة المميزة لبحوث وكتابات ونش هى تأكيده على الدقة المنهجية البالغة ، واختبار الفروض ، وبناء النظرية . وبسبب هذا شكلت أعماله أساسا لتكامل وتنمية النظريات السوسيولوجية للأسرة ، ومهدت بحوثه الأرض لمناطق جديدة للبحث فى مجالات اكتساب السلوك ، واختيار القرين ، والتطور المجتمعى .

المؤلف : Louis Wolf Goodman

المترجم : ناهد صالح

WORKS BY WINCH

1941 Personality Characteristics of Engaged and Married Couples. *American Journal of Sociology* 46:686–697.

1943 The Relation Between Courtship Behavior and Attitudes Towards Parents Among College Men. *American Sociological Review* 8:164–174.

1947 Heuristic and Empirical Typologies: A Job for Factor Analysis. *American Sociological Review* 12:68–75.

1951 Further Data and Observations on the Oedipus Hypothesis: The Consequence of an Inadequate Hypothesis. *American Sociological Review* 16:784–795.

(1952) 1971 *The Modern Family.* 3d ed. New York: Holt.

(1953) 1974 WINCH, ROBERT F. et al. (editors) *Selected Studies in Marriage and the Family.* 4th ed. New York: Holt. → This book was coedited in 1953 by Robert McGinnis; in 1962 by Robert McGinnis and Herbert R. Barringer; in 1968 by Louis Wolf Goodman; and in 1974 by Graham Spanier.

1954 WINCH, ROBERT F.; KTSANES, THOMAS; and KTSANES, VIRGINIA The Theory of Complementary Needs in Mate-selection: An Analytic and Descriptive Study. *American Sociological Review* 19: 241–249.

1956 WINCH, ROBERT F.; and MORE, DOUGLAS M. Does TAT Add Information to Interviews? Statistical Analysis of the Increment. *Journal of Clinical Psychology* 12:316–321.

1957 WINCH, ROBERT F.; and FREEMAN, LINTON C. Societal Complexity: An Empirical Test of a Typology of Societies. *American Journal of Sociology* 62:461–466.

1958 *Mate-selection*. New York: Harper.
1962 *Identification and Its Familial Determinants*. Indianapolis: Bobbs-Merrill.
1964 WINCH, ROBERT F.; and GREER, SCOTT A. The Uncertain Relation Between Early Marriage and Marital Stability: A Quest for Relevant Data. *Acta Sociologica* 8:83–97.
1967 Another Look at the Theory of Complementary Needs in Mate-selection. *Journal of Marriage and the Family* 29:756–762.
1967 WINCH, ROBERT F.; and ANDERSON, R. BRUCE W. Two Problems Involved in the Use of Peer-rating Scales and Some Observations on Kendall's Coefficient of Concordance. *Sociometry* 30:316–322.
1967 WINCH, ROBERT F.; GREER, SCOTT A.; and BLUMBERG, RAE LESSER Ethnicity and Extended Familism in an Upper-middle-class Suburb. *American Sociological Review* 32:265–272.
1968 Marriage: I. Family Formation. Volume 10, pages 1–8 in *International Encyclopedia of the Social Sciences*. Edited by David L. Sills. New York: Macmillan and Free Press.
1969 WINCH, ROBERT F.; and CAMPBELL, DONALD T. Proof? No. Evidence? Yes. The Significance of Tests of Significance. *American Sociologist* 4:140–143.
1969 WINCH, ROBERT F.; MUELLER, SAMUEL A.; and GODIKSEN, LOIS The Reliability of Respondent-coded Occupational Prestige. *American Sociological Review* 34:244–251.
1971 WINCH, ROBERT F.; and ADLER, MURIEL A. *Family Form and Social Setting*. Boston: Allyn & Bacon. → Prepared for Sociological Resources for Secondary Schools and the American Sociological Association.
1972–1973 WINCH, ROBERT F.; and BLUMBERG, RAE LESSER Societal Complexity and Familial Complex-

ity: Evidence for the Curvilinear Hypothesis. *American Journal of Sociology* 77:898–920; 78:1522 only.
1974 WINCH, ROBERT F.; and GORDON, MARGARET T. *Familial Structure and Function as Influence.* Lexington, Mass.: Lexington Books.
1978 *Familial Organization: A Quest for Determinants.* New York: Free Press.

SUPPLEMENTARY BIBLIOGRAPHY

FLÜGEL, JOHN C. (1921) 1929 *The Psycho-analytic Study of the Family.* 3d ed. London: Hogarth.
HOMANS, GEORGE C. (1961) 1974 *Social Behavior: Its Elementary Forms.* New York: Harper.
MURRAY, HENRY A. et al. 1938 *Explorations in Personality: A Clinical and Experimental Study of Fifty Men of College Age.* New York: Oxford.
SKINNER, B. F. (1938) 1966 *The Behavior of Organisms: An Experimental Analysis.* New York: Appleton.
TERMAN, LEWIS M. 1938 *Psychological Factors in Marital Happiness.* New York: McGraw-Hill.

قائمة المصطلحات (A)

إعداد أحمد أبو زيد

A

السكان الأصليون (أستراليا)	Aborigines
امتصاص – اندماج	Absorption
مجرد	Abstract
مخطط محاسبى (لازرسفلد)	Accounting scheme
تكيف	Adaptability
تحالف	Alliance
تحليل مقطعى	Analysis , Sectional
واقعية تحليلية	Analytical Realism
اتجاه	Attitude

C

دراسة حالة	Case Study
طائفة هندية	Caste
مواطنة	Citizenship
استقطاب طبقى	Class polarity
إكلينيكى	Clinical
مجتمع محلى	Community
السليقة	Competence

Complementary Opposition	تقابل مكمّل
Complementary Needs	متطلبات (حاجات) مكملة
Complexity	تعقد
Conformity	تطابق
Content	المضمون
Content Analysis	تحليل المضمون
Controlled (Experiment)	(تجربة) مقننة
Core Rationale	الأساس المنطقى
Context of Situation	سياق الحال
Controlled Comparison	مقارنة مقننة
Conventions	أعراف –اتفاقيات – اصطلاحات
Conviction	إدانة
Counterstrategies	استراتيجيات مضادة
Craftsmanship	حرفيّة

D

Derivatives	مشتقات
Determinants	محددات
Dialectic Operator	عامل جدلى
Differential Relations	علاقات تفاضلية
Differentials	تباينات
Differentiation , Functional	تفاضل (وظيفى) – تباين
Diffusion , Diffuseness	انتشار
Dissociation Principle	مبدأ القطع
Dominance	سيطرة – هيمنة

E

Emphatic	نزوعى
Evolutionary Positivism	وضعية تطورية

F

Functional Differentiation	تفاضل وظيفى
Functionalism	الوظيفية

G

Generalization	تعميم
Gratification	إشباع

H

Hiatus	فجوة – ثغرة
Historicism	النزعة التاريخانية
Heterogeneity	تغاير – لاتجانس
Homeostatic	توازن ذاتى
Homogeneity	تجانس
Humanistic coefficient	معامل إنسانى
Hypothesis	فرض (علمى)

I

Ideal Type	نموذج مثالى
Idealism	مثالية
(Historical) Idealism	مثالية (تاريخية)
Identification	توحّد
Imaginative Reconstruction	إعادة بناء تخيلى
Indicators	مؤشرات
Integration	تماسك

Interaction	**تفاعل**
Interactionalism	**تفاعلية**
Interactionalism , Symbolic	**تفاعلية رمزية**
Interconnected System	**أنساق مترابطة**
Interdependence	**تساند**
Interdependent Relations i	**علاقات متساندة**
Integrated Relation	**علاقات متكاملة**
Internalization	**استدماج**
Interview	**استبار**
Interviewee	**المستبر**
Introspection	**استبطان**

L

Latent (Function)	**(وظيفة) كامنة**
Logicomeaningful method	**منهج نو دلالة منطقية**
Logology	**علم المصطلحات الدينية**

M

Mass Communication	**الاتصال الجماهيرى**
Matrix	**مصفوفة**
Maxims	**مبادئ أساسية**
Mandatory	**انتدابى - تفويضى**
Methodology	**منهجية**
Mobility	**حراك**

O

Objectivity	**الموضوعية**
Operationalizing	**تحويل إجرائى**

P

Participant Observation	ملاحظة بالمشاركة
Particularism	تخصيصية ، اصطفائية
Performance	أداء
Permanence	دوام – استمرار
Pluralism , (Cultural)	تعددية (ثقافية)
Pragmatics	الذرائعية
Professionalism	المهنية

Q

Qualitative Analysis	تحليل كيفى
Quality of life	نوعية الحياة
Quantification	تكميم
Quantitative Analysis	تحليل كمّى
Questionnaire	استبيان

R

Regionalism	الإقليمية
Reinforcement	تدعيم
Residuals , Cultural	مخلفات ثقافية
Rewards	المردودات

S

Schedule	استمارة إحصائية
Sectional Analysis	تحليل مقطعى
Semantics	علم الدلالة
Setting ,(Social)	وضع (اجتماعى)
Situational Analysis	تحليل الحال (الموقف)

Situational Approach	المدخل الموقفى
Specifications	مواصفات
Specificum Sociologicum	خصوصية اجتماعية
Statement	بيان تقريرى
Stratification , (Social)	تدرج اجتماعى
Structuralism	البنائية - البنيوية
Sublimation	إعلاء
Symbolic Action	فعل رمزى
Sympathetic imagination	مخيلة وجدانية
Syntactic Structures	البنى التركيبية
Syntax	بناء الجملة
Synthetic	تركيبى
System (of reference)	نسق (مرجعى)
Systematic Sociology	علم الاجتماع النسقى

T

T.A.T.	اختبار تفهم الموضوع
Tensions ,(S0cial)	توترات (اجتماعية)
Theorizing	التنظير(بعيدا عن الواقع)
Theory of Syntax	نظرية النحو
Transformations (social)	تحولات (اجتماعية)

U

Units of Analysis	وحدات التحليل
Universalism	عمومية ، شمولية
Untouchables	المنبوذون (طائفة هندية)

V

Verstehen	الفهم (ماكس ڤيبر)
Verstehende Sociology	سوسيولوچيا الفهم
Voluntaristic Theory of Action	النظرية الطوعية للفعل
Voting	التصويت

W

Wertfreineit	التحرر من القيمة (عند ڤيبر)

المترجمون فى سطور :

١ - أحمد أبو زيد (مراجع) :

- أستاذ الأنثروبولوجيا المتفرغ - كلية الآداب، جامعة الإسكندرية.

تلقى تعليمه بجامعة الإسكندرية (ليسانس فلسفة واجتماع ١٩٤٤) ثم بجامعة أكسفورد B.Lit (1953), D. Phil (1956) فى الأنثروبولوجيا الاجتماعية.

- أنشأ قسم الأنثرولوجيا بكلية الآداب جامعة الإسكندرية عام ١٩٧٤ .

- خبرات بحثية ميدانية واسعة ومتنوعة فى صحارى مصر (الصحراء الغربية - شمال وجنوب سيناء - الواحات الخارجة - الواحة البحرية) وصحارى شمال إفريقيا والشرق الأوسط بتكليف من مكتب العمل الدولى بجنيف (ليبيا - الجزائر - المغرب - الأردن - العراق - سوريا - المملكة العربية السعودية - إيران).

- دراسات ميدانية فى إفريقيا جنوب الصحراء (جنوب السودان - يوغندا - تنزانيا - نيجيريا - سيراليون).

أهم أعماله :

- البناء الاجتماعى جزآن (المفهومات - الأنساق).
- المدخل إلى البنائية.
- الإنسان والثقافة والمجتمع - جزآن.
- المجتمعات الصحراوية فى مصر - شمال سيناء.
- الاهتمام حاليًا بالدراسات المستقبلية - كتاب (المعرفة وصناعة المستقبل) - كتاب (مستقبليات ٢٠١٠) .

كتب مترجمة :

- الأنثروبولوچيا الاجتماعية – تأليف إ.إ. إيفانز بريتشارد.
- ما وراء التاريخ – تأليف ويليام هاولز.
- الغصن الذهبي – سير جيمس فريزر (بالمشاركة) مع الإشراف والمراجعة والتقديم.

٢ – سلوى العامرى :

- أستاذ علم النفس الاجتماعى بالمركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية ، عملت منذ تخرجها عام ١٩٦٢ بالمركز وتدرجت فى وظائفه الأكاديمية. اهتمامها البحثى الأساسى فى مجال الرأى العام ودراسات المجتمع المدنى.
- أشرفت وشاركت فى إجراء العديد من استطلاعات الرأى، أحدثها استطلاع رأى الجمهور فى النظام الحزبى المصرى (٢٠٠٨) ، واستطلاع رأى النخبة فى قضية نقل وزراعة الأعضاء البشرية (٢٠٠٩) ، واستطلاع رأى النخبة فى المواطنة والتطور الديمقراطى فى مصر (٢٠٠٩).

٣ – فاروق أحمد مصطفى :

- أستاذ الأنثروبولوچيا بكلية الآداب جامعة الإسكندرية حاصل على دكتوراه فى الأنثروبولوچيا بمرتبة الشرف الأولى ١٩٧٨ . أشرف على العديد من رسائل الماجستير والدكتوراه فى الأنثروبولوچيا. قام ببحوث قومية فى شمال سيناء، وجنوب سيناء، وبحوث حدودية فى حلايب وشلاتين وأبى رماد.
- أستاذ زائر لجامعة يوتا الأمريكية ١٩٨٠ – ١٩٨١، حضر العديد من المؤتمرات المحلية والدولية فى الولايات المتحدة الأمريكية وفى الهند، وفى بريطانيا وقدم بحوثًا باللغة الإنجليزية.
- يعد أحد المحكمين الدوليين فى رسائل الدكتوراه فى الجامعات الهندية.

– أصدر مجموعة من الكتب عن الدراسات والبحوث الأنثروبولوچية. كما قام بترجمة بحوث عن الثقافة والشخصية.

– عضو لجنة الدراسات الاجتماعية بالمجلس الأعلى للثقافة.

٤ – محمد أحمد بيومى :

– أستاذ بقسم الاجتماع – كلية الآداب – جامعة الإسكندرية .

المؤهلات العلمية :

١ – درجة الليسانس من قسم الدراسات الفلسفية والاجتماعية جامعة الإسكندرية ١٩٦٧ بتقدير "جيد جداً" مع مرتبة الشرف الثانية .

٢ – درجة الماجستير من جامعة تمبل بالولايات المتحدة الأمريكية عام ١٩٧٢ .

٣ – درجة الدكتوراه فى الفلسفة فى الآداب تخصص علم اجتماع من جامعة تمبل بالولايات المتحدة الأمريكية عام ١٩٧٢ بتقدير "ممتاز" .

التدرج الوظيفى :

* أستاذ ورئيس قسم الاجتماع بجامعة الإسكندرية منذ ١٩٨٦ .
* رئيس قسم الاجتماع بكلية الآداب فرع دمنهور منذ ١٩٨٩ .
* عميد المعهد العالى للخدمة الاجتماعية بدمنهور ١٩٨٥ – ١٩٨٧ .
* نائب رئيس جامعة الإسكندرية لفرع دمنهور ٢٠٠٣ .
* اختير ممثلا لمعاهد الخدمة الاجتماعية بالمجلس الأعلى للمعاهد العليا ١٩٨٦ .
* عين عضواً بالمجلس الأعلى للثقافة قطاع الفلسفة والاجتماع منذ ١٩٩٠ وحتى ١٩٩٨ .
* عين مستشاراً للهيئة العامة لمكتبة الإسكندرية فى مجال العلوم الإنسانية ١٩٩٢ .

* عين عضواً فى مجلس تحرير كلية الآداب - جامعة الإسكندرية ١٩٩٢ .

* رئيس مجلس إدارة المدرسة المصرية للغات بقطر وعضو مجلس الأمناء .

* عين عضواً فى مجلس تحرير مجلة كلية الآداب جامعة الإسكندرية اعتباراً من ديسمبر ٢٠٠٢ حتى الآن.

* عين عضواً للجنة الدائمة لترقية الأساتذة المساعدين - اجتماع، أكتوبر ٢٠٠١ .

* عين عضواً للجنة الدائمة لترقية الأساتذة - اجتماع. ديسمبر ٢٠٠١ حتى الآن.

* عين عضواً بلجنة تحرير مجلة علم الاجتماع المصرى الصادرة عن المجلس الأعلى للثقافة.

الجوائز والأوسمة :

* حصل على جائزة الدولة التشجيعية للعلوم الاجتماعية ١٩٨٢ .

* حصل على وسام الفنون من الطبقة الأولى ١٩٨٣ .

* جائزة جامعة الإسكندرية التقديرية عام ٢٠٠٤ .

* أشرف وناقش العديد من الرسائل العلمية فى الجامعات المصرية والعربية .

* له العديد من المؤلفات والبحوث باللغة العربية والإنجليزية المنشورة فى المجلات العلمية، ودوائر المعارف العالمية .

٥ - محمد حافظ دياب :

- أستاذ الأنثروبولوجيا غير المتفرغ بكلية آداب بنها.

- عمل بجامعة عنابة (الجزائر)، وجامعة الرياض (السعودية)، وجامعة ناصر (ليبيا).

- عضو مؤسس للجمعية العربية لعلم الاجتماع.

- عضو الجمعية الدولية لعلم الاجتماع.

- عضو لجنة الدراسات الاجتماعية بالمجلس الأعلى للثقافة.

- من أعماله :

* مقدمة فى علم اجتماع اللغة، ١٩٨٠م.

* سيد قطب : الخطاب والأيديولوجيا، ١٩٨٦م.

* إبداعية الأداء فى السيرة الشعبية (جزءان) ١٩٩٦م.

* الخطاب الأهلى - مساهمة نقدية، ٢٠٠٦م.

* تعريب العولمة، ٢٠٠٩م.

٦ - محمد سعيد فرح :

- أستاذ علم الاجتماع، كلية الآداب جامعة طنطا.

- حصل على دكتوراه الفلسفة من جامعة الإسكندرية.

- له بحوث منشورة فى عدد من المجلات العلمية المعروفة.

- له اهتمامات بدراسات الطفولة والشخصية القومية والفقر الحضرى.

- شارك فى الكثير من التراجم من اللغة الإنجليزية إلى اللغة العربية.

٧ - ناهد صالح :

- أستاذ علم الاجتماع بالمركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية. ولدت بالقاهرة فى عام ١٩٣٦ ، وحصلت على جميع شهاداتها العلمية من جامعة القاهرة - ليسانس علم الاجتماع، وماجستير علم الاجتماع من كلية الآداب، ودبلوم الإحصاء من معهد البحوث والدراسات الإحصائية، ودكتوراه فى علم الاجتماع من كلية الآداب بجامعة القاهرة.

– منذ تخرجها فى كلية الآداب قسم علم الاجتماع عام ١٩٥٧ ، عملت باحثة بالمركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية، الذى تولت إدارته فى الفترة من يونيه ١٩٨٤ إلى أغسطس ١٩٩٦ .

– امتد تخصصها العلمى فى مناهج البحث إلى مجال قياسات الرأى العام، وأخلاقيات البحث العلمى الاجتماعى ، ولها العديد من البحوث والدراسات العلمية فى هذه المجالات الثلاثة. من أحدث المؤلفات التى صدرت لها مجلدات عن البحث الاجتماعى : فى قضاياه ومناهجه (عام ٢٠٠٩) ، واستطلاع للرأى عن هموم واهتمامات المواطن المصرى (عام ٢٠٠٨)، والتاريخ الاجتماعى للمركز القومى للبحوث الاجتماعية (عام ٢٠٠٦).

– واستمرارا لاهتمامها العلمى بموضوع المؤشرات الاجتماعية ، الذى بدأ منذ ثمانينيات القرن العشرين، تشرف حاليًا مع الأستاذة الدكتورة هدى مجاهد على مشروع علمى ضخم بالمركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية لوضع تقرير اجتماعى مصرى ، صدرت لهما دراسة نظرية عنه بعنوان : التقرير الاجتماعى المصرى : نظرة للماضى ، رصد للحضارة ، رؤية للمستقبل .

٨ – نجوى حسين خليل :

١ – مدير المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية.

٢ – مقرر المجلس القومى لمكافحة وعلاج الإدمان.

٣ – رئيس تحرير المجلة الاجتماعية القومية.

٤ – رئيس تحرير المجلة الجنائية القومية.

٥ – نائب رئيس تحرير المجلة القومية للتعاطى والإمان.

٦ – عضو بمجلس أكاديمية البحث العلمى والتكنولوجيا .

٧ – عضو مجلس بحوث العلوم الاجتماعية والإنسانية والسكان بأكاديمية البحث العلمى والتكنولوجيا.

٨ – عضو اللجنة الاستشارية لإعداد التشكيلات العلمية بأكاديمية البحث العلمى والتكنولوجيا.

٩ – عضو اللجنة الدائمة للنظر فى الترشيحات للجوائز الدولية بأكاديمية البحث العلمى والتكنولوجيا.

١٠ – عضو اللجنة الاجتماعية بالمجلس الأعلى للثقافة.

١١ – عضو الجمعية الدولية لبحوث الرأى العام.

١٢ – عضو مجلس إدارة مركز البحوث البرلمانية بمجلس الشعب.

١٣ – مقررة فرع المجلس القومى للمرأة بمحافظة الجيزة.

١٤ – عضو بمجلس أمناء مركز الدراسات الوطنية بالمجلس القومى للمرأة.

١٥ – عضو باللجنة العامة لحماية الطفل بمحافظة الجيزة .

- **المؤهلات العلمية :**

١ – ليسانس الآداب، قسم الصحافة، كلية الآداب، جامعة القاهرة، ١٩٧٤ .

٢ – ماجستير الإعلام، كلية الإعلام، جامعة القاهرة، ١٩٧٩ .

٣ – دكتوراه الإعلام، كلية الإعلام، جامعة القاهرة، ١٩٨٦ .

لها العديد من المؤلفات بالإضافة إلى المقالات المنشورة منها:

١ – أخلاقيات البحث العلمى الاجتماعى : الأبعاد والقضايا الأساسية، استطلاع لرأى المشتغلين بالبحث العلمى الاجتماعى، (مشرفًا ومؤلفًا مشاركا). المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية، ٢٠٠٢ .

٢ – همـوم واهتمـامـات المواطن المصـرى : استطلاع للرأى، (عضـواً)، القـاهرة، المركز القومى للبحثو الاجتماعية والجنائية، ٢٠٠٨ .

٣ – الدعم الحكومى للسلع والخدمات : استطلاع رأى الجمهور العام، (مشـرفاً)، القاهرة، المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية، ٢٠٠٨ .

٤ – المحددات الثقافية للزيادة السكانية (المجلد الثانى)، القاهرة، المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية، والمجلس القومى للسكان، ٢٠٠٨

٩ – هدى محمد مجاهد :

– حـصلت على ليسـانس الآداب (علم الاجـتـمـاع) كليـة الآداب قـسم الدراسـات النفسية والاجتماعية، جامعة عين شمس عام ١٩٥٦، ودبلوم معهد العلوم الاجتماعية، كليـة الآداب جـامـعـة الإسكندرية عـام ١٩٦١، ثم درجـة الدكـتـوراه فى الآداب (علم الاجتمـاع) كلية الآداب جامعة عين شمس عام ١٩٧٢ فى مجال سوسيولوچيا التماسك الأسرى .

– تعـد من رواد البـحث العلمى فى مـصـر ، إذ التـحـقت منذ التـخرج عـام ١٩٥٦ بالمركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية، وتدرجت فى وظائفه الأكاديمية (باحث مسـاعد – أستاذ غير متفرغ)، أثرت خلالها العمل العلمى طوال مسيرة امتدت لأكثر من خـمـسين عـامـاً. شغلت مناصب علمـيـة وإدارية بالمركز ، ومناصب أخـرى فى برنامج التنمية بالأمم المتحدة UNDP (لفترات محددة) ، وقامت بالتدريس فى بعض الجامعات المصرية والعربية.

– أشرفت على كثير من المشروعات البحثـيـة فى المركز فى مـجـالات مـتـعـددة : الريف ، والسياسات والبرامج الاجتماعية والأسرة ، ونشـرت عدة مقالات وأوراق علمية، وشـاركت فى العـديد من المؤتمرات العلنيـة المحليـة والدوليـة. عـضـو لجنة الدراسـات الاجتماعية بالمجلس الأعلى للثقافة.

تشارك حـاليًا فى مشروع علمى بحثى مهم فى المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية ، هو "التقرير الاجتماعى المصرى".

الإشراف اللغـــوى : حسام عبد العزيز.

الإشـــراف الفـنى : حـــسـن كـــامـل.

هذا هو الجزء الثانى من الترجمة العربية للمجلد الثامن عشر من الموسوعة العربية للعلوم الاجتماعية، وهو مخصص لعدد من أهم علماء الاجتماع الذين ظهروا بعد الحرب العالمية الثانية، وبوجه أخص منذ الربع الثالث من القرن الماضى. ويضم هذا الجزء السير الذاتية لاثنين وعشرين عالمًا يمثلون أهم الاتجاهات النظرية والعملية، ومناهج وأساليب وطرائق البحث التى ظهرت نتيجة للتغيرات التى طرأت على الأوضاع العالمية والمشكلات الاجتماعية الناجمة عن تلك التغيرات، وتعدد المداخل وتنوعها واتساع النظرة إلى مفهوم ذلك العلم، والاستعانة أحيانًا بالنظريات والمناهج وأساليب التحليل المتبعة فى العلوم الاجتماعية الأخرى، وبوجه أخص فى الأنثروبولوچيا وعلم النفس. وقد أدى ذلك التنوع والتعدد فى المداخل واتجاهات التفسير والتحليل والتأويل إلى اتهام علم الاجتماع أحيانًا بأنه علم دون هوية واضحة ومحددة، وهذه مشكلة لا تزال تثير كثيرًا من الجدل فى بعض الأوساط الأكاديمية المهتمة بتحديد الفواصل بين العلوم والتخصصات النظرية، لكنها تدل فى الوقت نفسه على ثراء علم الاجتماع، وهو ما يظهر واضحًا فى السير الذاتية التى يضمها هذا الكتاب.

Bibliotheca Alexandrina
09427763

تصميم الغلاف: هند سمير